الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

الرئيس هواري بومدين

التربية و التعليم

بمناسبة تخرج الدفعة السابعة عشر

12 جمادى الأولى 1425 / 30 جوان 2004

معلومات الاتصال بالجامعة :

عنوان الجامعة : نهج قدور بومدوس ص.ب 137 قسنطينة 25000

العنوان الإلتروني : E.MAIL. USIEAK.1.aIST.CERIST.DZ

موقع الجامعة في شبكة الانترنيت : WWW.UNIV.EMIR.DZ

المصالح المركزية :

- رقم الهاتف – المحول – 031.92.21.34
- الفاكس : 031.92.21.41 (الخارج 213)
- التلكس : USIEA.DZ M: 92.954

الطبعة الثانية

2005

تم الطبع بمؤسسة دار الفجر للطباعة والنشر

عين اسمارة – قسنطينة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾.

سورة الأحزاب الآية : 23

صدق الله العظيم

الدفعة

السابعة عشر

الرئيس هواري بومدين

— رحمه الله —

كلمة تقدير وعرفان

للأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال
رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

هذه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية تكمل عامها العشـــرين، وتتكامل مع جامعات الوطن، وتحقق الحلم الذي راود كثيرا من الجزائريين، ومنهم الرئيس الراحل هواري بومدين، الذي أراد أن يجعـــل مـــن الجامعة منارة علم وحضارة، تواصل الرسالة الحضـــارية العربـــية الإسلامية في الجزائر عبر التاريخ وتتكامل مع أخواتها، الزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب والأزهر في مصر، وذلـــك ما كشف عنه في كلمة ألقاها في جامع القيروان ليلة المولد النبوي الشريف عام 1392هـ/1972م:

((إذا كـــنا اللـــيلة نحتفل ونبتهج في هذا الحرم العريق والجديـــد في نفـــس الوقـــت بمـــا أصبغ عليه من حلة قشيبة استرجعت له بهاءه ورونقه، وإذا كنا لا نزال لنا –والحمد لله – معـــاهد الزيتونة والقرويين والأزهر، وإذا كنا لا نفتا نزهو بمجرد تقوى الجامع الأموي وغيره من المعاقل الروحية في أنحاء العالم الاسلامي، ولئن كنا قد استرجعنا جامع كتشاوة وغيره من حصون الإسلام في الجزائر، وأعدنا لها قوتها وازدهارها بل

وجددنـــا نشاطها وعززناها بمعاهد جديدة أصيلة حديثة، نحن بصدد تتويجها بنواة جامعة إسلامية تامة تتكامل والجامعات الثلاثة الأخرى التي هي نفسها بصدد التعريب الشامل وتجمع من جديد ما انتشر، وتحي من تراثنا ما أندثر في تيهرت وبجاية وتلمسان وقسنطينة والقلعة ووهران)). (1)

لهـذه المعطيات وغيرها قرر المجلس العلمي بالجامعة تشريف دفعة هذه السنة (جوان **2004**) بحمل اســـم الرئيـــس هواري بومدين تكريما وعرفانا لما قدمه للثورة والوطن، وللتعليم وللجامعة الجزائـــرية، وهـــي دلالـــة سامية تاريخية ومستقبلية تربط الماضي بالحاضر وتعطي نفسا جديدا للمستقبل ولأبناء هذه الأمة المخلصين الذين هم في أمس الحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى إلى العودة إلى الرصيد الفكري والنضالي والروحي والثقافي والحضاري في عالم لا يـــرحم ... خاصة ونحن نحي هذه السنة الذكرى الخمسين لثورة نوفمبر الخالدة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الخالص إلى جميع المشاركين في هـــذا العمل التذكاري وأتمنى للجميع التوفيق والسداد والتقدير والعرفان.

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

أ.د/ عبد الله بوخلخال

---

1 - أنظر مجلة الأصالة العدد 7 السنة الثانية 1392 هـ/1972م ، ص:3 .

تقديـــم

الدكتور/إسماعيل سامعي
نائب رئيس الجامعة للبيداغوجيا

يتميز احتفال الجامعة بتخرج الدفعة السابعة عشرة عن غيرها من الاحتفالات السابقة التي أصبحت تقليدا تشهد مراسيمه جامعتنا كل سنة،وهو ذلك إلى مرور عشرين سنة على افتتاحها (1984-2004)، و34 سنة على وضع الحجر الأساسي لبنائها (1971)، وهذا الأمل الذي رواد الأجيال على مر العصور، وكان حلما فتحقق يأتي تخليده هذه السنة (2004)، في إطار الاحتفال بذكرى عزيزة على كل جزائري وجزائرية، ذكرى مرور خمسين سنة على اندلاع ثورة نوفمبر المباركة (1954).

وقد استعدت الجامعة لإحياء هذه الذكرى منذ جانفي 2004، وذلك بتنصيب لجنة مكونة من أساتذة وموظفين يرأسها رئيس الجامعة، وانقسمت إلى أربع لجان هي كالآتي:

1- لجنة إعداد كتاب يتناول التعليم في عهد الرئيس هواري بومدين.
2- لجنة إعداد الحصيلة البيداغوجية والعلمية والإدارية والنشاط الثقافي والرياضي طيلة عشرين سنة الماضية.
3- لجنة خاصة بالمعارض والمسابقات.
4- لجنة الإعداد المادي والجوائز.

كما تم اقتراح اسم الرئيس هواري بومدين الذي كان قد أشرف على وضع الحجر الأساسي لبناء هذه الجامعة سنة 1971 للدفعة السابعة عشرة من الطلبة الذين سيتخرجون هذه السنة 1425هـ/2004م، وذلك اعترافا لما لهذه الشخصية من أفضال لاسيما في مجال العلم والمعرفة بصورة عامة، والتربية

والتعليم بصورة خاصة، ويأتي هذا في سياق ما دربت عليه الجامعة منذ سنوات، حيث تعمل في إطار أحد أهدافها وهو الحفاظ على ذاكرة الأمة وبعث تراثها، والحفاظ عليه، لاسيما الشخصيات التي تركت بصماتها واضحة على تاريخنا، والذين تعد أعمالهم نبراسا تهتدي به الأجيال، ونموذجا تقتدى به.

وختاما كلنا أمل في أن نكون قد قمنا، ولو نسبيا أوفياء لرسالة أولئك الرجال الذين ضحوا في سبيل أن تحي الأجيال وتنعم بالحرية والأمان ولولا دماؤهم وعرقهم لما كنا نحن اليوم، ومن هؤلاء الرجال الرئيس هواري بومدين -رحمه الله-.

كما يجب أن لانتسى أولئك الرجال من أهل قسنطينة العلم. وقسنطينة ابن باديس الذين فكروا وأسهموا في إنجاز هذا المعلم الحضاري العظيم في تاريخ الجزائر والأمة الاسلامية، والذي يعد مفخرة لهم، وللأمة ككل فنشكرهم أولا وأهنئهم ثانيا.

ثم أتقدم بتهانينا الحارة والعلمية إلى كل الطلبة، والأساتذة، والعمال والموظفين بالجامعة.

قال تعالى:" **وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**".

التوبة:105.

والله ولي التوفيق.

الدكتور/ إسماعيل سامعي.

من حياة الرئيس
هواري بومدين

فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة يلقي كلمة التأبين أمام جثمان الفقيد الرئيس هواري بومدين

الأمة تكبر فيك تفانيك

لبعث دولة لاتزول بزوال الرجال

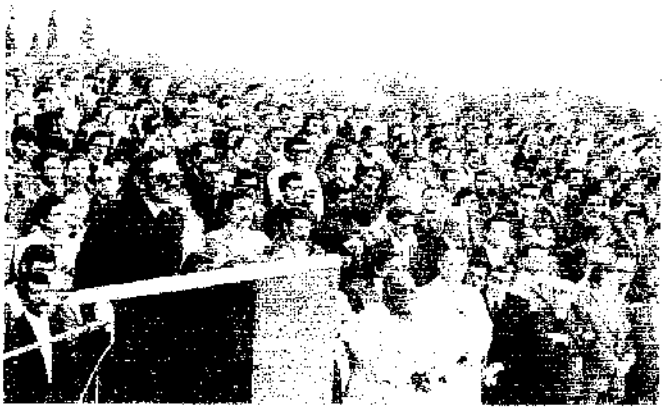

لاح عبد العزيز بوتفليقة ، مصور ديوان الثورة ورئيس الجمهورية ، يلقي كلمة التأبين أمام جثمان الفقيد الأمة ، الرئيس هواري بومدين

بسم الله والله أكبر،

أيها القائد العملاق،

لقد تواضع الإخوة والرفاق وتواضع الأصحاب والخلان، وأثروني على أنفسهم لأقول كلمة الامتنان باسم الجميع وباسم شعبك ووحدته، وأقرأها في عيون الكادحين الذين جعلت منهم عمالا منتجين ، إنني أراها في عيون الفلاحين الذين أخرجتهم من الأكواخ وأسكنتهم ديار الكرامة، إنني أراها في هيبة جيشنا الوطني الشعبي الذي حملته لواء جيش التحرير الوطني، يا قائد جيش التحرير .

إنني أراها في شوارع مدننا المضطربة بمشاعر المحبة والعرفان، إنني أراها، يا بومدين، في وجه الأشقاء والأصدقاء الذين جاؤوا من كل حدب وصوب، وفزعوا من كل فج عميق ليكونوا شهداء عليك، ولتكون شهيدا عليهم. فبقلوب يعصرها الألم وتخفق بالوفاء، ويهز عليها فراق واحد

مـــن المجـــاهدين والشـــهداء، نقف أمامك أيها الرجل الذي قضى حياته بين ساحات البناء موطدا أركـــان الدولة، وذائدا عن حمى الأمة، وجامعا للكلمة، ومعبئا للطاقات، ومتفانيا في تحقيق العدل والمساواة .

نقف أمامك في خشوع لا تحيط به الكلمات، نقف أمامك في أجلال لاتستوفيه العبارات، وكـــيف نستطيع أن ننعاك وأنت دائما ودوما حاضر في القلوب، وكيف يمكن تأبينك يا بومدين ، واسمك أيها الرئيس الراحل برنامج عمل، ومخطط نهضة، وأمل. انها مؤسسات وطيدة الأركان ثابتة البـــيان، إنـــه ميثاق أجمع عليه الشعب يشير الى الخطوات، ويرشد الى الأهداف والطوحات. انها منجزات هي شواهد بارزة حية ، ومعالم مسيرة أمة كريمة أبية .

لقـــد بـــرزت من صفوف هذا الشعب العظيم ، من بين فلاحيه الفقراء الذين اعتصموا بالجـــبال، وقـــاموا جحافل الطغاة عبر العصور، فكانوا قلعة المقاومة وحصن الشخصية الوطنية ، وينـــبوع ثـــورة فـــاتح نوفمبر الخالد، وهذا ماجعلك تأبى الضيم وتتعاطف مع المحرومين، وتؤاخي المكـــافحين أينما كانوا، وتغار على قومات حضارتنا العربية الاسلامية، ولاتدخر جهدا في الدفاع عن السيادة الوطنية ووحدة الأمة.

أيهـــا الأخ الرئـــيس ، أيها الشقيق الحبيب، يابن الشعب المفدى، بأرواحنا نفديك لوكان يقبل منا الفداء. والتضحية الكبرى في سبيلك وددنا لو أننا نستطيع انقاذك ولكنه قضاء الله المحتوم، ولامرد لقضاء الله .

" فـــاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون " فلا حول ولاقوة الا بالله، واننا لقضاء الله لراضون.

لقـــد كنـــت يابومدين مدعم وحدتنا في كل الظروف ، لقد كنت يابومدين قائد نضالنا، ونضالاتنا التي ارهبت الاعداء، وسرت الأصدقاء.

لقـــد كنـــت الشعار الذي يلخص بأوضح العبارات، تطلعنا العميق نحو المستقبل، الذي أفنيت عمرك في رسم صورته الزاهية. وها أنت تفارقنا على عجل يا بومدين، ونحن ما زلنا في أشد الحاجـــة إلـــيك، و شعبنا ما زال في أشد الحاجة إليك، إلى روحك المتوثبة بعزم الشباب، وحكمة المحـــنكين إلى قلـــبك الكبير، إلى قلبك السموح، إلى رأيك السديد، إلى بصرك المديد، إلى موقفك الرشيد.

إن هـــذه الجماهير التي أقبلت من كل حدب وصوب لتتحسر على فراقك، تحترق لوعة على ارتحالك، وإنما تبكي فيك إصرارك على المبادئ ، ووفاءك للمثل التي سطرها شهداؤنا الأبرار بدملـــهم الزكـــية و ضحى في سبيلها شعبنا بالصفوة من أبنائه، وتكبر فيك تفانيك إلى آخر رمق

لبعث دولة قوية لا تزول بزوال الرجال، دولة تنتهج طريق الاشتراكية، وتقوم على المؤسسات الشعبية ، وأن هذه الجماهير لتكبر فيك جهدك الدؤوب بالإعلاء من شأن الجزائر في المحافل الدولية، حتى أصبحت بلادنا كعبة الثوار، وملجأ الأحرار، وقدوة في المواقف المبدئية، ونموذجا يحتذي في حشد الإمكانيات الذاتية لتحقيق التقدم والتنمية.

إن شعبا أنجبك يا بومدين لفخور بك، وأنت بين ظهرانية تسهر على الأمانة. وهو أيضا حافظ لذكراك ، ومواصل نهجك، وأنت أيها القائد في دار البقاء بعد أن نهضت مع رفاقك بالرسالة، وما أثقل حملها. وقدت المسيرة أشواطا بعيدة، و عبدت شطرا كبيرا من الطريق، وقلبك مفعم بالإيمان بأصالة شعبك و تطلعه إلى الانعتاق ، فكنت وجيلك على موعد مع القدر، فالتفت حولك سواعد الفلاحين، و تكاثفت صفوف العمال والكادحين ، ورفع الشباب لواء الخدمة الوطنية، وانتشرت في ربوع الريف قرى الثورة الزراعية، وارتفعت في سماء المدن منارات الصناعة، ولاحت في البلاد بوار الثورة.

ثقافية، فلم يبق هناك مجال لضعاف النفوس من المترددين، ولم تكن هناك ثغرة للمتربصين يا بومدين. لقد بقي في كل قلب منك ومضة، لقد بقي منك في كل فكر عبرة، لقد بقي منك في كل جزائري عظة. سيرة تلهمنا مثل التضحية والثبات والتفاني في الواجب ونكران الذات والقوة في الحق ورباطة الجأش عند الاختبار والابتلاء، وأمام المحنة والامتحان، والحكمة عندما يختار الآخرون ويتفرقون شيعا وأهواء.

فها هي جموع الشعب يا بومدين تمتزج في ملامحها الآلام، وتريد أن تقول قولة الوفاء، وترتفع أصواتها بالتكبير والدعاء، جاءت لا لتوديعك.ولكن لتعاهدك يا بومدين على الفداء، والاستمرار في النضال والبناء، وحماية الثورة الاشتراكية، ومكاسبها المادية والمعنوية. في هذا الموكب الرهيب وفاق لك في السلاح، واخوة خضت منهم ميادين القتال والنضال، حتى تطهرت أرضنا الغالية من الظلم والاستغلال، وخفقت راية الحرية مخضبة بدماء الشهداء. إنهم على العهد لسباقون يا بومدين، وعلى اختيارات الثورة ثابتون، ولن يزيدهم هذا المصاب الجلل سوى الإصرار على تحقيق الأهداف المرسومة وحماية مكاسب الثورة.

أيها الراحل العظيم، إذا كان شعبنا قد رزئ فيك بما لا يمكن أن يعبر عنه لسان، فإن الأمة العربية لباكية ومتفجعة عليك، وقد فقدت فيك ابنها البار، وقائدا من قادتها المخلصين، وصوتا مدويا في المحافل كلها بمبادئها الراسخة، وكرامتها الشامخة، وحقوقها الثابتة، إنها لتبكيك بالأنات والحسرات يا زعيم صمودها وتصديها. لقد كنت صدى الأوراس في حيفا والجليل، وكنت غضبة جرجرة والونشريس في سيناء والجولان. وأمال المحيط والخليج في ثوبه للبرج الأغر

لـــدى أعتاب المسجد الأقصى وساحات دير ياسين، ويبكيك الأحرار هنا في القارة السمراء، وفي الصحراء الغربية، وهناك في كل الأرجاء حيث يكتب المناضلون بدمائهم الزكية صفحة أخرى من امجاد الدفاع عن الكرامة والوقوف في وجه القهر والطغيان.

إن أصـــوات الباكين عليك يا ملاك المضطهدين لترتفع اليوم في أقصى المشارق والمغارب، إن ملايـــين المعذبين من بني الإنسانية قد فقدت بفقدك المحامي الصلب عن قضاياه، والمناضل الشهم عن مطالبها. وإن هموم بلادك ومقتضيات تشييدها لم تصرفك عن الكفاح المستميت من أجل إقامة العدالة في هذا العالم، بين شماله الغني الغارق في الترف والغارق في التبذير، وجنوبه الواقع بين مخالب الفاقـــة والمجاعة والحرمان، لأجل ذلك يا بومدين، ولكل ما لك من مآثر خالدة ستبقى في ضمائرنا حية على الدوام وستسكن فيه ذكراك الطيبة إلى الأبد.

كـــيف تغيب عن الأذهان لحظة واحدة، وكل ما في البلاد ينطق باسمك يا بومدين، كيف تغيـــب عـــن الأذهـــان لحظة واحدة وكل ما في البلاد يرمز إليك، كيف تغيب عن الأذهان لحظة واحدة وكل ما في البلاد من أقصاها إلى أقصاها ثمرة يانعة مما غرسته يداك.

أيهـــا الـــراحل العزيز، لا نريد اليوم أن نرثيك لأن الرثاء للأموات، وأنت ما زلت بيننا وستبقى بذكراك وآثارك ومآثرك إلى الأبد على قيد الحياة، وأنت حي في قلوب الجماهير، أنت باق في نفـــوس الملايين، أنت خالد في فصول تاريخنا المجيد، وإننا لنعاهدك عهد الرفاق الأوفياء، ونعدك وعد الأخوة الأصفياء، عهد الذين آلوا على البقاء بجانبك في السراء والضراء.

إننا لنعاهدك على أننا سنظل على نهجك سائرين، ولخطاك متبعين، وعلى الأمانة ساهرين، ويا أيتها الجماهير الباكية بدموع الرحمة والوفاء، تعزى عن الفقيد الغالي والراحل العظيم الذي لبى نـــداء ربـــه، تعزى بالصبر الجميل: تعزى بالتمسك بالإيمان الذي أنقذك عند كل امتحان، وخلد ذكـــرى قـــائدك الفذ بالترحم على روحه الطاهرة، والتضرع إلى الله العلي القدير لتعظيم أجره، وإسكانه فسيح جنانه، صحبة الأخيار الطاهرين، جزاء ما قدمه للعروبة والإسلام من خدمات، وما بذلـــه مـــن التضحيات في ميادين الحرية أينما ذكر اسمها في العالم كله، وفي سبيل سعادة هذه الأمة وكـــرامة هذا الوطن. إن أجمل ما نذكر به قائدنا الشهيد، لهو مواصلة الطريق الذي سار فيه بنا في أشـــواطا بعـــيدة، والتمســـك بالمبادئ التي كانت موضوع جهوده وسبب استشهاده –فوداعا يا هـــواري بومدين– وداعا يا هواري بومدين يا من كانت حياته الخاصة درسا في الأخلاق الكريمة، والعواطف النبيلة، والسلوك القويم، والاجتهاد الدائم، والتواضع الجم.

وداعـــا يـــا من علمتنا كيف يموت الانسان العظيم في صمت ووقار، وكيف يحترق إلى الـــنهاية ليبدد الظلام. وداعا أيها الإنسان الذي سقط شهيد الواجب ومات من العياء والإرهاق،

حين ضن على نفسه طوال ربع قرن من الزمان بلحظات يسيرة يفرغ فيها من العياء، ويستريح من العناء. فيا أيها الأخ الرئيس، لقد اقتحمت بأفعالك قلعة الخلود ودخلت المجد من بابه العريض. ثم الآن مستريحا فالجماهير بعدك مجندة والجماهير بعدك معبأة بقيادة حزب جبهة التحرير الوطني لمواصلة الطريق. ويا أيها المجاهد الذي قضى عمره في النهوض بجلاء المهمات. ثم قرير العين، فإن مسيرة الثوار ستواصل وستواصل زحفها تحت راية جبهة التحرير الوطني لتحقيق ما كنت تصبو إليه "وَيَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي". فالوداع أيها الرجل الذي كان من أولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

الوداع، الوداع أيها الأخ، أيها الرفيق، أيها الحبيب، أيها الصديق، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه لراجعون، الوداع يا بومدين.

محمد بوخروبة : بومدين الطفل والشاب أو بومدين كما عرفناه

أ/ مصطفى سرايدي

إن ما نسوقه أمامكم هو شيء ولو علمنا أنه في حاجة إليها لا اتخذناها عليه شرعة ومنهاجا ، دأبنا في ذلك أن نكون أوفياء في سرد الأحداث ولو جئنا بها في بعض الأحيان على نسق غير مطرد زمانا ومكانا...

وأستعين بالله قائلا:"رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق".

وأجعل على لساني هذين البيتين واستهل بهما عملي ، وأنت خير الناصرين:

"ورثنا المجد عن آباء صـــدق أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا المجد الرفيع توارثته دعاة السوء أوشك أن يضيعا

"إنما الورد من الشوك من وما *** ينبت النرجس إلا من بصل"

كل شيء يخرج وينبت من اصله، فأين نبت أو نشأ محمد بوخروبة ؟

ولد ونشأ في بني عدي [1] (العرعرة) إلى الجنوب الغربي لمدينة قالمة بمسافة اثني عشر (12) كيلومترا تقريبا ،وذلك في أوت1932.

أبوه هو الحاج إبراهيم بوخروبة ، كان فلاحا متواضعا لا يكاد يجني من أرضه الفقيرة القليلة إلا محصولا ضئيلا هو دون تلبية الأمن الغذائي لأفراد عائلته الثمانية.

أمه هي بوهزيلة تونس بنت محمد الذي وفد من الغرب (جيجل)[2] إلى قالمة سنة 1900 ليلتحق بأخيه سعيد الذي نزح إليها سنة 1880.

---

[1] - وليس في هليوبولس كما يزعم بن جامين سطورة Benjamin Stora

Dans son livre intitulé un Algerien nommé Boumediene

[2] - الغرب عند بني ورز الدين (وزير الدين ، وهذا مايسترجع إليه) يعني جيجل تارة، (إذ أصلنا *من زيامة منصورية) ويعني الأندلس تارة أخرى، وهذا ماسنشير إليه كذلك.

هذا *أصلنا القريب أما البعيد فهو حديث آخر.

وأكثر سكان مدينة قالمة نزحوا مع من نزح إثر (Reconquista) عودة الأندلس إلى الأسبان وسقوط غرناطة 1492.

ونجد كثيرا من هؤلاء النازحين على الشواطئ خاصة تلمسان لأنها بوابة المغرب، بني صاف، شرشال، تنس، مستغانم، الجزائر (الثغويون:Tagarins دلس، بجاية، جيجل وتونس.

وأول ما يعنينا هنا هو جيجل، وليس بدعا أن تكون عائلة بوخروبة فرعا من الشجرة التي تنحدر منها نحن عائلة سريدي، وكما أن هناك بني سكفال وبني مجالد، وبني فوغال[1] وبني معاد، وبني صالح، وبني مجانة ...فإن هناك أيضا ورزالدين التي [2] منها تنسل نحن (سريدي) وإياهم (بوخروبة)، وسأعرج بعد قليل على هذا اللقب لقب "ورز الدين" لأوفيه حقه لغة ومعنى...

وأحب الآن أن أقول إنا كنا [3] وإياهم ، في مشتى بني عدي، متجاورين أرضا متلاصقين نسبا، تزوجوا منا وتزوجنا منهم فصرنا أكثر نسا وصهرا.

ويفيد آباؤنا وأجدادنا أن كثيرا من العائلات تنتمي إلى بني ورز الدين منها:

بوخروبة، سريدي، بوالنار، بوالشمال، بوهزيلة، بوجاهم، بوغازي، بوخميس، بوجنانة، خلة، بن ناصر الخ....

وما فات السلف فلن يفوت الخلف ، من أجل ذلك كنت أراني مهتما بما ورثته وسمعته عن آبائي وأجدادي يقولون إننا نزحنا من الغرب، يعنون الأندلس، ويقولون إن آباءنا الأولين كانت هجرتهم من المشرق إلى المغرب، ثم أخذت اتجاها معا كسا من المغرب إلى المشرق بعد نكبة الأندلس (وإن كانت فاس المغربية موئلا للفارين بدينهم من محاكم التفتيش الإسبانية، وقد آن لي أن أستسمحكم مستنجدا بفقه اللغة، محاولا أن أصل إلى كنه "بني ورز الدين"، فمعالجته تكمن في زحزحة ما طرأ عليه من لحن أو تحريف في اللسان بسبب

---

[1] - وجدت قريبا من بسكرة قرية جميلة فيها زرع وتحيل أسمها فوغاله....

[2] – التي: لأني حملتها معنى القبيلة

[3] - كنا هنا لاتفيد الانقطاع بل تفيد الاستمرار والتواصل.

تقديم أو تأخير في حرف من الحروف داخل الكلمة الواحدة[1] مثال ذلك : جبذ و حذب وهما بمعنى واحد وارز وآرز ومعناهما واحد ولقد بحثت عن "الورز" فصادفني الورس، والورس نبات أصفر يصبغ به نقول: ورس[2] النبت وروسا: أخضر ونقول: وازره على الأمر موازة: عاونه وقواه وهو مقلوب آزره). آزره ووازه : صاركه وزيرا

وتوزره : صار وزيرا له واستوزره : اتخذه وزيرا

أزر وأزر وآزر فلانا : قواه وعاونه

الأزر: القوة والظهر. شد أزره أي ظهره ومنه قوله تعالى:

((واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري ....))

لعل ما أتينا به يعيننا على النفاذ إلى كنه ما نحن بصدده لنهتدي إلى أننا أمام وزير الدين .. وليس ورز الدين، وهذا اللقب شائع في عائلتنا، وإن آباءنا الأولين كانوا يقولون إننا أحفاد وزير الدين يوسف القرطبي أحد القضاة المشهورين بالأندلس، وإنه من عائلة كثيرة النفر تتعاطى الصناعتين الكتابة والتحرفة: الكتابة إقبالا على العلوم في ذلك العصر وحفظا للقرآن الكريم، والحرفة نسجا وسردا ولست أدري على اليقين ما لذي كانوا ينسجون أو يسردون، إلا أن فقه اللغة يدلنا على أن :

سرد يسرد وسردا الدرع: نسجها ، الجلد خرزه، والشيء : ثقبه

تسرد دمعه : تتابع بانتظام تسرد دمعه كما تسرد اللؤلؤ : تتابع بانتظام، والسراد: الذي يصنع السرد أي الدروع والحلق ، وإننا لنطمئن أن يكون هذا من صلب ذلك بمعنى أن سريدي انطلق من السرد .

---

[1] - وهو مايسمى عندنا بالقلب : métathese

Métathese deplacement de voyelles de consonnes
De syllabls a l'interieur d'un mot.

[2] - أورس الشجر : أورق ، ولعل الأوراس عندنا يستمد معناه من ذلك لكثرة أخضراره وجمال اوراقه ، وتدفق ينابيعه وتوفر مياهه.

ومادمنا من بيت خلق كريم وقرآن عظيم فلا بأس أن تتسع أمامنا آفاق اللغة العربية لنجد لفعل سرد معاني لأخر ثروة وغنى لنجد لفعل ســـرد معاني آخر : سرد الحديث أو القراءة : أجاد سياقهما، سرد الصوم : تابعه، سرد الكتاب: قرأه بسرعة.

ونحن إلى المعنى الأول أقرب وبه نستأنس لجمعه بين ما كان يناسبنا من سالف الصناعتين.

والسرد بالمعنى الأول، وارد ذكره في القرآن العظيم في الآية الحادية عشرة (11) من سورة سبأ:

"ولقد آتينا داو ود منا فضلا : يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن أعمل سابغات وقدر في السرد اعمل سابغات وقدر في السرد..."[1]

ولئت توغلت فيما توغلت فلأني مهتم بالبحث عن حقيقة "بوخروبة"من أين وكيف ومتى نشأ غير أن الذي لي به علم أن "بوخروبة" من بني "ورز الدين" وأن محمد هذا "خروبي" أخذ القرآن وهو طفل صغير من عائلة سريد" ومكث فيهم على هذه الحال يواصل ويواظب...

وهذا باعتراف أحد أخواله المجاهد الحاج علي بوهزيلة.

وهكذا تبقى الأمور تجري على النسق الذي قدر لها إلى أن تحولت أسرتي إلى مدينة قالمة تتخذها مستقرا لها : ويتم تسجيلي في مدرسة ألمبير [2]، حاليا إكمالية محمد عبده ، أخذت أتعلم بها مبادئ الفرنسية ، وكنت إلى ذلك

---

[1] – وقدر في السرد : وقدر في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقاتها : ان تكون كل حلقة مساوية لاختها ضيقة لا ينفذ منها السهم لغلظها ولاتثقل حاملها، واجعل الكل بنسبة واحدة .

والسابغات : صفة لمحذوف تقديره دروعا سابغات " طوالا كوامل تغطي لابسها من رأسه إلى أخمص قدمه. وقد جعل الله الحديد لينا بين يدي داوود يضع به مايشاء من دروع ، وهو أول من صنعها حلقا وكانت قبل ذلك صفائح ثقالا ذلك فضل الله يوتيه من يشاء حكما وعلما ونبوة : "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم (ليحصنكم) من بأسكم فهل أنتم شاكرون"

[2]- ألمبير : ALEMBERT رياضي وفيلسوف فرنسي 1717-1783 ولد في باريس ،كاتب موسوعي من المفكرين الكبار.

في أوقات الفراغ وفيما يتيسر من الوقت أتلقى قواعد اللغة العربية وطريقة التعبير والإنشاء.

وما هي إلا فترة يسيرة حتى جمع بيننا في مدرسة واحدة في قسم واحد، ولئن كانت ظروفي أهون بعض الشيء فإن ظروف محمد كانت اشد وطأ وأكثر قسوة، فهو عندما جاء إلى مدينة قالمة بمفرده للتعلم لم يجد ملجأ ولا مرفقا ولا متكأ.

كل ما هنالك أن أباه أودعه ، وهو في سن السابعة 7، رجلا اسمه عبد القادر بن إسماعيل يقال إنه تونسي الأصل ، كان "مراسلا " للتلميذ محمد بوخروبة على شيء من عسل أو زبدة كما يزعمون .

ثم تولى أمره سي المسعود الخياط صانع[1] "قشاشب وبرانس" حاله تشكو بؤسا وشظفا ، يقطن مع عائلته المكتضة في رواق تنعدم فيه شروط الحياة ومستلزمات الصحة وقد تضيق سبل الحياة فلم يعد سي المسعود يتحمل فوق ما يتحمل...

وإذا بنا نجد محمد نزلة أخرى عند خرشيش حسين الطبال –الذي هو من بني عدي–، فآواه واحسن إليه، ولكن قسوة الحياة عليه اضطرته إلى أن يخلي سبيله.

فلن يجد الحاج إبراهيم بوخروبة بدا من أن يستلم ابنه ليجعله للمرة الرابعة والأخيرة عند رابح دغمان الذي كان يعمل بمصلحة السكة الحديدية لقالمة[2] وهكـــذا يستمر محمد بين أخذ ورد، بين مد وزجر، يتدرج إلى أن جاء 8 ماي 1945 وهو له فيه قول ورأي.

لكن قبل ذلك، دعنا نذكر كيف كانت أخلاقه وأحواله الأخرى:

كان صبورا أنوفا، خجولا، حييا، لا يفشي سرا من أسراره ولا يبوح بألم من آلامه، دأبه العكوف على نفسه يسبر أغوارها ويستلهم أسرارها، متخذا منها كتابا يقرأه ورؤيا يعبرها.

---

[1] - كان يكتفي بالترقيع وإصلاح ما يمكن إصلاحه، وإلا فهو ليس بصانع حقيقة.

[2] - وإذا قيل كيف تتجافى عائلة سريدي عن إيواء الطفل محمد، فالأمر ليس جفوة أو غلظة، إنما هو اكتظاظ متزايد في مسكن –بشقة ونصف شقة-يضيق بخمسة عشر نفرا15...

تراه وكأنه حزين، تنظر إليه وكأنه يتيم، تشاهده وكأنه ليس له ناد

ولا معين، إنها هموم مثل الجبال-لتنوء بالعصبة أولي القوة-

تراه فينا غريبا وهو مع ذلك ليس بغريب، لا نفهم سبب عزلته عنا لأننا لم نكن ندري ما كانت تحمله نفسه من هموم عظام، ونراه يوم تولى مقاليد البلاد في قومه يشعر بغربة كأنها تلك التي أشار إليها المتنبي في قوله:

" أبدا أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في سعود

أنا في أمة -تداركها الله- غريب كصالح في ثمود"

أو كأنما اتخذ من هذا الحديث الشريف شعارا له:" كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" فجعل من ذلك برنامجا لحياته: زهد في كل شيء من متع الحية حتى مات ميتة الزهاد والنساك، لم يورث درهما ولا دينارا، فأحبه الناس حيا وميتا ولعله كان عند ربه مرضيا، وصدق الرسول العظيم إذ يقول:" ازهد عما في أيدي الناس يحبك الناس وأزهد في الدنيا يحبك الله"أو كما قال :

كان محمد معنا و نحن صغار و لم نكن ندري أنه يفكر تفكير الكبار، كان معنا ونحن نلعب كما يلعب كل الأطفال، وكان هو يربأ بنفسه عن كل ذلك: كان القرآن الكريم يملأ قلبه ويملك عليه سمعه وبصره، والإيمان يعمر صدره....

ثم إننا لذلك نغدو ونروح، وتبدل الزمان غير الزمان وعلا بعض الدول على بعض فرضخ المارشال فليب بتان (Philippe Pétain) " حاكم " فرنسا لحكم هتلر، وإذا السنوات العجاف على الأبواب فالتهبت الأسعار وأصبح كل شيء عسير المنال، فاشتدت على الناس وطأة الحياة واستبدت بهم البطالة من جراء الحرب العالمية الثانية المدمرة (1939-1945) .

لقد تغيرت الحياة وغار سحر الوجود، ونكص الخير واستطار الشر، لقد جف الضرع وحطم الزرع، وعم الجراد، وضربت السوق السوداء أطنابها فاستفحل الفقر واستحكم اليأس، وكان محمد يعي كل هذا ويخزنه في ذاكرته.

والزمن الذي أحكي عنه هو سنة 1942، وقد عرف عندنا بعام الفلي.[1]

فما هو عام الفلي هذا ؟

---

[1] - فلى يفلي فليا وفلى تفلية رأسه أو ثوبه: نقاهما من القمل.

لقد فرضت إدارة المدرسة أن يجرى علينا الفلي كل صباح داخل الساحة قبل الذهاب إلى الأقسام، وخشية أن نطرد كنا في ديارنا نقوم الصباح الباكر فنغتسل جهد طاقتنا ونسعى أن نلبس أنظف لباس مهما كان به من ترقيع ورثاثة(بلى)، ومع ذلك فالطرد لا مفر منه لأن "الوهم" جعل القائمين علينا يخشون أن يصابوا بداء "التوفيس" —عافانا الله وإياكم.

ولما رأينا الإدارة والمعلمين يهزءون بنا ويسخرون منا استبدلنا حرصنا على التعلم والتثقف باللهو واللعب، فلم نعد نكترث للطرد وأصبحنا نعمد إلى " سوق القمل" نستورد القملة، وعند الفلي نضعها في رقبة أحدنا أو كم ثوبه أو بين طيات قميصه فما يروعك من خلال هذا " الفصل المسرحي" إلا وأنت تشاهد المعلمة تصيح وتصرخ ثم تولي مدبرة هاربة ... كان محمد كأحدنا يخضع لهذا العمل المهين، لا يكلم أحدا ولا ينبس ببنت شفة، ولا يشاركنا فيما نخوض ونلعب.

كان هذا " حكمهم" فينا، مع أن نظافتنا كانت طيبة طبيعية بالماء والصابون طهارة و ذكاء، ونظافتهم كانت اصطناعية كلها وثن ورجس ونجس... وفي ذلك الزمن العسير كان هناك من يقتات بالجراد لكثرة الفقر وشدة البؤس...

ولكن ذرونا نعد بكم إلى جو الدراسة لأسوق لكم بعض الذي مازال عالقا في الذهن شيئا من متعلقات الماضي حيث كانت مدرسة ألمبير إطارا أو مسرحا " له: كان معلمنا " جوستي JUSTI صعبا للغاية، متشددا في كل ما يقدم لنا لغة وحسابا وتعبيرا، وكنا نحن كذلك أشداء على أنفسنا نعمل بقوة لانفتر ولا تلين لنا عزيمة.

وأذكر أنه كان في قسمنا ثلة من الذين تميزوا بحسن الخط والقراءة والكتابة والتفوق في الحساب، منهم محمد بوخروبة، باره عبد العزيز، زعطوط لخضر رحمه الله، سليمان بن عبده وآخرون ...

وكان التنافس على أشده بين الثلاثة الأوائل الذين عرفوا بالعناية والاهتمام والضبط في كل ما يأتون من عمل، وفي الامتحانات الفصلية تكون اليد الطولى لبوخروبة حتى أنه في يوم من الأيام ثار ثائره وأحمر وجهه واشتاط غضبا لكونه نزل في المرتبة الثانية في أحد الامتحانات.

كان – كما نرى – انزوائيا، وقد لا يدل الظاهر على الباطن، فقد ... محمد ينأى بنفسه عن أمور يراها لا تسمن و لا تغني من جوع ؟ ويبدو ... قسوة الحياة وشدتها أضافت إلى عمره أعمارا تعلم منها قهر النفس وكبح جماحها فنضجت عقليته وتوسعت مداركه، وتعلم منها كذلك تربية الإرادة واستلهم منها مثلا وقيما خاصة به، مثلا وقيما كان ينهلها من معين القرآن الكريم، وقد جئنا بهذا لكي لا نبخس الناس حقهم في الدين وفي المعتقد وفي الإيمان .

كان محمد اسما على مسمى: أمينا، ورعا، صابرا محتسبا كما يقول رجال الدين، قوي الشكيمة رغم هزال بنيته، صعب المراس رغم وداعته، ليبا لدنا قريبا غير بعيد رغم ما يرى عليه من علامات الإباء والكبرياء عزة وكرامة.

ولعل هذه المدرسة مدرسة الحياة كانت – بإذن ربها – تهيئ لمحمد ما يجعل منه في مستقبل قريب رجلا وأي رجل ...

وقد يتاح لي أن أشير إلى شيء مما عرف عنه نبوغا وتحملا وصفحا: نبوغا لأنه ذكي جدا يحل المسألة الحسابية في أسرع وقت ممكن، تحملا لأن طبعه مكابدة المحن والمشاق واجتيازها بذكاء خارق، صفحا لأنه كان يعفو ويغفر زلات رفقائه في المدرسة وتجرؤهم عليه، مثال ذلك محمد بوطاجين الذي كان يكثر من السخرية ويريد أن يمازحه طوعا وكرها...

ومحمد بوطاجين هذا أنفق عمره في السياسة، كان بعد الخروج من القسم يبيع جريدة الجزائر الحرة باللسان الفرنسي (Algérie Libre) لسان حال " حزب الشعب الجزائري " P.P.A " وكان يساق إلى السجن المرة تلو المرة وهو تلميذ صغير.

ومن الذين كانوا معنا في مدرسة ألمير، وقد لا أحصيهم كلهم:
مدور السعيد (سلطان) أمين وطني لدى المنظمة الوطنية للمجاهدين، وحاليا نائب في المجلس الوطني الشعبي عن كتلة التجمع الوطني الديمقراطي RND وسليمان تواتي برتبة عقيد في البحرية متقاعد، والأشتر محمد العربي (ولد النوايل) وسعيدي بشير ودغمان محمد وزميتي إبراهيم ومجلخ الشريف،و...و... في الحقيقة قسم فارع أوتي من القدرات والملكات والمواهب ما أوتي، ومحمد بوخروبة الصدارة في ذلك.

ومهما حاولت الوصف فإني سأبقى دون مقام هذا " الفتى" ذكاء وأخلاقا وتواضعا وهمة وعزيمة، وإني أخشى أن تزيغ بي الذاكرة لأقول ما ليس لي بحق وأخرج عن سنن القصص الحق، وليس لي إلا أن أزيدكم شيئا آخر عن محمد في دراسته:

كان المعلم يكلفنا بالقيام بالفروض ويأمرنا بحفظ ما درس، كان محمد يأتي إلى القسم بأعماله مرتبة منظمة، لا حشو فيها ولا لغو ولا فضول، بخط لاتيني جميل هو آية في الروعة والكمال، كان نظيفا طاهر الثوب على ما به من بلي وقدم، كان حفاظة سريع الفهم والإدراك، يتلقى كل ما يلقى إلينا بذاكرة خارقة، يلتقط كل شاردة وواردة لا تعجزه مسألة ولا يعضله حفظ.

ومن النوادر أنه كان لنا في يوم من الأيام استعراض لدرس التاريخ و لم يكن محمد يدري ذلك، فبينما كان أحد أصحابنا يستعرض كان محمد يتابع سمعا وإنصاتا فلما جاء دوره للإلقاء ألقى الدرس وهو يجيده فكأنما قضى ليله في الحفظ.

ومن مجالات التنافس الأخرى، بشأن المرتبة الأولى من هو أولى بها وأحق فإن هناك سجالا بين ثلاثة الزعامة لثالثهم :

01 – زعطوط لخضر، 02 – باره عبد العزيز، 03 – بوخروبة محمد.

كـــان صاحبنا غيورا على سمعته ومكانته، يسعى دائما أن يظهر بمظهر الكامل المتكامل، لا يعييه جهد ولا تضنيه المعيشة الضنك.

والحديـــث في هذا يطول ويعرض، ولعلكم شممتم أن للطفولة شخصيتها المتميزة وعظمتها المتجلية ((ولتعلمن نبأه بعد حين)) يوم نرى محمد بوخروبة يـــتقمص شخصـــية هواري بومدين قائدا للولاية الخامسة سنة 1957 ثم متوليا قيادة الأركان العامة سنة 1959.

عـــلى أننا لاندري بالضبط – وقد طال الأمد – متى كان انقطاعنا عن مدرســـة ألمـــبير بل متى كانت زحزحتنا عنها بالضبط. أما أنا (وعمري أبرع عشرة 14 سنة، فقد ذهبت إلى مدرسة مهنية أنا ورفيقي عبد العزيز باره نتعلم بها أصول النجارة لمدة تربو على العامين، كان ذلك نظرا وتطبيقا، كتابة وعملا تحت إشراف اختصاصيين هم من قالمة كذلك.

لكـــن هذا كان عملا لا أطمئن إليه ولا أستسيغه... غير أني لا أدري كـــيف تقدمـــت إلى مســـابقة (Concours) على مستوى الشرق الجزائري، أجريت للدخول إلى ما كان يسمى بالمدرسة (مقابل مقهى النجمة)، فنجحت واجـــتهدت وقد تبحرت في أساليب العربية، وتعلمت اللاتينية التي بها أدركت أسرار اللغة الفرنسية، ومن المعلوم أ ن اللاتينية هي أم اللغات السائدة في بلدان أوروبية مثل إيطاليا وأسبانيا وفرنسا والبرتغال...

أمـــا محمـــد فقـــد رجـــع بعـــد " الزحزحـــة " إلى بني عدي حيث أتم حفـــظ القـــرآن ونصب نفسه معلما يعلم الأطفال القراءة والكتابة خلال 1947-1984، معـــتما بعمامـــة، لابســـا سروالا عربيا تعلوه بردة لا قصر فيه ولاطول، ثم كأن المقام لم يطب له فولى وجهه شطر قسنطينة في سبتمبر 1949. مـــيمما معهد الكتانية طلبا للعلم، وبعد برهة تبين له أن البرامج التعليمية بهذه المؤسســـة لم تعـــد تـــروقه و لم تعد تشبع نهمه في العلم، وكأن هناك قلقا أخذ يستولي عليه وربما أصبح يفكر في رحلة ما ليوم ما.

الآن وقد بلغ محمد من العمر تسعة عشر عاما (19) فلا بد له من المثول كغـــيره مـــن الأتـــراب أمام مجلس" المراجعة Conseil de Révision " ويتم التصريح بأنه أهل للخدمة العسكرية.

ومـــن المعلـــوم أن أصحاب السنوات 1946 – 1947-1984- 1949 - 1950 كـــلهم أعفوا من الخدمة العسكرية بسبب مأساة 08 ماي 1945 الدامية التي نكبت البلاد والعباد.

وهـــنا أجدني ألج معكم بابا من أبواب رحلته ، وأنا فقير إلى من يهديني إلى ســـواء القصة لأنني " غر غرير "، وقد أذكر أن بوخروبة لما عقد العزم على السفر نادى ثلاثة من أصحابه، واجتمعوا عند هيكل الأموات (Monument aux Morts) بأعـــلى المستشفى الجامعي المحاذي لقنطرة الهواء، ألا إنهم هم : بوخـــروبة، شـــيروف، مومن، ومقدم لخضر من فرجيوة فلما عزم الأمر كانت وجهـــتهم تبســـة، موغلين في السير بين قفصة وقابس إلى التراب الليبي في بني قردان الحدودية.

ولمـــا وصلوا إلى طرابلس تفرقوا اثنين اثنين، فكان شيروف محمد الصالح ثاني اثنين، (بوخروبة وشيرف) وهو الصاحب في الرحلة، وأترك ما كان من أمر الآخرين للأستاذ شيروف...

كانـــت الرحلة شاقة متعبة فيها مغامرات وأهوال يقصها علينا شيروف ... وهمـــا يدخـــلان مصر يجدان أمامهما عقبة أخرى لأن الحكومة المصرية لا تسمح بالدخول إلا بوثائق رسمية، فما كان من شيروف وبوخروبة إلا أن اقتربا من القنصلية الفرنسية بالقاهرة حيث سعيا لتسوية وضعيتهما فاستفادا بذلك من منحة على أنهما طالبا علم جاءا ليدرسا...

نحـــن في ســـنة 1952 ، وعلى محمد أن يذهب لأداء الخدمة العسكرية ففتش عنه وأرغم أبوه ليدل عليه فقال إنه بالقاهرة، فاتصلت السلطات الفرنسية بمصالح قنصليتها طالبة عودته إلى الجزائر " عزما عاجلا"، فلما بلغ رفض رفضا باتـــا ولجأ إلى السرية وأصبح في القاهرة" خائفا يترقب " خوف من تفوته هذه الفرصة فرصة الإفلات من مخالب الاستعمار الفرنسي....

ومـــر مـــا مر من الزمن، وفي أوائل 1955 هناك من يحدثنا عن مكتب المغـــرب العربي: يمثل فيه الجزائر محمد خيضر، والمغرب علال الفاسي، وتونس صـــلح بـــن يوســـف، وكـــان المكتـــب مفتوحـــا أمام المغاربيين ليتصلوا ويتهيكلوا فيه ...

أمـــا والـــثورة الجزائرية آخذة في الزحف فلا بد لها من المال والسلاح، وجاء بن بلة على عجل يطالب بالسلاح قبل كل شيء، وكان بينه وبين جمال عبد الناصر علاقة متميزة علاقة إعجاب وتقدير متبادلة جعلت المصريين ينظرون إليه على أساس أنه " رمز الثورة " .

كـــان بن بلة جريئا جسورا، يكلف نفسه من أجل الجزائر "ما لا تدعيه الضـــر اعـــم"، فتح مراكز لتفريغ سفن مشحونة بالسلاح في طرابلس الغرب وغيرهـــا، كـــان هو أول من يقوم بتفريغ السلاح يحمله على ظهره وينقله إلى اليابسة. وقبل إنه تعرف على شخص من قالمة اسمه عبد الله عجابي واتخذه خليلا ثم إننا نعلم أن عبد الله التحق بالجزائر عبر تبسة...

ثم إننا لا ندري أي سبيل سلك محمد بوخروبة وعبد الله عجابي لينتظما في الكلية الحربية في بغداد بالعراق؟...وهذا بكل تحفظ...

ولتشابك الظروف وتداخلها، ولبعدها عنا زمانا ومكانا، ولا فتقارنا إلى أمهات المعلومات فإننا نسير على حذر، نخشى أن تزل قدمنا إذا غامرنا بالحديث عن سفينة الملكة الأردنية دينا زوجة الملك حسين كيف " اختطفت " [1] ومنشئ سلاحا في الإسكندرية (مصر)، ثم كيف تم توجيهها إلى ميناء في إيطاليا، ثم إلى مليلة بالناظور (المغرب) حيث أفرغت لفائدة الثورة الجزائرية، وكيف قامت عاصفة هوجاء كأنما جاءت ردءا وعونا " لمختطفي " السفينة ... وكيف... وكيف ...

وإنه " لأمر يطم عليكم وخطب لا يتم " وهي مغامرة من أكبر المغامرات على حد قول المرحوم الراحل: "ولو قرأت عليكم تفاصيلها لم آمن المقت وإضاعة الوقت ".

كل ما في الأمر أن الشرطة الأسبانية " ألقت القبض " بل أوقفت كل أفراد السفينة للتحقيق معهم ثم بعد ذلك أطلقت سراحهم، من بين هؤلاء النفر محمد بوخروبة الذي اجتاز الحدود إلى الجزائر ليصبح عضوا بمجلس الولاية الخامسة التي تضم وهران وتلمسان وما إليهما.

بعد استشهاد بن عبد المالك رمضان في 04 نوفمبر 1954 تولى زمام الأمور بالولاية الخامسة عبد الحفيظ بوالصوف، وأرجو أن أصحح فيما أنا بصدد سرده خلال هذه المرحلة وما يليها لأني لا أكاد أتبين قليلا أو كثيرا من مجريات الأحداث لأن هذا تاريخ والتاريخ صدق لخبر، وتحقيق في نظر، وعلم لأثر، وهو بالتالي دروس وعبر.

يلتحق بوالصوف بالقاهرة لينضم مباشرة إلى لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E) التي تتشكل الباءات الثلاث، بن طوبال، بوالصوف، بلقاسم كريم ...

في 1958 يبزغ نجم محمد بوخروبة من رائد إلى عقيد يخلف بوالصوف على رأس الولاية الخامسة، وأصبح يعرف بـ : هواري بومدين، وهو اسم منحوت من اسمي رجلين صالحين عرفا بالتقوى والورع والصلاح، يسارعان في الخيرات أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، اقترن اسمهما أو اسم كل واحد منهما

[1] - كان مدبر الاختطاف محمد بوخروبة.

بما اشتهر من المدن الجزائرية العريقة الأصيلة ألا وهما سيدي بومدين بتلمسان ذات المجد الأثيل، وسيدي الهواري بوهران ذات الصيت البعيد.

في هذه السنة (1958) تأسس مايعرف بـــ: COM commandement des opérations militaires: قيادة العمليات العسكرية وفي سبتمبر من السنة ذاتها تم الإعلان عن تشكيل حكومة جزائرية في المنفى مقرها القاهرة، وفي أواخر هذه السنة (1958) حدث بعض التململ بشأن الهيئة التي أحدثت في هرم الجيش (قيادة العمليات العسكرية) فنشأ ما قيل إنه نزاع أو مؤامرة العقداء (لعموري عواشرية وآخرون) .هذه مسألة تترك لأصحاب الاختصاص أو للذين حضروها أو عاينوها ... لأن السمع لا يفيد وكما قيل : آفة الأخبار رواتها .

أوائل 1959 نجد بومدين الذي خلفه العقيد لطفي، نجده في الحدود الشرقية يترأس المحكمة العسكرية بشأن "النزاع" الذي أشرنا إليه آنفا ، ثم هو يتولى قيادة الأركان العامة للجيش شرقا وغربا و"داخلا" في عهد الثورة وعمره لا يتجاوز سبعا وعشرين سنة(27)، وإنـــها لمن أخطر المسؤوليات وأعظم المهام، و: " على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم"

جاء بومدين فنظم الجيش إلى فيالق وأزال ما علق به من تكتلات، وطهره من "التعصبات" ورفعه إلى مستوى التآخي والتآلف بتوحيد صفوفه وتكوينه تكوينا متلاحما جعله يرقى إلى مصاف الجيوش العصرية وأرغم العدو على التعامل ندا لند .

كان يحرس دائما على روح التداني والتصافي بين أفراد الجيش، لا تغمض له عين عن كل صغيرة أو كبيرة ولا يحب أن يمس أحد من الجنود بسوء.

كان يجمع ويقارب بين عناصر الجيش الذين اعتنقوا الثورة مباشرة بالصعود إلى الجبال و"بين" أولئك الذين فروا من صفوف الجيش الفرنسي وكان يرى أن ما جمع هؤلاء وأولائك إنما هو الإيمان بالثورة والتعلق بحب الوطن، أليس حب الوطن من الإيمان ؟! .. ومن الضباط الذين انضموا إلى الثورة : زرقيني، بوتله، عبدالمؤمن، شلوفي مصطفى، الرائد إيدير والجراح الأستاذ عقون وغيرهم. ذلكم بإيجاز هو بومدين صانع الأمجاد ومحرر العباد، العباد، إنه رجل المواقف لاتزيغ به الطوائف، وهو مقيم المؤسسات باختلاف أنواعها، ومسترجع الخيرات إلى أهلها تأميما وتعميما...

لعلي، وأنا أجر الخطو بصعوبة، وقد أشرفت على النهاية، وكأن دهاليز التاريخ وغيابات الماضي تحول دوني ودون التواصل والمواصلة أي أذكر شيئا حدث بين الحكومة الجزائرية المؤقتة وقيادة الأركان العامة بسبب طيار فرنسي أسقطت طائرته قرب [1]ملاق وألقي القبض عليه بعد أن أستعمل مظلته، وسبب الخلاف أن فرنسا تريد استرجاعه ، وبورقيبة يتدخل لدى الحكومة الجزائرية المؤقتة لإطلاق سراحه فتوافق على ذلك، وقائد هيئة الأركان العامة (بومدين) لا يوافق.

ولست أدري هل مارست فرنسا ضغطا على بورقيبة أو أنه فعلها من تلقاء نفسه، ولست أدري لماذا وافقت حكومتنا كما أني لا أعلم شيئا عن رد قيادة الأركان العامة بالرفض، ثم إني، في الأخير لا أدري ما آل إليه مصير ذلك الطيار!...

أواخر 1960 أوائل 1961 يجتمع المجلس (CNRA) الوطني للثورة الجزائرية في طرابلس بليبيا للنظر فيمن يخلف فرحات عباس ، كان كريم بلقاسم يريدها (الخلافة) ولكنها جاءت لـــ:بن خدة:

"جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على القدر"

يومئذ كانت شهرة بومدين قد طبقت الآفاق، فشعبيته في تعاظم، وأمره في تصاعد ونجمه في علو وارتفاع، وهمته في تزايد بلا انقطاع، ومن المحتمل أن بن خدة ما كان ليرى هذا يعين الإعجاب فقادته جولة استطلاعية إلى الحدود الشرقية ليتفقد الجيش واتخذها ذريعة ليدلي في خطابه بما يدلي ، فلم يكن هناك صدى لكلامه لإعراض الضباط عنه، فما زادهم خطابه إلا نفورا منه وتمسكا بقائدهم، لأن قلوبهم أشربت حب بومدين الذين أصبح بالنسبة إليهم رمزا وعربونا: رمز وفاء وعزة وكبرياء ، وعربون تضامن وتكافل لمستقل كريم مجيد.

بومدين الرجل المؤمن بالله ورسوله ، لا كفر ولا جحود ولا إلحاد، وخسئ من حاول أن يلصق به ما ليس منه، إنه رجل التوازن الجهوي، وماحي الفوارق، وباني المئات من المساجد، ومنشئ الجامعات والمدارس والثانويات،

---

[1] - بمسكيانه

واد ملاق : منبعه بمسكيانة ، يمر بالعوينات مخترقا الحدود الشرقية الجزائرية.

لعوينات : في ولاية تبسه ، وهي مدينة جميلة.

ومقيم المؤسسات باختلاف أنواعها، ومسترجع الخيرات إلى أهلها تأميما وتعميما...

وما الاشتراكية التي عرفناها في عهده إلا من مقررات ما صادق عليه المجلس الوطني للثورة الجزائرية قبيل الاستقلال، ولم يأت في هذا المجال بشيء من عنده، ولو طال الزمان به لكان له موقف آخر...

رحمك الله يابومدين حيا وميتا ، كنت رفيع الدرجات بين الأحياء، وأنت اليوم في الأموات أعلى مقاما :

"علو في الحياة وفي الممات *** لحق تلك إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا *** وفود نداك أيام الصلات "

فتحت المصانع والمعامل والمدارس والجامعات وكل مرافق الحياة لأبناء هذا الشعب دينا وحضارة ، فكيف لا يحبك أبناء هذا الشعب ، فعليك رحمات من الله تترى (أي تتتابع وتتواصل) إلى يوم الميعاد.

لئن كانت المرحومة بوهزيلة تونس أنجبت هواري بومدين (بوخروبة محمد) فإن هناك أما أخرى أنجبت عبد القادر المالي (عبد العزيز بوتفليقة) . إنهما لصنوان في شجرة القيم والمثل وفي دوحة العلى والمكارم ، ولئن رحل عملاق فقد خلفه عملاق آخر وكأنما لسان الحال يقول :

"وما أنا راض أنني واطئ الثرى ولي همة لا ترتضي الأفق مقعدا
أرى الخلق دوني إذ أراني فوقهم ذكاء وعلما واعتلاء وسؤددا"

إنه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة من الرعيل الأول، من الرفقاء الأولين رفقاء بومدين على الدرب وفي السلاح جاء يدعو إلى الله على بصيرة لإصلاح ذات البين تحقيقا للمصالحة الوطنية ، يحمل الجزائر في فؤاده، ويزجي الصفوف إلى النهى والفضائل.حمل الأمانة على أحسن وجه، مناديا العزة والكرامة، مراعيا حقوق البلاد والعباد.إنه أحسن خلف لأحسن سلف، وفضائله ومزاياه فينا لا تحصى ولا تعد...

وإنها لسنة الكون: شتاء وربيع صيف وخريف، طفولة وشباب كهولة وشيخوخة، قوة فضعف، حياة فموت، ازدهار فذبول، صعود فهبوط موج بعد

موج وجيل عقب جيل وتواصل إثر تواصل، وتلك هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله بديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.

الحاج مصطفى سريدي

- مفتش التربية والتكوين بوزارة التربية الوطنية (متقاعد)
- رئيس المجلس الشعبي الولائي (1974-1975)

لولاية قالمة (يوم كانت سوق أهراس، والأحواز التابعة لها وبوحجار وسدراتة تابعة لولاية قالمة)

- المشاركة في الملتقيات الثقافية والأدبية منذ فجر الاستقلال إلى يوم 26 جوان 2004 بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية رعاها الله وحفظها ومن فيها ومن حولها، وأن بورك في الجزائر وفي كل العاملين فيها ولها صدقا وإخلاصا.

هواري بومدين رحلة أمل

الأستاذ/محمد الصالح شيروف

من هنا فقط بدأ سي محمد بوخروبة يخطط من أجل خوض غمار مغامرة في رحلة إلى القاهرة مليئة بالمخاطر، لقد شاع صيت الجامع الأزهر في العالمين العربي والإسلامي، فرغب الشباب في التنقل إلى مدينة القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف والتسجيل ضمن طلابه.

إن حياتنا بعد التحاقنا بالمعهد الكتاني بقسنطينة كانت إلى حد ما عادية، فالإقامة بدار بن جلول كانت هي الأخرى مقبولة، إن بساطة سكان حي السويقة التي ضمت عائلات جزائرية عرف عنها تمسكها بتقاليد الآباء والأجداد وكذا الحفاظ على القيم العربية الإسلامية، فتجار حي السويقة يمدون سكانه بكل متطلبات الحياة اليومية الشعبية بأثمان زهيدة إلى حد ما تتماشى والقدرة الشرائية لأغلب سكان قسنطينة، فالطريق الرئيسي بحي السويقة توجد على جانبيه دكاكين مكتظة، رغم ضيق النهج يتعاطى أصحابها جملة من النشاطات التجارية، يغلب عليها عرض هائل للمواد الغذائية على اختلافها وكذا المكسرات وأنشطة أخرى متنوعة كاللحوم الحمراء والبيضاء، ولم يكن نشاط تجار أهل السويقة متوقف على القاطنين بها وحسب، بل يقصدها المواطنون ذوي الدخل المحدود والمتوسط لابتياع حاجيات منازلهم اليومية تبعا لأسعارها المتماشية مع القدرة الشرائية لأغلب سكان قسنطينة المحدودي الدخل.

كان سي محمد خروبة يحدثني باستمرار عن هذا المستوى العلمي المتدني ويطمح إلى أفاق علمية لم يعرب لي عنها بعد، لكنه كان يردد وهو بـــ ((أن الاستعمار البغيض فرض علينا وضعيات كثيرة لا تتماشى وروح العصر، فاستراتيجيته تتمثل في رصد الأبواب الحديدية في وجه المواطنين الراغبين في التحصيل العلمي والثقافي لأنه يدرك سلفا أن فتح أبواب العلم والثقافة لأبناء

الجزائر سيؤدي حتما إلى خلق وعي قومي وروح وطنية قد تقضي نهائيا على هيمنته، لذلك عمل وبكل الوسائل على ترك الشعب الجزائري يتخبط ويصارع مختلف الآفات الإجتماعية الفاتكة كالجهل، المرض، الفقر، البطالة والتأخر الإجتماعي، لذا نرى استمرار الانتفاضات الوطنية، آخر إحدى حلقاتها انتفاضية 08 ماي 1945 والتي قدم خلالها شعب الجزائر 45000 شهيد كانت هذه الانتفاضة القطرة التي أفاضت الكأس والمقدمة الأساسية لثورة العصر ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة خلود أرواح شهدائها الابرار)).

كانت نشاطتنا السياسية ضمن خلايا حركة انتصار الحريات الديمقراطية بمدينة قسنطينة زيادة على النشاط المعرفي المبذول من خلال المطالعة المستمرة في كل كتاب نتمكن من الحصول عليه ضمن الأمهات والموسوعات الأدبية والعلمية والشرعية، سواء عن طريق الاستعارة أو الاقتناء.

إن الثقافة المصرية كانت مسيطرة على توجهنا الثقافي والمعرفي، من هنا كان سي محمد بوخروبة منكبا على الاعداد والتخطيط بطريقة سرية لخوض غمار مغامرة الرحلة إلى القاهرة المكلفة ماديا ومعنويا والمحفوفة بالمخاطر، أشرت إلى ذلك بعد.

إن الأحلام التي كانت تراوده باستمرار للالتحاق بالجامع الأزهر الشريف والانضمام إلى طلبته والتمتع بما يلقى من دروس على أيدي علمائه الأفاضل، كان حلما جميلا، لكن تحقيقه علميا يحتاج إلى طرح بعض المعطيات التي تفضي إلى تحقيق ذلك، فالأحلام الذهبية وحدها لا تكفي، بل يجب إعداد الشروط الضرورية وطرحها للبحث كي يكون الحلم أقرب على الحقيقة منه إلى الخيال المفرط.

إن مقهى البهجة بنهج ((شوفالي)) تعتبر المكان المناسب والمفضل لنا فيه نراجع الدروس، وفيه نتجاذب أطراف الحديث حول موضوعات شتى، وفيه نناقش الأفكار الأساسية لما نقرأ في بعض الكتب الأدبية والتاريخية والسياسية والعقائدية أحيانا، كان سي محمد بوخروبة يفضل المطالعة ليلا ويحبذ النوم صباحا حتى أنه يتغيب عن حضور بعض الحصص الصباحية خاصة الحصة الأولى، كنت كلما ذكرته بفائدة هذه الحصص الصباحية باعتبار كونها تمثل المواد الأساسية فكان يقول : ((البركة فيما تسجله وتحفظه فإن مراجعتنا الثنائية

كافية بإجبار وتعويض ما تأخرت عن حضوره وما تأخر عنه مستقبلا يا أخي فالدروس عبارة عن توجيهات لاخير وأن ما يردده مشايخنا الأفاضل وهو مسجل في الكتب يمكننا الإطلاع عليه واستيعابه بكل سهولة وحفظ مايستوجب حفظه)) ، أما المكان الثاني [illegible] لنا الجلوس فيه نراجع فيه بعض الدروس ونناقش فيه موضوعات شتى [illegible] غرب مستشفى قسنطينة، فيها على مناظر خلابة المزينة بصخور أجمل يشرف الجالس فيها على مناظر خلابة فالجسر المعلق أمامنا والمنخفض الجميل بسيدي لمسيد هو الآخر يسحر الجالسين على تلك المقاعد الحجرية ، فالمدينة القديمة أمامنا جميلة هي الأخرى.

كل شيئ بمدينة قسنطينة رائع الجمال والسحر، كنا نتردد على دور السينما في بعض الأحيان عندما يروق لنا فيلما ماقصد الترفيه والتخفيف عن متاعبنا الدراسية، ترددنا قليل جدا على تلك الدور، وفي بعض الأحيان نقصد سطحة المنصورة لمزاولة بعض النشاطات الرياضية ككرة القدم مثلا باعتبارها اللعبة الشعبية المحببة ضمن طلبة المعهد الكتاني او المعهد الباديسي فالمنصورة كانت يومها أرض بور في أغلبها ونتيجة عدم توفر دور الشباب والمساحات الخضراء بالمدينة لأمثالنا نحن طلبة المعهدين معا، نلجأ إلى أرض بور على أطراف المدينة كمنطقة المنصورة لمزاولة لعبة كرة القدم، أما العطلة السنوية فكنا نقضيها بالريف حيث نتمتع بهوائه النقي وجمال الطبيعة التي تمتاز الجهة بها،فمرة بحمام دباغ (المسخوطين)، وأخرى بإقامة عائلتي أو عائلته بالريف الجميل، وكانت الإقامة بريفنا الجميل الذي تنسج غاباته بساطا رائع الجمال ممتعة بين أحضان الطبيعة الساحرة ، فأبو سي محمد بوخروبة الحاج ابراهيم رجل طيب بسيط وكذا والدته كانت هي الأخرى طيبة بسيسطة كلما حللنا عندها إلا وأكرمتنا غاية الإكرام وتفننت في إعداد الأطعمة التقليدية، وأمي كذلك بسيطة تحبنا وتجتهد في تقديم أجود أنواع المأكولات الريفية لنا إن احترام أهل الريف عموما لطلبة العلم واعتبارهم الطبقة النيرة والنخبة التي تستحق كل احترام وتقدير وتبجيل هذه النظرة لها آثار إيجابية على معنويات طلبة العلم وتدفعهم إلى الاجتهاد والتفوق على الأقران.

لهذا فكر مليا خلال عطلة صيف 1951 في القيام بمغامرة تاريخية، لقد كان دوما يتطلع إلى إكمال دراسته بالقاهرة، خاصة بعد عثوره على كراسة تخص

عمه عندما حج راجلا، يكون قد سجل فيها مرحلة الذهاب من مدينة قالمة إلى القاهرة ، اعتبرها خريطة هامة لاستخدامها كوسيلة لمغامرته، إن الحاج سجل كل المدن والقرى بدقة حيث كانت هذه المفكرة الوسيلة الأولى في بناء خطة الرحلة.

إنه كان لا يعبأ بالدروس التي يقدمها مشايخ تآكلوا معرفيا من كثرة ترداد ماحفظوه من دروس، إن ذلك لا يروي ظمأه رغم مطالعته المتواصلة وقراءة كل كتاب يقع بين يديه، فالمؤلفات المصرية على الخصوص جعلته يفكر يجد في استكمال دراسته بالقاهرة.

ولكن كيف ؟ ومتى ؟ إذن، لابد من التفكير بالقيام بمغامرة تمكنه من الوصول إلى ما يصبو إليه لاستكمال تعليمه، وقد استقر رأيه في النهاية على القيام بالمغامرة نحو القاهرة، غير أن ذلك لا يحدث بدون تخطيط محكم، حتى يضمن نجاح تلك المغامرة.

بدأ الشاب سي محمد بوخروبة أولا عمن يرافقه ويشاركه في هذه المغامرة التاريخية.

إن علاقتي الوثيقة به منذ 1947 توطدت أكثر بعد التحاقنا بالمعهد الكتاني بسوق العاصر بقسنطينة للموسم الدراسي 1949/1948 حيث كان من نتائج هذه العلاقة الاتصال المباشر بين العائلتين وعقد زيارات متبادلة بينهما، حيث تجذرت أكثر بعد التحاقنا بالقاهرة .

حيث كنا نقيم معا في دار بن جلول التي كانت مقر إقامة طلبة المعهد الكتاني، والتي تعود أصلا إلى الزاوية الحملاوية كما قيل يومئذ الواقعة أمام معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله (بالبطحة) بالإضافة إلى دار باشتارزي بنهج الأربعين شريف، حيث كان يقيم بعض زملائنا بها، وبناء على الصداقة القوية التي كانت تربطني به اختارني كرفيق له لتلك المغامرة التاريخية من قسنطينة إلى القاهرة، مع الأخوين محمد العربي مومني من دائرة واد زناتي (ولايةقالمة لاحقا) ومحمد لخضر مقدم من دائرة فج مزالة (ولاية ميلة لاحقا) غير أنهما لم يوفقا في الرحلة لأسباب أجهلها لحد الساعة، فرجعا من طرابلس، يومئذ أثناء مواصلتنا الرحلة من طرابلس إلى بنغازي أنا والرفيق سي محمد بوخروبة.

لقد كانت الرحلة جد شاقة ومكلفة صحيا ونفسيا، ولكن ذكاء سي محمد بوخروبة كان دائما يذيب ثلوج الصعاب التيب تحاول أن تحول وتحقيق طموحتنا أثناء الرحلة.

رحلتنا من قسنطينة إلى القاهلرة عبر تونس، طرابلس، بنغازي، مرسىمطروح، الاسكندرية، فالقاهرة راجلين خوفا من أن نقع بين أيدي رجال الأمن، لذلك كان لابد أن نسير بمحاذاة البحر على بعد 06 كيلومترات تحاشيا لرجال الأمن، إن المسافة بين طرابلس وبنغازي حوالي 950 كيلومتر، صحراء قاحلة موحشة ذكرت في حديثي أثناء رحلة الأمل أننا لم نحمل معنا جوازي السفر باستثناء بطاقتي تعريف رسمتين أثناء قطعنا مسافة 4500 كيلومترا من قسنطينة إلى القاهرة خلال ثلاثة أشهر ونيف مدة رحلتنا.

إني بحكم تزاحم بعض الصور الرائعة التي عايشناها أثناء رحلة الأمل، تلك، من قسنطينة إلى القاهرة والتي تؤكد بأن الشدائد تصنع الرجال فعلا، وقد صنعت شخصية القائد الثوري هواري بومدين، إنه احب وعشق الجزائر العزيزة منذ نعومة أظفاره حتى النخاع أسجل بكل فخر واعتزاز أنه عاش رحمه الله ثوريا، واستشهد من أجل الجزائر ثوريا، وسيحشر بإذن الله مع الشهداء الأبرار.

إن الشاب سي محمد بوخروبة كان من اسرة معوزة تقطن بالريف لا تملك شيئا سوى الإيمان بالله وبالوطن، شانها في ذلك شأن الملايين من أبناء هذه الأمة الثائرة الماجدة، الصابرة، المتواصل كفاحها منذ زمن بعيد، إن الشعب الجزائري هضم حقه في الحياة الكريمة على يد غلاة الاستعمار الذين كانوا يزعمون أنهم يحاولون بكل الوسائل محاصرة الصور الاجتماعية المتدينة التي كانت تهاجم حياة الشعب الجزائري الذي كان يئن وطأتها كالجهل، البطالة، المرض، الفقر...إلخ وإخراجه من دوامة تلك الأمراض الفاتكة على حياة أفضل، لكن العكس فهو الذي حدث، فد سلط عليه الظلم الاستعباد، الفقر، مصادرة حرية الفرد والجماعة معا، كل الآفات الاجتماعية ألمت بهذا الشعب طيلة قرن وربع، هكذا كان يرى غلاة الاستعمار تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية في الحرية والمساواة والإنسانية والإخوة... إلخ، لكن تلك المبادئ كانت شعارات جوفاء للاستهلاك الخارجي مع الأسف الشديد.

إذن، من أجل الإعداد للرحلة لجأنا جميعا إلى بيع حاجياتنا المتوفرة وما أحقرها وماذا تتصورون أن بيع سي محمد بوخروبة ياترى ؟ لقد باع مطرحه الذي ينام عليه وبطانية ومخدة وبعض الأغراض الأخرى التي ينبغي التخلص منها، ولكن من المؤكد أننا جميعا نحن الأربعة بعنا بعض أمتعتنا بالسوق الشعبي أسفل جسر سيدي راشد والبعض الآخر برحبة الجمال بقسنطينة، لم يتجاوز ثمن مابعناه 40 ألف فرنك قديم يومئذ، كان من الممكن أن نحمل معنا مبلغا أكثر نظرا للإمكانيات المادية التي تتوفر لبعضنا، غير أننا كنا نخشى إذ صارحنا الأهل أن يقوموا بأبطال المشروع، ولهذا فضلنا الحاجة على البوح بما نحن مقبلون عليه ولقد باع سي محمد بوخروبة فراشه وغطاءه من أجل العلم، وللعلم وحده، رحمه الله القائد وأسكنه فسيح جنانه.

إن الصور الرائعة التي عشناها طيلة رحلتنا إلى القاهرة ترسمها لنا تلك المتاعب التي كانت تصادفنا بين الفينة والأخرى فالرحلة كانت طويلة وشاقة ونحن لم نضع في حسابنا ماكان ينتظرنا بدقة، تبعا لنقص الخبرة من جهة، وصغر سننا من جهة أخرى خلال هذه المغامرة، خاصة في الإعداد المادي الضروري لها، إنه اندفاع الشباب الذي كان يدفعنا فعلا إلى ركوب مصاعب جمة تفوق طاقتنا، ورغم ذلك فإن الرفيق دائم التفكير بعمق لإيجاد الحلول المناسبة لأية صعوبة تواجهنا اثناء الرحلة، ومأأكثرها إنها صور رائعة حقا وحية جديرة بالتسجيل والتحليل المعمق معا، لأنها مرتبطة أصلا بكفاح شاب طموح، أثبتت الأيام بعد على أنها كانت إرهاصات لقائد ثورة أول نوفمبر1954 الخالدة الصامدة في وجه غلاة الاستعمار وشراذم شذاذ الآفاق الذين جلبتهم القوة الاستعمارية الغاشمة لتوطينهم بأرض الكنانة، إنه القائد الثوري الرئيس الراحل هواري بومدين.

لقد واجهنا برد الصحراء القارص ليلا وحرارة النهار تلهب الأجسام، وسي محمد بوخروبة المعروف بنحالة جسمه لا يساعته، حيث كنا نقوم بالدفن المتبادل في الرمل ليلا حيث نحفر قبرين بحجم جسمينا بجانب بعضنا فيقوم كل واحد منا بمواراة زميله في الرمل بواسطة القذف المتبادل للرمل، ولا نترك غير رأسينا لأجل الاستمتاع بما تبقى من دفء في الرمل من جهة واتقاء لسعات العقارب والأفاعي من جهة ثانية، نبقى هكذا تحت الرمل حتى ينبلج الصبح

لليوم التالي، وهكذا دواليك، ومن الصور الرائعة لمرعبة في آن واحد، إنه عندما كنا ذات ليلة في صحراء ليبيا نتطلع إلى أخذ قسط من الراحة في النوم هاجمنا ذئب جائع افترسنا في سكون الصحراء، في تلك اللحظة حاولنا بجميع الوسائل المتاحة إبعاده عنا، غير أن ذلك لم يجد نفعا أبدا أمام إلحاح الذئب الهائج ، ولكن صبر ودهاء سي محمد بوخروبة هدأ من روعي بعد ما لاحظت خلال ذلك، أنه جذب حقيبته ثم فتحها بسرعة فائقة واخرج منها شمعتين مع علبة كبريت فأشعلهما ثم أقامهما أمامنا، حينذئذ بادرته بالسؤال، لماذا فعلت هذا يا سي محمد؟ فقال وهو يبتسم ابتسامة المنتصر: ((ألم تعلم أن النار تخيف الحيوانات فلا تقترب منها، ألم تق{ا هذا في كتاب الحيوان للجاحظ؟)) لقد تململ الذئب، ثم فر هاربا عندما لاحظ النار تتمايل هنا وهناك بفعل نسيمات الليل الهادئ تحت ضوء القمر ولمعان النجوم في السماء العلا، بعد إنصرافه هدأ روعي وماهي إلا لحضات حتى غرقنا في النوم نتيجة التعب المضني الذي نشعر به عند نهاية كل مرحلة وطي مسافة تأخذ منا كل طاقتنا، إن سي بوخروبة كان يردد دوما عندما تحاصرنا المشاكل ((صبرا...صبرا أيها الرفيق .. فالصبر مفتاح الفرج، لا تحزن ياأخي إن الله معنا)).

إن الرحلة كانت صعبة محفوفة بالمخاطر التي لم تخطر ببالنا ونحن نعد العدة لهذا السفر الشاق، لم ترد عند إعدادنا خطة الرحلة مشكلة التموين الغذائي، وكذا الماء ونحن مقبلون على قطع مئات الكيلومترات عبر أغوار الصحراء الشاسعة التي لاترحم، مع جهلنا لأهوالها، بالنظر إلى أننا نسكن بالشمال و لم تكن لدينا خبرة أهل الصحراء، المهم أننا في النهاية اعتمدنا على الأدنى من المواد الغذائية كالتمر وبعض الخبز الذي نحصل عليه من مضارب العرب الرحل غير أننا لم نألف بعد طعم هذا العيش، و لم نستسغه، فكسرتهم تختلف كليا عن كسرتنا نحن في الجزائر، كنا نلجأ إليها عند الضرورة لاغير وقد عنينا الكثير في هذا الجانب، بالإضافة إلى عدم انتباهنا إلى الماء غير أننا لجأنا في النهاية إلى وعاء بلاستيكي (بيدون) نملؤه بالماء عند ترحالنا، لقد كان يتعرض للحرارة فيصير ساخنا كماء الحمام يصعب شربه إلا عند الضرورة القصوى هذا هو زادنا، تمر...وماء.

إن ظلم الاستعمار والحقرة حرمنا ذلك كله من الثقافة والعلم كحق يمارس بكل حرية، حجب عنا كل المخاطر ولم يخطر ببالنا ولم نفكر إلا في موضوع وصولنا إلى الأزهر لشريف والأخذ عن علمائه على أيدي شيوخ هذا الصرح العلمي العريق، ومما حفزنا لهذه الرحلة أيضا، هو أن الاستعمار كان يمد يد المساعدة لأبناء عملائه العلوج من المتعاونين معه كالقياد الباشوغات، الأعيان والشنابط، يرسلهم إلى القاهرة بمنح عالية ويهمش أبناء الشعب الكادح، العباقرة، إنهم يدرسون بالزوايا أو المدارس الحرة كمدرسة جمعية العلماء أو حركة إنتصار الحريات الديمقراطية إن هذه الحقرة والعنصرية كانت أيضا من جملة الأسباب التي دفعتنا إلى المغامرة، لأن الذي يمكن أن ينجز بالمال الوفير، يمكن ان ينجز بغرادة الشباب والتحدي، لقد كان سي بوخروبة يردد القول بفخر واعتزاز بـــ: ((إن الازهر لنا لأن أجدادنا الفاطميين هم بناته إذن فحقنا ثابت في الأزهر ياسي شيروف))، فالرحلة كانت من قسنطينة إلى تبسة فليبيا عبر الجنوب التونسي ولم ندخل لا تونس العاصمة ولا جامع الزيتونة أبدا قبل الثورة إنما حدث ذلك أثناء الثورة بطبيعة الحال، إني أرجو أن يتحرى الكتاب الذين يتناولون سيرة الراحل هواري بومدين كي نسجل للأجيال الصاعدة معلومات تاريخية دقيقة، فالرحلة كانت عبر الصحاري لأننا لا نحمل أوراقا رسمية، لهذا وجب الهرب إلى الصحاري بين مضارب العرب الرحل.

لقد كان سي محمد بوخروبة يجيد الحديث بالفرنسية بطلاقة لأنه سبق له وأن تابع تعليمه في المرحلة الإبتدائية بإحدى المدارس الفرنسية بمدينة قالمة، ولكنه كان يحفظ القرآن حفظا تاما كعادة أبناء الريف، مما ساعدنا على كسب قوتنا أثناء رحلتنا عبر البوادي، حيث ينزل العرب الرحل عبر ليبيا ومصر، إن الحاجة اضطرتنا إلى امتهان أنشطة مختلفة من أجل الحصول على قوتنا من جهة، وجمع ما يمكن جمعه من المال لنتمكن بواسطته مواصلة الرحلة من جهة ثانية، ومن بين الأنشطة التي مارسناها أثناء رحلتنا عندما كانت الظروف القاسية تدفعنا إلى نؤم مضارب العرب الرحل قصد سد حاجاتنا في الأكل والشرب لدى هؤلاء الرحل الطيبين الكرماء ذوي النخوة العربية الأصيلة، الفدوة، تحرير التمائم، التقزان، فك طلاسم الكف، قراءة الفنجان والرقية....إلخ

مثل هذا الانسان، لكن صعوبة الرحلة ومشاكلها التي لاتنتهي تعرض عليها أي شاطر مهما كان مستواه، فقلت له يومئذ ماذا تعني؟ قال: الحاجة ياسي محمد الصالح". قلت: وماذا نفعل؟ قال: "ألم ينعم الله علينا بالعقل دون سائر مخلوقاته؟ ألم يكرمنا بادينا بحفظ القرآن الكريم؟" قلت: هذا صحيح لكن ماذا ترى نحن فاعلان؟ ابتسم وهو يحرك أصابع أنامله النحيفة كمن يرسم بعض ما لم أهتد إلى مقصوده؟ ثم قال:" إن لدينا ثروة كبيرة لو استغلت لكانت نعم العون هي لنا؟" قلت: هات ما عندك يا سي محمد ولاتخفي، قال:" الفدوة وتحرير التمائم وإذ لزم الأمر التقزان فك طلاسم الكف، قراءة الفنجان والرقية...إلخ، لقاء ما يجود به المغفلون يا سي شبروف من الدراهم أفهمت؟ إن العرب الرحل طيبون وكرماء ذووا نخوة عربية اصلية زيادة على تأمين الأكل والشرب لضمان مواصلة الرحلة-ياأطنه-" ثم ابتسم وسكت برهة ثم تابع حديثه:" ألم تعجبك الفكرة بعد؟" قلت: ألم يرهقنا هذا النشاط بعد طي عشرات الكيلومترات أثناء النهار؟ فقال وهو يبتسم:" أخي هات البديل إن استطعت"، ثم خيم بعض السكوت وهو ينظر إلى سراب الصحراء في الأفق الذي يوهم الضمآنين إن هناك ماء رقراقا أزرق، ثم التفت إلى مواصلة حديثه:"قل لي بربك ماذا نحن فاعلان ياترب؟" قلت: لاشيء فأنا موافق على الفكرة باعتبار أنه لايوجد لدي ياسي محمد، قال: "فلنتوكل على الله من اللحظة في تطبيق ما اتفقنا عليه عندما فكرنا في استئناف الرحلة من طرابلس إلى بن غازي". أشار علي سي محمد أن نقتني عباءتين ليبيتين للتنكر بهما، والتدفئة كذلك أثناء رحلتنا الشاقة، وفي نفس الوقت اقترح لونين الأول أبيض، والثاني بني، فعند إقتنائهما احتفظ بالعباءة البني ودفع لي بالعباءة البيضاء، قلت حينها مازحا: لماذا هذه القسمة؟ فابتسم وقال:" أخي أنا أبيض تناسبني العباءة التي أنت أحمر تناسبك العباءة البيضاء، وبذلك يمكن أن ندفع الشبهة عنا أثناء سفرنا هذا، أفهمت ياأخي لماذا ؟".

لقد كنا نقدم أنفسنا لدى العرب الرحل في ليبيا ومصر على أننا مغربيان، في المغرب أثناء موسم الحج راجلين، طلبوا منا قراءة القرآن على المرضى لأجل الفدوة، وتحرير التمائم، الاقزان فك طلاسم الكف، قراءة الفنجان

والرقية أيضا، إن أهل المغرب لأقصى كانوا يمارسون هذا النشاط اثناء مروهم في طريقهم إلى مصر لأداء فريضة لاحج، فالطريق أمامنا ممهد إذن، ولافكرة في حد ذاتها مقبولة، إذ كانوا هم أنفسهم يعضون الفكرة علينا، وما دمنا قد درسنا الفكرة مسبقا كي نتمكن من التغلب على ما يحدث لنا من مصاعب أثناء سفرنا، عملنا على تطبيق الفكرة ميدانيا، وبعد اجتيازنا الحدود الليبية المصرية بمدينة سلوم، شعرنا بأن التعب انهك قوانا، ارتأينا أن نأخذ قسطا من الراحة، في ركن ما بعيد عن المدينة، إننا أصبحنا في أمس الحاجة إلى الركون إلى الراحة، غير أننا وبعد مغادرة المكان، لاحظنا رجلين يتجهان نحونا، عندها قال سي محمد بوخروبة:" يبدو أنها مكيدة دبرها العرب الرحل، ظنا منهم اننا نخفي مالا كثيرا، لكن يا سي محمد الصالح أوصيك بالتزام الحيلة دوما واليقظة واستعمال الذكاء ، كل الذكاء حتى نضمن لانفسنا النجاة"، قلت له: لك أن تدبر لنا حيلة ذكية إن لاحظنا أنهما يريدان بنا مكروها، قال:" دع الأمر لي" وقد ذكرت ذلك عند تسجيل الرحلة، من قسنطينة إلى القاهرة، تظاهرنا بالجلوس، قصد الراحة، غير أننا ما إن جلسنا حتى وقف الرجلان أمامنا، فألقيا السلام ثم استأذنا في الجلوس، فأذنا لهما، حيث تظاهرا بالتعب فجلسنا قليلا ثم شرعا في الحوار محاولة منهما مغالطتنا وإيقاعنا في الفخ للاعتراف بحقيقتنا، وهذا هو هدفهما الأساسي كرجال أمن، غير أن سي نحند كان يجيب على بعض الأسئلة بحذر مع محاولة مغالطتهما، أدرك سي بوخروبة أنهما مخبران بالأمن، وعليه حاول استعمال كل الوسائل لإبعاد الشبهة فيما لاحظاه علينا، واكن الأخ سي بوخروبة يستخدم خلال ذلك بعض الألفاظ بالفرنسية والمغربية قصد المغالطة، ثم طلب تسليمه الأوراق الرسمية، وهي عبارة عن بطاقتي تعريف مدرسيتين بالفرنسية أيضا، عدا عنوان الكلية الكتانية بقسنطينة فهو بالعربية، حينئذ بدا الرفيق يوارغ محدثنا باعتبار أننا حجاج وطلبة في نفس الوقت فالبطاقات الشخصية هي جواز السفر، والمدرسية واضحة من العنوان، تواصل الحديث مطولا ورفيقي يحاول إقناعهما بوجهة نظره وفي النهاية استطاع أن يظلل المخبرين، نجونا بفضل ذكاء سي محمح بوخروبة، هكذا أمكن خداع وتظليل المخابرات المصرية يومئذ ومن خلال مواقف كثيرة، أدركت بان الرفيق ذو ذكاء خارق للعادة وقد أثبتت الأيام ذلك.

حللنا إذن بمدينة القاهرة بعد صلاة عصر يوم 1952/02/15 بعد قطع مسافة 4500 كيلومترا تقريبا في ظرف ثلاثة أشهر ونصف راجلين، ركبنا من أجل ذلك أعظم المخاطر، غيرنا أثناءها جلدة القدمين مرات عديدة، بعد ذلك سجلنا ضمن طلبة الازهر، واستلم كلانا بطاقته المدرسية، فالتي كانت تخصه تحت رقم 521 وبطاقتي تحت رقم 520.

أ/ محمد الصالح شيروف.

شهادات ومواقف مع أفراد عائلة الرئيس الراحل هواري بومدين [1]

د/نصير بوعلي
جامعة الأمير عبد القادر

نشير في البداية إلى أن ما يرد في هذا الموضوع ليس حديث اللحظة، وإنما هي سلسلة من الحوارات أجراها الكاتب في أواخر الثمانينيات من القرن الفارط حينما كان صحفيا محترفا في إحدى الصحف الوطنية. ولأن هذه الحوارات تحمل أكثر من دلالة رأينا أنه من الضروري إعادة نشرها في هذا الكتيب للفائدة ملخصة ومركزة.

خلال هذه المرحلة (أواخر الثمانينيات) كانت أسئلة عديدة تطفو على السطح السياسي: هل مات الرئيس أم قُـــتل؟ لماذا ظل المرحوم قرابة عقد من الزمن في غياهب النسيان و في طي الكتمان و لم يعد يذكر حتى في ذكرى وفاته؟ ومن المعلوم أن أوّل ذكرى لوفاته كانت في ديسمبر من سنة 1989 عندما أقيم الملتقى الأول" هواري بومدين بمدينة سطيف "من تنظيم الإتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية.

وعندما تهم بطرح هذه الأسئلة (وأسئلة أخرى) على بعض من أفراد عائلة الرئيس تحس بنوع من الخجل و تنتابك لحظة من البؤس و اليأس، فتتذكر ذلك التعتيم الإعلامي الذي ضُـــرب على ذكراه... فمن كان السبب في طمس شخصية الرجل مدة عقد من الزمن؟ وهل بعد هذا التعتيم الإعلامي كلّه يمكن استنطاق بعضا من أفراد عائلة الرئيس الراحل؟ كيف سيكون رد فعل العائلة

[1] ملاحظة : اقتضت الضرورة كتابة هذا المقال في وقته بأسلوب إعلامي صرف ولم نراع فيه قصد القواعد الأكاديمية المعروفة.

البسيطة التي لا زالت تؤمن باستمرارية الثورة في الجزائر و تحن إلى الماضي المجيد و العودة إلى التمسك بمبادئ أول نوفمبر الخالدة.

عائلة الرئيس تفضل الصمت، بدلا من أن تخوض في حياة المرحوم... يحدثونك عن كل شيء، عن الفلاحة، التجارة، الصناعة، ولكنهم يفضلون الصمت كلما تعلقت الأسئلة بشقيقهم الرئيس الراحل هواري بومدين.

هذه بعض الإجابات التي استطعنا تسجيلها على شريط الكاسيت نقدمها لكم ضمن السياق الذي كانت فيه الجزائر خلال هذه المرحلة (أواخر الثمانينيات).

- **عبد الله بوخروبة :**

بومدين لم يترك لي أي شيء...

رجل ذو بنية نحيفة و طلعة مليحة و قامة طويلة تشبه قامة شقيقه الراحل محمد بوخروبة (بومدين). يبدو إنسانا بسيطا و بشوشا و كثير الكلام... ولكنه لمّا علم أننا من رجال الصحافة وعرف المحور الأساسي من الموضوع تغيّرت ملامحه، فترصد لحظة من التفكير غيظا على شقيقه هواري بومدين. ثم قبل بإجراء الحديث.

- **سي عبد الله بوخروبة يُقال بأنك تاجر كبير فهل هذا صحيح؟**

* ضحك ضحكة واسعة ثم قال: كما ترون إنسانا بسيطا... أب لعشرة أبناء.. لست رجل أعمال كما يتهمني البعض.. والذي قال أنني تاجر كبير عليه أن يأتي إلى هنا (قرية هليوبوليس)

ليعاين بنفسه. بومدين لم يترك لاخوته أي شيء و الحمد لله كان يعمل لمصلحة شعبه والوطن...

- **هل أنتم وأفراد عائلتكم كنتم تلتقون به خلال مرحلة حكمه؟**

* أنا شخصيا التقيت به مرة أو مرتين فقط أثناء فترة حكمه... وكان يفضل أن لا أخوض معه في أمور السياسة و الحديث الذي كان يدور بيننا عادي جدا.

- **من كان يعيش إلى جواره من العائلة؟**

* والدته و شقيقه السعيد بوخروبة (أستاذ) بجامعة باب الزوار) .. كانا يسكنان مع الرئيس في شقة صغيرة متكونة من صالون و غرفة فقط بحي 19 جوان.. كانت والدته مريضة جدا وتوفيت (رحمها الله) سنة 1984.

وإذا سمحتم يمكن أن أقدم هذه المعلومة لأبطل مفعول إشاعة كانت تروج حول الرئيس الراحل بومدين تزوج مرة واحدة في حياته (وليس عدة مرات)، وزوجته الوحيدة هي "أنيسة" و لم تنجب له أطفالا.. أما عن أخبار هذه السيدة فليست لدي معلومات عنها و لست أدري أين هي ! كما لم تزرن إلى قالمة منذ وفاة الرئيس.

سي عبدالله بوخروبة كان يتحدث إلينا بصوت مرتفع... وفي كل لحظة يتوتر و ينفعل و يتحرك هنا و هناك و لم يجد مناص من أن يتوقف عن الحديث بدموع منهمرة... كان يومها منشغلا بترميم سقف منزله الذي تهاوى من أثر المطر...

- **أحمد لخضر بوخروبة :**
- **بعض من أفراد عائلة بومدين يسكنون الأكواخ**

توجهنا في مساء ذلك اليوم إلى مديرية التربية بقالمة، حيث أخبرنا أحد أقرباءنا بأن هناك شخصا يدعى أحمد لخضر من عائلة الرئيس الراحل هواري بومدين و هو بالضبط ابن عمّه. السيد أحمد – لخضر الذي كان يعمل بمديرية التربية (رئيس مصلحة) – قبل بإجراء الحديث فكان على النحو الآتي :

- **هل كانت لك لقاءات مع الرئيس الراحل؟**

* شخصيا لم أقابل بومدين إلا مرتين في حياتي. الأولى وكانت في سنة 1967 يوم وفاة والده الحاج إبراهيم بوخروبة. وقد التف حوله أعمامه وهم شيوخ كبار: الحاج الطيب بوخروبة، الحاج علي بوخروبة، الحاج صالح بوخروبة، الحاج عمر بوخروبة... وقد كان يرفض الحديث في السياسة مع العائلة. أما الفترة الثانية التي قابلت فيها الرئيس فكانت في سنة 1969 خلال الزيارة التي قمت بها إلى والدته بالجزائر العاصمة، و القاطنة بحي سويداني بوجمعة (19 جوان). وبالصدفة جاء الرئيس فالتقيته.

- **هل دار حديث بينكما؟**

* كان حديثا عاديا، سألني عن أحوالي الشخصية و عن أحوال العائلة...

■ **وعندما كان مريضا يعالج بالمستشفى، هل كانت تزوره العائلة (يعني أقاربه)؟**

* قبل وفاته كان إلى جانبه بالمستشفى شقيقه عبد الله، و ابن عمه الطاهر. أما نحن فكان لا يُسمح لنا بالدخول لرؤيته. ولما سمعنا نبأ وفاته توجهنا إلى العاصمة بوسائلنا الخاصة وشيعنا جنازته ككل الجزائريين.

■ **وماذا عن وفاته؟**

* لا أدري..

■ **هل ترك لكم ثروة من الأموال؟**

* أقول لك عن أحوال أقرباء الرئيس الراحل و أنت كصحفي عليك أن تتأكد بنفسك في الميدان. عمّه كان يسكن في مشته أولاد عمار في أعالي رأس الجبل، تُوفي منذ سنوات و لم يترك شيئا سوى (قـــربي) كان يأوي إليه ليلا بعد العمل. (وهذا الكوخ راه مزال قايم إلى اليوم)... عليك أن تتصل بأبناء عمّه و هم موجودون حاليا بمزرعة بلخير (3 كلم عن قالمة)، يسكنون في أكواخ قصديرية... أما الحاج الطيب بوخروبة فله ابنان مسعود و صالح.

الأول وظيفته غسّال بإحدى المستشفيات والثاني موظف بسيط في إحدى الثكنات العسكرية. بومدين لم يقدم الهدايا لأفراد عائلته... بل بالعكس كان نقمة عليهم و لم يكن نعمة... فكل الأبواب كانت توصد في وجوهنا لأننا من أفراد عائلة الرئيس... لقد أعطى بومدين أوامر رسمية إلى أفراد عائلته حيث كان يقول : لو أسمع عن شخص من العائلة يذهب لطلب المساعدة سوف أضعه في السجن ! أما اليوم فيُقال لنا أنتم في السابق كنتم (سلطة) فماذا نفعل بكم الآن !!؟ كانوا يظنون أن بومدين ترك لنا الدنيا و ما فيها و العكس هو الصحيح. وبهذه الكيفية يبقى أهل بومدين يعيشون في الأكواخ القصديرية، لم يتحصلو كغيرهم على الأراضي و لا على"دكاكين" تجارية و لا على أرزاق ووظائف.

■ **ولكنك أنت موظف و إطار تربية؟**

* صحيح وُظفت كمعلم و في قرية منذ 1965 وبقيت معلّما حتى سنة 1973. بعد نجاحي في شهادة التعليم المتوسط انتقلت إلى معهد تكوين أساتذة التعليم المتوسط و عُينت بعدها في مدرسة أشبال الثورة ومن ثمة رئيس مكتب

التكوين إلى اليوم. ولو كان هواري بومدين إلى جانبي لما مررت بهذه المراحل ولما كنت معلما بسيطا ولما بقيت في السلم الأخير... نحن فضلنا العيش بكرامتنا و بجهدنا ولا نطلب الشيء الذي لا نملكه.

- **علي بوهزيلة :**

قصة الكلب المسموم

في اليوم الموالي اتصلنا بالسيد علي بوهزيلة ابن عمّة الرئيس و صديق دربه في الطفولة... علي بوهزيلة موسوعة تاريخية و ذاكرة تُعيد النظر ساعة بساعة ويوما بيوم و سنة بسنة بما حفظه من معلومات و أخبار الماضي عن الرئيس. حدّثنا عن علاقته ببومدين في الصّغر وعن مغامرات بومدين في شبابه وعن رحلة الرئيس برّا على الأقدام إلى تونس ثم ليبيا فمصر رفقة صديقه ابن شروف، وعن الكاتبة الألمانية التي قالت في بومدين : "الرجل الوحيد الذي استطاع اجتياز الصحراء الليبية"، كما حدثنا عن نشاط بومدين الكثيف بجامعة الأزهر الشريف وأثناء الثورة التحريرية. وفيما يلي جزء من هذا الحوار :

- **هل كنتم تلتقون بالهواري أثناء الثورة التحريرية؟**

* وقت الثورة لم نكن نعلم بهذا الاسم "هواري بومدين" أنه هو "محمد بوخروبة". أثناءها كنت مسؤول الحركة السّرية بالمنطقة، وذات يوم التقيت بالزميلين عمار بن عودة و مزهودي اللذين عينهما مؤتمر الصومام للقيام بمهمة خاصة في تونس. و عندما وصل عمار بن عودة إلى تونس كتب رسالة طلب فيها مني الالتحاق به. فـــطبقت الأوامر و التحقت به في تونس. كنّا جنبا إلى جنب لبضعة أيام. وبينما نحن في المركز (مكان خاص بالمجاهدين الجزائريين) لمح بصري صورة لشخص على صفحات جريدة المصور المصرية. صورة تبدو عليها ملامح محمد بوخروبة مكتوب في أسفلها "هواري بومدين مسؤول عسكري". فاستغربت وكاد يُغمَى عليَّ. فناديت سي عمار بن عودة و أخبرته بالسّر في ذلك. فضحك وقال : هذا الرجل ليس من أفراد عائلتك، اسمه بومدين وهو من وهران ! وكتمت السّر مع يقيني بأمر هذه الصورة، حتى أخبرني شخصا آخر اسمه "عمار" وهو من ناحية القبائل (متزوج بمصرية) بأن هواري بومدين هو بوخروبة محمد (أي هو لقبه الثوري). فكتبت إلى أبيه أخبره...

وفي سنة 1957 جاء هواري بومدين إلى تونس والتقيت به و تحادثنا كثيرا عن أيام الطفولة التي عشناها مع بعض رفاقه. حمل الرئيس رسالة سلّمها إلى أبيه عن طريق أحد الأصدقاء. وتأكدت فيما بعد العائلة من أن محمد بوخروبة ما زال حيًّا و أنه ضابط عسكري في صفوف جيش التحرير.

■ **وبعد الثورة هل كنتم تلتقون به ؟**

* كان يأتي إلى قالمة بعد الاستقلال كإنسان عادي. وقد جاء مرتين أو ثلاث على ما أظن خلال حكم أحمد بن بلّة .

■ **وبعد 19 جوان 1965؟**

* اتصلت به أنا وشقيقه عبد الله مباشرة بعد توليه الحكم لكنه لم يُـدل لنا بأي تصريح عن عملية 19 جوان 1965.

■ **أين كان يقضي الرئيس عطلته السنوية وهل كان يزوركم؟**

* بومدين لم يأخذ عطلة في حياته والمعروف عنه أنه كان يعمل ليل نهار.. لم يتمتع بحياته كثيرا.. كان متواضعا في لباسه وفي أكله. كان يرغب في تناول المأكولات الشعبية والتقليدية (الطبخ الجزائري التقليدي هوايته).

هل ترك أملاكا بالعاصمة ؟

* لم يترك بومدين بعد وفاته أي شيء.. لا دار ولا دوار.. (بومدين عاش ما كسب، مات ماخلى). أحمد بن بلّة لم يكسب، أيضا، بعد حكمه في الجزائر.أقول هذا الكلام وأنا واثق منه ...

■ **وفي رأيكم هل مات الرئيس أم قُتل؟**

* سأروي لك هذه القصة الواقعية وأنت ستحكم بنفسك. كان لدى الرئيس كلبان. الأول يدعى (عنتر) والثاني (كريم). وفي يوم من الأيام بينما كان الرئيس في طريقه إلى مقر عمله فجأة وجد كلبه عنتر ملقى على الأرض ميتا.فنادى خادمه حسين بن خبو، الذي نقل الكلب الميت إلى البيطري، وبعد عملية التشريح يكتشف أن الكلب مات مسموما...

وعندما عاد الرئيس في المساء إلى البيت قال لأخته (يمينة) بالحرف الواحد : "عنتر مات بالسم والذي جعل السّم لكلبي سيجعله لي أنا أيضا". كانت هذه الحادثة قبل وفاته — رحمه الله — ببضعة أشهر فقط.

■ محمد الصالح شيروف :

رحلة الأشواك طلبا للعلم

أثناء الرحلة التي قمت بها إلى قالمة كان زميلي الصحفي سعد بوعقبة في نفس المهمة (تحقيق صحفي) إلى عين مليلة (مكان تواجد محمد الصالح شيروف).

محمد الصالح شيروف زميل الرئيس الراحل في الدراسة و رفيق دربه. يحكي لزميلي سعد بوعقبة قصة رحلتهما إلى القاهرة مشيا على الأقدام وعبر الصحاري الليبية ودون أموال ولا أوراق إدارية رسمية... لم يتمالك سعد بوعقبة نفسه و قاطعه عدّة مرّات بالأسئلة كانت السبب في دفعه إلى الحديث عن أشياء كثيرة نحصرها فيما يلي :

■ كان بومدين رحمه الله من بين أفقر الطلاب... لقد باع "المَطْرَح" الذي ينام عليه و"زَاوْرَة" ومخدّة (وأغراض أخرى).. ولكن المؤكد (يقول محمد شيروف) أننا جميعا بعنا أمتعتنا و لم يتجاوز ثمن ما بعناه نصف المبلغ الذي حملناه معنا و هو 40 ألف فرنك فرنسي قديم؟! و لم نستطع أن نأخذ معنا أكثر من هذا المبلغ رغم الإمكانيات المالية التي تتوفر لبعضنا... لأننا خشينا إذا صارحنا الأهل أن يقوموا بإبطال المشروع ولهذا فضلنا الحاجة على البوح بما نحن مقدمون عليه.. لقد باع بومدين فراشه وغطاءه من أجل العلم.. وهذا هو الدرس الأوّل.. فالظلم والحرمان من طلب العلم(يقول شيروف) أعمى أعيننا و حجب عنا كل المخاطر، لم نفكّر أبدا إلاّ في موضوع وصولنا إلى الأزهر و التتلمذ على علمائه و لم يشعر كلانا بطول المسافة... وقد قال رحمه الله لو عادت الأيام لعاودتها ثانية ولكن من أجل الجزائر هذه المرّة..!

وقد كان يقول – رحمه الله – لنا حق في الأزهر لأن أجدادنا بنوه و يقصد الفاطميين.

والحافز الأساسي لهذه الرحلة هو أن الاستعمار كان يختار أبناء "القياد" و"الباشغوات" والأعيان الذين كانوا يدرسون في مدارس "الفرانكوميزلمان" ليرسلهم إلى القاهرة بمنح عالية

بينما يهمش أبناء الشعب العباقرة لأنهم يدرسون في مدارس العلماء أو حزب الشعب!!

وكانت هذه العنصرية والحُقرة سببا في دفع بومدين الشاب إلى المغامرة !

الرحلة كانت من تبسة إلى ليبيا عبر الجنوب التونسي . ويحكي الشيخ شيروف لزميلي سعد بوعقبة، أنه عندما كانا ذات ليلة في صحراء ليبيا يرنوان إلى النوم هجم عليهما ذئبان جائعان في سكون الصحراء.. وأرادتا افتراسهما لكن بومدين و شيروف طارداهما بالحجارة وعندما لم ينفع الأمر أمام شدّة إلحاح الذئاب.. خاف الشابان على نفسيهما.. فـعَـمَـد بومدين إلى حقيبته وأخرج منها شمعتان وأشعلهما.. ! فقال له شيروف و لـمَ تـشعل الشمع؟.. فقال بومدين ألم تقرأ كتاب الحيوان للجاحظ..؟! ألم تعلم بأن الحيوانات تخاف النار و لا تقترب منها...؟ فـنـمْ هنيئا الآن؟!

من الصور الرائعة التي سجّلها الشيخ شيروف من رحلة العذاب و الأمل البومدينية هو احتياهم على برد الصحراء القارس ليلا.. حيث كان النهار يلهب الأجسام بالحرارة و الليل يلسعها بالبرد القارس.. وبومدين النحيف لا يقاوم جسمه قوّة البرد ولسعاته... فكان رحمه الله يقوم بدفن جسمه في الرمل ليلا ولا يترك سوى رأسه في الخارج.. ويبقى الاثنان هكذا تحت الرمال حتى تشرق الشمس.. ليكمّلا الرحلة فيما بعد.

كان بومدين ورفيقه يحملان معهما التمر و الماء و بعض "الكسرة" أو الخبز من محطة إلى أخرى. وكانا يقصدان مضارب العرب في الصحراء قصد الحصول على الأكل.. وعلى العموم كانت الرحلة شاقة ولكنها كانت مثمرة. فلحق بومدين ورفيقه بجامعة الأزهر. وأخذا منها ما أخذا من علم.. وهكذا يكون بومدين ورفيقه قد انطبقا عليهما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**".

د/نصير بوعلي.

هواري بومدين والمنظومة التربوية

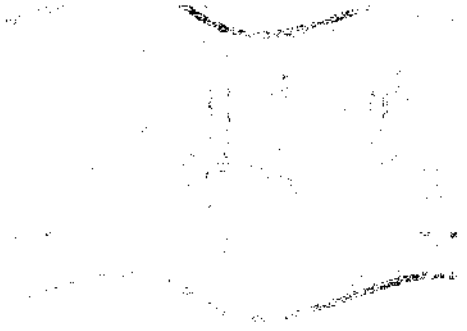

المنظومة التربوية بالجزائر
من أين؟ وإلى أين؟

أ/ مخلوف حمودي

بن عكنون-الجزائر العاصمة

مقدمة :

سبحانك ربي، لا أحصي ثناءًا عليك كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد دائما و أبدا و صلي يا رب و سلم و بارك أفضل صلاة و أزكى سلام وأعظم بركة على خير الخلق أجمعين المبعوث رحمة للعالمين و على آله الطيبين الطّاهرين و على من ولاهم بإحسان إلى يوم الدين ، و بعد :

في ظل التحولات السريعة التي يشهدها العالم بأكمله و الظروف الصعبة للغاية التي تمر بها الأمة الإسلامية من طنجة غربا إلى جكرتا شرقا ، و التي أملت على العالم الإسلامي مراجعة نظمه التعليمية ، سأحاول أن أعطي للقارئ الكريم إطلالة سريعة على منظومتنا التربوية الجزائرية ، مبينا الأهداف التربوية التي تعبر عن فلسفة المجتمع و أهدافه ، حتى ندرك مدى ما قام به أسلافنا في القريب و البعيد في أعمالهم من أجل صياغة تلك الأهداف التي من الواجب أن نحافظ عليها فهي أمانة في أعناقنا .

فإذا كان التغيير مستقبلا ضمن الأهداف و يمس فقط جوانب الضعف في مضامين البرامج فيزيلها و يلتمس الجوانب الإيجابية فيدعمها ، فنحن مع ذلك ، و إن مس القيم و المبادئ التي آمن بها السلف الصالح من هذه الأمة قديما و حديثا ، فموقفنا سيكون واضحا و عملنا سيكون أصعب من أي وقت مضى ، فلننظر في ماضي هاته المنظومة ولنتأمل في حاضرها ، و علينا أن نحدد مستقبلها .

مدخل :

لقد وضع الشعب الجزائري عبر العصور قضايا التربية و التعليم في المقام الأول من اهتماماته، و ترجع هذه العناية إلى عمق المشاعر الدينية لدى هذا الشعب الذي أقام مؤسساته الثقافية، ونظمه القضائية، وعلاقاته الإجتماعية على أساس تعاليم الإسلام ، ذلك الذي أعطى للعلم صبغة مقدسة ، حين جعل أول كلماته و أوامره " إقرأ " (**إقرأ باسم ربك الذي خلق**) . سورة العلق ، الآية: 01

و حين جعل من طلب العلم فريضة ، قال النبي صلى اله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [1].و لقد كانت شؤون التربية والتعليم جزأ لا يتجزأ من المسائل الكبرى ، التي تقتضي تشاور الجماعة، ومشاركة سائر أفراد الأمة في المداولات التي تتم بشأنها، وذلك تماما كما كانت الحال في الأمور الأخرى ، و استثمار الأراضي .

وانطلاقا من الشعور بأن التربية قضية حيوية بالنسبة للجماعة كلها، فإن التعليم كان يحضى بصفة تلقائية بدعم مادي هام، و يتمتع لدى كل مجموعة ، بموارد خاصة هي وقف عليه ، مما أتاح للمدارس أن تنمو و تزدهر .

إن هذا التعليم الذي كانت مضامينه مستوحاة بشكل خاص من المبادئ الدينية ، و الذي كان يتميز بالطابع العملي و التدريب على الجوانب المختلفة للحياة ، قد كان يتم في جو من الحرية و الإستقلال ساعد على تبادل الأفكار و انتشار الإشعاع الثقافي ، كما منح المدرسة والمعلم وضعًا اجتماعيًا مرموقًا .

و هكذا كانت التربية قبل الإحتلال شديدة الإنتشار في ربوع الجزائر ، إذ كانت تمتد على طول البلاد و عرضها شبكة كثيفة من الكتاتيب والمدارس .

---

[1] رواه ابن ماجة

و يذكر المؤرخون الذين كتبوا عن التعليم في الجزائر قبل الإحتلال أنه كان منتشرا انتشارا كبيرا في البلاد ، كما أن الجزائر كانت تتوفر على عدد هام من رجال العلم و الأدب ، و الفقهاء الذين تجاوزت شهرتهم حدود الجزائر إلى غيرها من الأقطار العربية و الإسلامية .

يقول المؤرخ الفرنسي « Maurice Poulard » في كتابه تعليم الأهالي في الجزائر : " كان في الجزائر في القرنين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين مراكز ثقافية باهرة ، و كان فيها أساتذة متمكنون في علوم الفلسفة ، والفقه ، والأدب، والنحو، والطب، و الفلك، و كانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في ربوع البلاد و التعليم ديني ومدني (1) .

و يمكن تلخيص أهداف المنظومة التربوية في الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر فيما يلي :

1 – نشر التعليم بين الموطنين على نطاق واسع كي يعرفوا أمور دينهم .

2 – إعداد رجال يتولون تسيير شؤون الدولة في مختلف القطاعات .

3 – طلب العلم حبا في العلم طبقا لقوله تعالى : " **يرفع الله الذين** آمنوا **منكم والذين أوتوا العلم درجات** " (2) .

4 – حفظ علوم الدين، والعمل على تحسينها، فهما، و تعليما، و تأليفا .

5 – الكمال الإنساني المتمثل في سعادة الدنيا و الآخرة طبقا لروح الآية الكريمة في قوله تعالى : " **و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا و احسن كما أحسن الله إليك** ..." (3) .

و يمكن تلخيص مضمون التعليم و مراحله قبل الإحتلال فيما يلي :

* **المرحلة الأولى** : تتم في الكتاتيب المنتشرة في القرى و المداشر ويتلقى الطفل فيها : تحفيظ القرآن الكريم و تعلم الكتابة و القراءة و مبادئ اللغة من نحو وصرف.

* **المرحلة الثانية** : و تتم في المدن الصغرى التي غالبا ما تنتشر فيها الزوايا أو فروعها ، و يتم فيها تدريس الأدب ، التوحيد ، العلوم الطبيعية .

* المرحلة الثالثة : تدريس علم النجوم ، الفلك ، علم النفس ، الأدب ، النحو و الصرف ، التوحيد ، الفنون ، الحقوق ، الطب ...

و يتم ذلك في المدن الكبرى و التي تعتبر مدن جامعية .

وقد كان يوجد بمدينة قسنطينة وحدها في العام الذي دخلها الإستعمار 1837 م ، و 7 كتب و مدرسة قرآنية يتردد عليها حوالي 1350 تلميذ و تلميذة .و كان بمدينة تلمسان بنفس السنة حوالي 50 كتابا (4) .

أما التعليم في المرحلتين الثانية و الثالثة " الثانوية و العالية " فقد كان يزاول في بعض المدارس التي بناها محبو العلم و أنصاره ، من الحكام ، و الأعيان ، و ذوي البر والإحسان مثل :

بالجزائر العاصمة
- مدرسة سيدي أيوب
- مدرسة حسن باشا

قسنطينة
- مدرسة سيدي الكتاني
- مدرسة سيدي لخضر

مدرسة " مازونة " بالغرب الجزائري التي كان لها صيت و شهرة بعيدة إلى جانب الزوايا في بلاد ميزاب ، و جبال جرجرة ، و الجنوب .

وهناك بعض الزوايا والمساجد الكبرى تخصصت في الدراسات العليا نذكر منها الجامع الكبير بتلمسان، زاوية القليعة والجامع الكبير بالعاصمة.

المنظومة التربوية في عهد الإحتلال 1830 – 1962:

المنظومة التربوية السالفة الذكر ، التي كانت تعتمد على الأوقاف ها هو الإستعمار يضع يده على تلك الأوقاف مما جعل منابع التمويل تجف وبذلك تتعطل حركة التربية و التعلم .

فالإستعمار بعد دخوله مباشرة ، صدر قادته قرار ينص على حقه في التصرف في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء ، فبدأ التعليم العربي الإسلامي يتقلص ، و بقي في النهاية محصورًا في بعض المساجد فقط .

و هناك عامل آخر أثر بدوره في تقليص حركة التعليم العربي الإسلامي في الجزائر بعد الإحتلال هو الحروب الكثيرة التي وقعت في الجزائر طيلة أكثر من نصف قرن، فقد استشهد عدد كبير من حملة الثقافة العربية الذين كانوا يقودون الثورة في الغالب ضد الإحتلال في تلك الحروب، كما اضطر الناجون منهم إلى هجرة البلاد إلى كل من تونس و المغرب و غيرها من البلدان الإسلامية و العربية .

إن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر كانت منذ الإحتلال في عام 1830 م إلى أن أخرجت منها تتأرجح بين فكرتين متعارضتين شكلاً متحدتين في غايتيهما :

– تنادي إحداهما بتعليم الجزائريين تمهيدا لفرنستهم و إدماجهم في فرنسا في الأمد البعيد .

وتنادي الفكرة الأخرى بحرمانهم بتاتا من كل تعليم سواء كان باللغة الفرنسية أو باللغة العربية بدعوى أن نشر التعليم بينهم سيترتب عليه خطر جسيم على الوجود الإستعماري في الجزائر في الأمد البعيد .

أنشأ الإستعمار مدارس أطلق عليها إسم « les écoles franco -musulmants » " المدارس الفرنسية – الإسلامية " ، و لم يكن للغة العربية الدين الإسلامي أي نصيب في مناهجها بالرغم أنها خاصة بالجزائريين ، فالتعليم وفيها ليس عربيا ، و لا إسلاميا ، و لا جزائريا و إنما هو فرنسي في المناهج والتوجيه ، و الأهداف، و قد كانت هذه سياسة مرسومة من الإستعمار لوأد اللغة العربية في الجزائر و فرنسة الجزائريين لسانا وفكرا تمهيدا لتنصيرهم عقيدة، و إدماجهم سياسيا في الكيان الفرنسي .

و لتوضيح صورة المنظومة التربوية أكثر في عهد الإستعمار نترك الأستاذ محمد بك فريد يوصف لنا ذلك (5) :

قال رحمه الله : " ...فالتعليم الديني لا وجود له ، تقريبا ، و لولا من يتكبد مشقة طلب العلم في جامعنا الأزهر لأصبح نسيا منسيا ، نعم يوجد نفر تضلعوا في علوم الدين مثل حضرة الفاضل سيدي شعيب بن عبد الله قاضي

تلمسان ، و الكمال محمد بن المصطفى باالجزائر و غيرهما من الأفاضل، و لكن ليس بهذا العدد القليل يحفظ سياج العلم و ينمو غراسه .

أما ما اتفق على تسميته " بالتعليم العصري " فلا وجود له بالنسبة للمسلمين بالمرة ، نعم يوجد بالقطر الجزائري مئات من المدارس الإبتدائية الفرنسية على طراز مدارس فرنسا لكنها لأبناء الفرنسيين و لا تفيد من يدخلها من العرب لعدم تعليم اللغة العربية بها .

ثم يقول : " وبالإختصار فحالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات بل ربما تندرس العربية بالمرة مع مضي الزمن فلا الحكومة تسعى في حفظها و لا تدع الاهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس لأن الإجتماع ممنوع خوفا من أن تشتغل جمعياتهم بالأمور السياسية .

المنظومة التربوية البادسية:

في ظل الظروف السالفة الذكر، شاءت الأقدار أن يطل على الجزائر ذلك القائد المغوار، كالأسد في شجاعته، مستمدا حكمته من مشكاة النبوة ليؤسس النواة الأولى للمنظومة التربوية بالجزائر المستقلة ـــ منظومة تربوية ـــ عربية اللسان، إسلامية الروح، جزائرية المنهج، إنه الإمام عبد الحميد بن باديس، وكفى! ، كان ذلك بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

فبتظافر جهود رجال هذه الجمعية اجتمعت القوة التي أسست مدارس التعليم الباديسي الحر ، فكانت أول مدرسة هي :

" مدرسة التربية و التعليم " بقسنطينة ، و تولى رئاسة جمعيتها والعمل فيها الأستاذ عبد الحميد بن باديس و أختير لها من الأساتذة ، نذكر : محمد بن العابد الجيلالي بلقاسم الزغداني ، الفضيل الورتلاني ، عبد الحفيظ الجنان ، و غيرهم .و أقبلت البنت المسلمة لتجد مقاعد لها فيها مثل إخوانها .

وفي نفس الوقت أنشئت في الجزائر العاصمة"مدرسة الشبيبة الإسلامية " ترعاها الحركة الإصلاحية تحت إشراف الداعية الكبير الطيب

العقبي، و من روادها الأوائل محمد العيد آل الخليفة ، عبد الرحمان الجيلالي ، جلول البدوي ، و غيرهما من الأساتذة الأبرار الأحرار .

و تأسست من بعدها " مدرسة دار الحديث " بتلمسان تحت إشراف و توجيه العلامة محمد البشير الإبراهيمي .

ثم تتابع سيل تأسيس المدارس الإبتدائية ، حيث أنشئت فروع للتربية و التعليم في كل عمالة قسنطينة و قد بلغ عددها زهاء ثلاثين مدرسة كلها على منهاج المدرسة الأم، و بسرعة فائقة انتشرت حركة المدارس عبر التراب الجزائري بأكمله .

و لقد اهتدى الشعب الجزائري بثاقب حدسه إلى أن ازدهار قيمه الثقافية والأخلاقية لا يمكن أن يتم إلا باسترجاع لغته الوطنية و إعادتها إلى مكانتها الطبيعية، وبالتمسك بدينه الحنيف .

و باستقلال وطنه ، تلك هي المقومات الأساسية للشعب الجزائري في استمراريته و عبقريته ، و تلك هي الأرضية التي انطلق منها الشعب الجزائري للحصول على استقلاله ، و كان له ذلك .

المنظومة التربوية الجزائرية بعد الإستقلال:

بعد الإستقلال كانت الأمية منتشرة لدى أغلبية الشعب (أذكر أن عدد الذين يحسنون كتابة الرسائل و يقرؤونها ـــ الرسائل المتبادلة بين المهاجرين و ذويهم ـــ يعدُّ على الأصابع في دوار باينان ، و هو من أكبر دواوير عمالة قسنطينة) و التعليم لا يكاد يوجد له أثر في المناطق الريفية ، أما المدن و القرى فظهر على مثقفيها ذلك الإستلاب الناجم عن نشر لغة و ثقافة أجنبية، ولذلك وجدت الدولة الجزائرية الفتية نفسها أمام مأزق خطير إن لم يحسن رجالاتها التصرف مع هذا الوضع ، فلا شك أنه سيبقي على التبعية الثقافية للمحتل القديم ، و الإعتماد على الفئة المثقفة ثقافة تغريبية في بناء منظومة تربوية جزائرية ينطوي على خطر مؤكد أقله الإفضاء إلى حالة من التعقيد تتميز بانقطاع الإتصال بين الفئات المتعلمة و باقي فئات الشعب،كما أنه يؤدي إلى انعكاسات

سياسية و اقتصادية و اجتماعية ، و ثقافية، و هذا بدوره يتحول إلى خطر حقيقي يهدد مسيرة الثورة نفسها.

و هكذا فإن إزالة الرواسب الإستعمارية ، و لا سيما فك القيود على اللغة العربية و اعتمادها لغة التعليم ، و العمل ، و التعامل ، و الثقافة ، قد كانت مهمة مستعجلة أسندت إلى المنظومة التربوية بعد الإستقلال .

إن تعليم اللغة العربية في المدارس ، و جزأرة المضامين و لا سيما في المواد الحساسة للعلوم الإجتماعية كالتاريخ ، و الجغرافيا ، و الفلسفة و التربية الدينية ، والأخلاقية و الوطنية ، كانت من التدابير المستعجلة التي اتخذت لتصحيح المنظومة الموروثة عن الإستعمار ، و فيما عدا ذلك بقيت على شكلها القديم و لم يتغير شيء .

إستمر الإصلاح التدريجي للمنظومة التربوية ، و تكييفها تدريجيا مع حاجات المجتمع ، و متطلبات النشاط الإقتصادي، و مقتضيات الأهداف المحددة لها . والتي تتمثل في الديمقراطية و التعريب و الإتجاه نحو العلوم و التقنيات، ولقد استكمل هذا العمل بامتداده إلى تربية الكبار و تعليمهم و لا سيما الأميين منهم بغية الوصول بهم إلى مستوى من التعليم الوظيفي يمكنهم من النهوض الصحيح بدورهم كمواطنين والقيام الكامل بوظائفهم باعتبارهم منتجين ومسيرين .

المنظومة التربوية الجزائرية – و الأمر المؤرخ في 16 أفريل 1976:

تعرف في الحياة اليومية للمربين بأمرية 1976 م ، جاء في ديباجة النشرية الرسمية لتربية الوطنية عدد 185 ما يلي :

إن المنظومة التربوية الجزائرية محكوم عليها إذا أريد لها أن تنموا على هامش اهتمام الشعب و واقع الجماهير ، أن تترجم في بنياتها و في مضامينها العقيدة الوطنية بما تشتمل عليه من تفسير للكون ، و تصور للإنسان ، فمن هذه العقيدة يتألف الإطار المذهبي المتناسق الذي يوجه حركة الثورة .

فالإسلام هو الذي صاغ ملامح الشخصية الوطنية للشعب الجزائري و أعطى لكيانه الدائم أبعاده الأساسية و طابعه المتميز ، و العروبة المتمثلة في

مكاسب الحضارة العربية الإسلامية ، و لا سيما اللغة ، و الثقافة و التاريخ التي رسخت انتمائه إلى الأمة العربية ، و ربطت مصيره بمصيرها .

و جاء في موضع آخر ، من الديباجة :

لقد فهم الشعب الجزائري الإسلام على أنه بالإضافة إلى قيمه الروحية السامية و تعاليمه السمحة ، نظام إجتماعي كامل متكامل يرمي إلى إقامة مجتمع إنساني تسوده العدالة و الحرية و المساواة ، و يعمل فيه كل فرد لدنياه كأنه يعيش أبدا ، و لآخرته كأنه يموت غدا .

فالإسلام بتعبير حديث ، ثورة إجتماعية حقيقية ، واضحة الأبعاد والغايات ، فلقد حارب أنواع الإستغلال كلها ، و أدان المجتمع الذي يقوم على التفريق بين الناس حسب أجناسهم و ألوانهم و أنسابهم و ألقابهم و مواقفهم من سلّم الثروة و الجاه ، وأبطل أنواع الفرز كلها إلا ما كان متعلقًا بالإيمان، ودعا إلى مجتمع متكافئ متضامن ، أفراده مسؤولون عن الجماعة و الجماعة مسؤولة عن الأفراد، و الكل سواسية أمام العدل والقانون نصيبهم واحد من الحقوق و الواجبات .

تلك هي المثل التي آمن بها الشعب الجزائري على الدوام : تمسك شديد بالإسلام ، و ارتباط واضح بالعروبة و قيمها الثقافية التي تأتي اللغة العربية في طليعتها ، ونضال مستميت من أجل حرية الوطن و كرامة الإنسان، وتضامن فعال يتجسد في العمل الجماعي و التعامل المتبادل ، و ثورة لا تهدأ على الظلم و الإستغلال ، إنها قيم ثابتة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ .

و هكذا تتجلى لنا غايات و اختيارات المنظومة التربوية الجزائرية التي تحددت على أنها جهاز وطني أصيل ، ديمقراطي و ثوري في اتجاهاته عصري و علمي في مضامينه و طرقه ، فهذه هي المحاور المذهبية التي نظم على أساسها التعليم الأساسي، و هذا هو المنهل الذي استمدت منه المدرسة الأساسية شرعيتها و استقت برامج نشاطها .

– وتتجلى غايات المنظومة التربوية الجزائرية " المدرسة الأساسية" في الفقرة التالية من الديباجة :

إن وطنية المنظومة التربوية تفرض عليها منح التربية باللغة العربية كما تفرض عليها نشر القيم الروحية و الثقافية الأصيلة ، لتساهم بدورها في إحياء تراث عريق ، غني بمظاهر التقدم . و يتوقف تكييفها مع مقتضيات الجماعة ليس على جزأرة مضمونها فحسب ، بل على جزأرة إطاراتها أيضا ، ذلك أنه لا يمكن تحقيق ثورة وطنية ، و لاسيما في ميدان التربية ، إلا بالإطارات الوطنية .

إن إقامة منظومة وطنية للتربية تستلزم بالتأكيد مراعاة اهتمامات البلاد المتعلقة بنشاطها الدولي . و من هنا تأتي ضرورة التوعية بالتضامن أولا مع الامة العربية في مسيرتها نحو وحدتها ثم مع القوات العالمية المكافحة من أجل الحرية و التقدم ، الرافضة للزعامة الدولية ، الساعية إلى تحقيق نوع جديد من العلاقات الإقتصادية و السياسية تكون عادلة ومتكافئة في آن واحد .

أما الطابع الديمقراطي و الثوري للمنظومة التربوية فيفرض عليها تامين تعليم إجباري خلال مدة كافية تتيح له أن يصبح المصهر الحقيقي لوحدة تكون الشبيبة الجزائرية.

إن هذا التعليم بحكم مجانيته ، و توفره للجميع ، مطالب بتحقيق تكافؤ الفرص، و تمكين كل واحد من ممارسة حقه في العلم و الثقافة ، و يجب أن يؤدي إلى إلغاء الحواجز التي تحول دون مواصلة الدراسة .

و أما عصرنة المنظومة التربوية و عمليتها فمعناها إقامة تربية شاملة متوازية ، تهتم بالنشاط الذهني ، كما تهتم بالأشغال اليدوية ، و أن التربية المتعددة التقنيات بربطها للنظرية و التطبيق ، و إعطائها للثقافة العامة محتوى علميا و تكنولوجيا هاما ، و اشتمالها على الأشغال الإنتاجية ذات الفائدة الإجتماعية ، إنما هدفها إعداد الشبان لخوض معترك الحياة و الإندماج في قطاعات النشاط الإجتماعي — المهني .

إن المنظومة التربوية مفتوحة للتجديد التربوي بصفة مستمرة ، فهي لذلك مطالبة بتنمية مؤسسات البحث و التجريب ، و الإستعلام و الدراسة التي تسهل تلاؤمها مع تطور التقنيات التربوية و التقدم الإجتماعي و الإقتصادي .

فالمدرسة الأساسية تمثل هذه البنية القاعدية التي تمنح طوال تسعة سنوات تربية إجبارية مشتركة بين الجميع ، و هي تتيح لكل تلميذ إمكانية مواصلة دراسته إلى أقصى ما يستطيع كما تهيؤه في نفس الوقت من النواحي العلمية و التقنية و العملية إلى الإلتحاق إما بوحدات الإنتاج أو بمؤسسات التكوين المهني .

ـــ إن مؤسسات التعليم الثانوي العام ، و مؤسسات التكوين التقني و المهني امتداد للتعليم الأساسي ، و هي مطالبة بالإستجابة لحاجات الأفراد ، كل حسب حوافزه الخاصة ، و لمقتضيات التنمية الإجتماعية و الإقتصادية .

إن التعليم العالي المنظم على أنه امتداد للتعليم الثانوي مطالب بتلبية حاجات النشاط الوطني بتكوين الإطارات المقتدرة ، و نشر الفكر العلمي والتقني من حيث هو منطلق للبحث من أجل تحقيق التقدم .

ـــ إن المنظومة التربوية تشمل ، بالإضافة إلى بنيات التعليم ، على الأدوات المساندة التي تهدف إلى إزالة الفوارق ، و معالجة العاهات ، و تشجيع المواهب .

فتعليم المعوقين باستخدامه للطرق و التجهيزات الملائمة ، يرمي إلى إنقاذ طوائف الأطفال الذين تمنعهم عاهاتهم البدنية ، أو البيولوجية أو العقلية من متابعة دراسة عادية .

ـــ والتعليم التحضيري يجب أن ينهض بدور رئيسي في تربية الصبيان خلال هذه المرحلة الحاسمة من نموهم . لذلك يجب عليه أن يساهم في تقليص التفاوت الذي مرده إلى الوضعية الإجتماعية و الإقتصادية ، و المساعدة على تحرير الطاقات المنتجة التي لا تعمل .

ـــ والتعليم التخصصي يتيح اكتشاف المواهب الدفينة وازدهار الطاقات الفكرية و الفنية و البدنية البارزة، و يتطلب هذا النوع من التعليم إقامة أجهزة المراقبة التي تمكن من ضمان الإحترام الصارم لمقاييس الإنتقاء الديمقراطي.

هذه هي المهام العظيمة والغايات النبيلة التي اسندت للمنظومة التربوية .

إلى هنا نكون قد أجبنا عن سؤال المنظومة التربوية من أين ؟ .

و يبقى السؤال العريض إلى أين ؟ ! يصعب على مثلي الإجابة عليه في ظل التغيرات التي يشهدها العالم على العموم و الجزائر على الخصوص ، إلا أننا سنبقى أوفياء لمبادئ ديننا الحنيف وللأمانة التي خلفها ١ ٠ مليون و نصف مليون من الشهداء ، و سندافع دفاعا مستميتا عن قيمنا الروحية بكل الوسائل المتاحة لنا ، إلى أن نلقى الله و هو عنا راضي .

فاللهم أرنا الحق حقا و ارزقنا أتباعه و أرنا الباطل باطلا و ارزقنا اجتنابه .

أ/ مخلوف حمودي

الهوامش :

(1) – Maurice Poulard : l'enseignement pour les indigènes d'Alger – Alger en 1910 .

(2) – سورة المجادلة ، الآية : 11 .

(3) – سورة القصص ، الآية : 77 .

(4) – مجلة اللسان العربي ، صفحة 36 ، العدد الأول ، السنة الأولى ، الرباط ، المغرب ، سنة 1964 .

(5) – محمد بك فريد " التعليم و المدارس في الجزائر " جريدة اللواء ، عدد 612 ، القاهرة ، 1901/10/13

(6) النشرة الرسمية للتربية الوطنية رقم 185 ، المؤرخة في 16 أفريل 1976 .

التأسيس لمنظومة تربوية تعليمية جزائرية بين 1965-1978

د/ إسماعيل سامعي

جامعة الأمير عبد القادر

إذا كانت فترة 62-1966 فترة الاستجابة السريعة لمتطلبات وضع مخلفات استعمار غاشم دام 132 سنة، ولحرب مدمرة دامت سبع سنوات ونصف، فإنه وبداية من عام 1967، أخذت الجزائر تدخل مرحلة التنمية المخططة والمتكاملة لاسيما في ميدان التنمية الاجتماعية، وأهمها قطاع التربية والتعليم والثقافة، وهو قطاع حيوي بل ويعد الركيزة الأساسية، حجر الزاوية في أي بناء محكم، والمنشأ الذي لابديل عنه للإحساس لدى الإنسان وتكوينه، والقطب المشع للشخصية الجزائرية، ونقطة الانطلاق لكل حياة فكرية خصبة[1] ويتبين ذلك في سن قوانين تنظيمية لهذا القطاع، وما أنجز من مؤسسات تعليمية وثقافية، وما كون من إطارات وطنية لمباشرة هذه العملية، وكل ذلك تضمنته المخططات الوطنية وهي:

- المخطط الثلاثي 1967-1969.
- المخطط الرباعي الأول 1970-1973.
- المخطط الرباعي الثاني 1974-1977.

ففي المخطط الثلاثي الأول 1967-1969 وجهت العناية لاستيعاب العدد

1- جبهة التحرير الوطني: **الميثاق الوطني 1976**، الجزائر: المعهد التربوي الوطني ، 1976، ص: 96

المتزايد من الأطفال، ومواجهة الأمية[1] حيث قفز عدد المتمدرسين من 777.636 تلميذا في العام الدراسي 1962-1963 إلى 1.370.357 تلميذا في العام الدراسي 1966-1967 [2]. ولم يواكب تطور عدد المعلمين الجزائريين لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف، ففي العام الدراسي 1962-1963 كان عددهم 12.696 معلما، أما في السنة الدراسية 1966-1967 فرغم أن عددهم ارتفع بنسبة 50 % ليبلغ 24.469 معلما. فإن عددهم بالنسبة للعدد الهائل من المقبلين على الدراسة يبقى دون المستوى بكثير [3].

لذلك نرى أنه في هذه الفترة تم بناء عديد من المدارس الابتدائية في كل مناطق الوطن لاسيما في المناطق المحرومة والنائية، وكذلك تم وضع قاعدة لتكوين المعلمين خاصة في المرحلة الابتدائية، لأن الاعتماد على المتعاونين من إخواننا العرب أو من الأجانب كان عاملا مساعدا وظرفيا فقط.

وفي هذه الفترة بدأ التأسيس لمدرسة جزائرية أصيلة، ولحركة تعليمية وثقافية واسعة تهدف أولا إلى إبراز مقومات شخصيتنا الوطنية، من ذلك تعريب السنتين الابتدائيتين الأولى والثانية في الموسم الدراسي 1967-1968، فارتفع عدد المعلمين باللغة الوطنية –العربية– من 3.456 معلما في العام الدراسي 1962-1963 إلى 13.247 بالمقارنة مع المعلمين باللغة الأجنبية–الفرنسية– الذي

---

1 - كانت تشكل الأمية غداة استرجاع الاستقلال الوطني أكثر م 80 % في الرجال ، وأكثر من 90 % في النساء.

2 - مصطفى زايد، **التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر 1962-1980** مدخل سوسيولوجي جديد لدراسة التعليم والتنمية في المجتمعات السائرة في طريق النمو - الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، 186.

-Ministère de l'éducation algérienne information statistiques N°17 Alger, sous direction des statistiques .1979, P20

- Ministère de l'éducation algérienne ibid,P24

3 - مصطفى زائد : **المرجع نفسه**.

لم يرتفع إلا قليلا في نفس الفترة حيث كان 16.456 معلما في العام الدراسي 1962-1963، وأصبح 17.419 معلما في السنة الدراسية 1966-1967، ثم تناقص في العام الدراسي 1970-1971 ليصبح 17.318 في حين ارتفع عدد المعلمين باللغة الوطنية ليصل إلى 26.338 معلما[1] في نفس العام الدراسي، وشرع في هذه الفترة في التقنين لتكوين المعلمين، فقد صدر في ذلك مرسوم رقم 112.67 مؤرخ في 29 ربيع الأول عام 1387 الموافق لـ7 جويلية سنة 1967 الذي أحدث بموجبه شهادة نهاية الدروس لتخريج المعلم المساعد[2]، وهذا بعد انقضاء دراسة تكوينية مهنية لمدة سنة في مدارس المعلمين، كما تم إنشاء مدارس تكوين المعلمين الابتدائية وتسييرها بموجب المرسوم الثاني والمذكور أعلاه، الذي جاء كضرورة استلزمتها الحاجة الملحة لمواجهة تزايد عدد التلاميذ، ولمواجهة خطر الأمية ولسياسة الدولة المتبعة في هذا الوقت والمرتكزة على خلق قاعدة تعليمة واسعة على أساس ديمقراطية التعليم، هذا التعليم الذي حرم منه أبناء الأمة طيلة 132 سنة من الاستعمار، لأن المرسوم الأول ينص على أن تكوين المعلم يتم في مدة أربع سنوات، ويدل هذا على أن تنفيذ مشروع تأصيل التعليم والتكوين بدأ فعليا في هذه المرحلة، لاسيما في المخطط الثلاثي 67-1969 وذلك بتكوين قاعدة تعليمية تكون منطلقا أساسيا وقاعديا لعمليات ستتبلور فيما بعد لاسيما في المخططات التنموية، والقرارات الكبرى التي ستتخذ على مستوى التربية والتعليم وفي المجال الثقافي عموما.

---

1 - **المرجع السابق**: 188، ibid :27

2- **الجريدة الرسمية** للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية-عدد 61، السنة 4 مؤرخة في 20 ربيع الثاني 1987 الموافق لـ 28 جويلية 1967، ص :876.

كما أعيد تنظيم مؤسسات التربية والتعليم وفقا للتوزيع الجغرافي، ولعدد التلاميذ، تمشيا مع الأهداف الوطنية، فبدأ إلغاء أقسام وإدماج أخرى وذلك بإصدار عدد من القرارات تخص كل ولاية، وكل منطقة جغرافية منها القرار المؤرخ في 26 محرم 1386 الموافق لـــ: 17 مايو 1966[1] وغيره.

أما في مستوى **التعليم المتوسط والثانوي العام**، فإن المتمدرسين غداة استرجاع الاستقلال الوطني، وفي الموسم الدراسي الأول 1962-1963، بلغ 31923 تلميذا منهم 8896 إناثا لعدد من السكان بلغ حوالي 12 مليون نسمة، وقد ارتفع هذا العدد عشية الشروع في تنفيذ المخطط الثلاثي 67-1969 إلى 96845 تلميذا منهم 28112 إناثا في العام الدراسي 1966-1967.

أما **التعليم المتوسط والثانوي التقني** فقد كان عدد تلاميذه 18568 تلميذا في العام الدراسي 62-1963، وارتفع إلى 34439 في العام الدراسي 1966-1967.

وقد ارتفع أيضا عدد المؤطرين الجزائريين في نفس هذه الفترة من 1769 أستاذا جزائريا في العام الدراسي 1962-1963 إلى 7.303 أستاذا في العام الدراسي 1966-1967[2].

ويبدو أن التعليم المتوسط والثانوي العام، والتقني خاصة ظل يتبع نفس المناهج ويطبق نفس النظام إبان فترة الاستعمار حتى 1970 حيث كانت الفترة التي سبقت هذا التاريخ هي فترة التقنين لاسترجاع هوية المدرسة الجزائرية، وقد صدر أيضا مرسوم رقم 66-59 مؤرخ في 27 ذي القعدة عام 19/1385 مارس

---

1 - الجريدة الرسمية العدد 44، السنة الثالثة 13 صفر 1386/ 3 جوان 1966 ، ص: 521

2 - المصدر السابق، ibid:27،200

1966 يتضمن تحويل الثانويات البلدية للتعليم التقني إلى ثانويات وطنية للتعليم التقني [1].

كما تم إحداث إطار مكلف بالتعليم في مؤسسات التعليم الثانوي[2]، وتنظيم الشهادات، وكيفيات الحصول عليها، وذلك في المرسوم رقم 66-38، المؤرخ في 21 شوال عام 1385 الموافق لـــ11 فيفري 1966 المتضمن أحداث شهادة التعليم العام والتي حلت محل البروفي الأولية BE، ومحل شهادة دروس الدورة الأولى BEPC[3].

واهتمت الدولة بتنظيم سلك **المراقبة والمتابعة والتكوين** الميداني للمعلمين سلك التفتيش، وكذا اختبارات الالتحاق به، وبمدارس المعلمين بموجب القرار المؤرخ في 09 رجب عام 03/1385 نوفمبر 1965 المتعلق بنوع وتنظيم الاختبارات المشتملة عليها شهادة التأهيل لمهام مفتشي التعليم الابتدائي ومديري مدارس المعلمين[4].

إلى جانب ذلك اهتمت الدولة أيضا **بالتكوين في الخارج** وحاولت التقنين له وتنظيمه، وذلك بتنظيم منهج خاص بمنح الطلبة الذين يرغبون في استكمال دراستهم في مؤسسات الدول الأجنبية، ومن حرص الدولة الجزائرية على سلامة وصحة هؤلاء ، أنشأت نخبة وطنية طبية خاصة بالمنح بقرار مؤرخ في 07 رمضان 30/1385 ديسمبر 1965 [5].

---

1 - **الجريدة الرسمية** العدد 23 السنة الثالثة، 30 ذو القعدة 22/1385 مارس 1966، ص :267.
2 - **الجريدة الرسمية** ، العدد 1، السنة الثانية، 12 رمضان 1385/ 4 جانفي 1966، ص :7.
3- **الجريدة الرسمية**، العدد 14، السنة الثالثة مؤرخ في 28 شوال 1385/ 18 فيفري 1966، ص:183.
4 - **الجريدة الرسمية**، العدد 11، السنة الثالثة مؤرخ في 18 شوال 1385/ 8 فيفري 1966، ص: 6-15
5 - **الجريدة الرسمية** ، العدد 1 السنة الثالثة مؤرخ في 12 رمضان 4/1385 جانفي 1965

ولم تهمل الدولة **التربية البدنية المدرسية** التي تشكل أحد العوامل الأساسية في البناء الجسمي والعقلي والنفسي للتلميذ في المرحلة الدراسية، وهو ما ترجمته إحدى القرارات المشتركة بين وزارتي التربية الوطنية، ووزارة الشبيبة والرياضة منها القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 08 محرم 1387 الموافق لـــ: 18 أفريل 1967 المتعلق بوضعية ومراقبة الموظفين المدرسين للتربية البدنية والرياضية في المؤسسات المدرسية[1].فقد صدر مرسوم رقم 69-47 مؤرخ في 06 ذي الحجة عام 1386 الموافق لـــ17 مارس سنة 1967 يتضمن تحويل الثانويات البلدية للتعليم التقني إلى ثانويات وطنية والموجودة خاصة في مستغانم، وتلمسان وقسنطينة[2].

كما صدرت مراسيم مكملة لما صدر قبلها كالمرسوم رقم 63-118 المؤرخ في 17 أبريل 1963 والمتضمن تسمية مؤسس التعليم الثانوي تتضمن تبديل تسمية بعض المؤسسات منها مرسوم رقم 67-14 مؤرخ في 18 ربيع الأول عام 1387 الموافق لـــ 26 جوان 1967[3]. علما بأن مؤسسات التعليم الثانوي-العام والتقني- كان من سنة 1969 لايتعدى 130 مؤسسة على كامل التراب الوطني[4] موزعة كالآتي:

---

1 - **الجريدة الرسمية** ، العدد 34 السنة الرابعة مؤرخ في 15 محرم 25/1387 أفريل 1967، ص:460

2 - **الجريدة الرسمية** للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، عدد 25 السنة الرابعة 13 ذو الحجة 1386 الموافق لـ 24 مارس 1967، ص: 351.

3 - **الجريدة الرسمية**، للجمهورية الجزائرية الديمقراطية ، عدد 53، السنة 4، بتاريخ 22 ربيع الأول 1387 الموافق لـ 30جوان 1967، ص: 742.

4- **الجريدة الرسمية**، العدد 81، السنة السادسة مؤرخ في 22 رجب 23/1389 سبتمبر 1969، ص: 120، أنظر مرسوم 69-132 المؤرخ في 20 جمادي الثانية 2/1389 سبتمبر 1969 المتضمن إحصاء مؤسسات التعليم الثانوي والمتوسط و التقني.

أ/ ثانويات التعليم العام: 72

- ثانويات للبنين:11
- ثانويات للبنات: 08
- ثانويات مختلفة: 08

ب/ ثانويات التعليم التقني: 08

- ثانويات للبنين:05
- ثانويات للبنات: 05
- ثانويات مختلفة: 01

ج/ مدارس المعلمين: 20

- مدارس للبنين:11
- مدارس للبنات: 08
- مدارس مختلطة: 08

د/ التعليم العام المتوسط: 16

- مدارس للبنين:07
- مدارس للبنات:01
- مدارس مختلطة: 08

هـ / تكميليات وطنية للتعليم التقني: 35

- تكميليات البنين : 19
- تكميليات البنات : 14
- تكميليات مختلطة : 02

و/ تكميليات التعليم الزراعي والتعليم المنزلي الزراعي: 24

- تكميليات للبنين: 13
- تكميليات للبنات:11

ي/ التعليم العام المتوسط: 16

- تكميليات البنين:07
- تكميليات البنات: 01
- التكميليات المختلفة: 08

تنظيم الشهادات والتقنين لها في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية:

تلبية للحاجة الملحة للمجتمع ومؤسساته لاسيما التربوية والتعليمية، والتأسيس لمدرسة جزائرية تتخلص فيها من رواسب الماضي الاستعماري البغيض والمدمر لمعالم الشخصية الوطنية وصدرت العديد من المراسيم والقرارات في هذا الشأن نذكر بعضها في الآتي:

1- مرسوم رقم 67-112 مؤرخ في 29 ربيع الأول عام 1387 الموافق لـ 7 جويلية 1967 والخاص بإحداث شهادة الدروس لتخريج المعلم المساعد بعد سنة من التكوين المهني في مدارس المعلمين الإبتدائية[1].

2- مرسوم رقم 68-45 مؤرخ 10 ذي القعدة 8/1387 فيفري 1968 يتضمن إحداث شهادة معلم مهني يذكر فيها التخصص[2]

1 - **الجريدة الرسمية**، العدد 61 ، السنة الرابعة مؤرخ في 20 ربيع الثاني 28/1387 جويلية 1967 ص: 876

2 - **الجريدة الرسمية**، العدد 14 ، السنة الخامسة مؤرخ في 18 ذي القعدة 16/1387 فيفري 1968 ص: 218

3- مرســـوم رقم 68-46 مؤرخ في 10 ذي القعدة 8/1387 فيفـــري 1968 تحدث بموجبه إجازة دولة تسمى بكالوريا تقنية، ويذكر فيها التخصص [1].

4- قرار مؤرخ في 18 ذي الحجة 7/1388 مارس 1969 يتضمن تحديد برنامج امتحان شهادة الكفاءة للتفتيش الابتدائي وإدارة دور المعلمين – الشعبة العربية-[2]

5- قرار وزاري مشترك مؤرخ في 08 ربيع الأول 24/1389 مايو 1969 يحدد كيفيات تنظيم شهادة الكفاءة للتفتيش في التعليم التقني أو الفلاحي، وذلك بعد المشاركة في المسابقة.[3]

6- قرار وزاري مشترك مؤرخ في 08 ربيع الأول 24/1389 مايو 1969 يتضمن تحديد كيفيات تنظيم مسابقة للحصول على شهادة الكفاءة للأستاذية في التعليم الثانوي والتقني –كابيس أو كابيت-[4]، وهي خاصة بالمعلمين المدرسين ذوي المستوى النهائي.

7- قرار وزاري مشترك مؤرخ في 08 ربيع الأول24/1389 مايو 1969، يتضمن كيفيات تنظيم شهادة الثقافة العامة والمهنية[5]، وهي خاصة بالمعلمين المساعدين مستوى السنة الرابعة من التعليم المتوسط.

---

1 - المصدر نفسه ، ص: 219

2 - الجريدة الرسمية، العدد 53، السنة السادسة، 5 ربيع الثاني 1969/1389، ص: 709

3 - الجريدة الرسمية، العدد 63 ، السنة السادسة ، في 11 جمادي الأولى 25/1389 جويلية 1964، ص: 841

4 - الجريدة الرسمية، العدد 64 ، السنة السادسة ، 15 جمادي الأولى 29/1389 جويلية 1969، ص:858

5 - المصدر نفسه، ص:861

8- قرار مؤرخ في 10 ربيع الأول 26/1389 مايو 1969، تضمن [illegible] قائمة الشهادات أو المؤهلات التي يمكن أن تفتح الباب للتسجيل [illegible] اختبارات القسم الأول من شهادة الكفاءة الأستاذية في التعليم [illegible] أو الاعفاء منها[1].

9- قرار مؤرخ في 10 ربيع الأول 26/1389 مايو1969 يتعلق بالشهادات والمؤهلات التي تفتح الباب للأعضاء من إجازة ليسانس التعليم بقصد اجتياز شهادة الكفاءة للأستاذية في التعليم الثانوي والتقني –كابيس أو كابيت–[2].

10-قرار وزاري مشترك مؤرخ في 11 جمادي الأولى 25/1389 جويلية 1969 يتضمن تحديد كيفيات تنظيم شهادة الكفاءة للتعليم في التكميليات التعليم التقني في تكميليات التعليم الفلاحي[3]

ويجب أن نذكر ببعض المراسيم التي تنظم عددا من الحقول التعليمية التي تخدم العملية التربوية مباشرة كالقرار المؤرخ في 16 شعبان 30/1386 نوفمبر 1966. الذي يتعلق باختيار الكتب المدرسية في مؤسسات التعليم التابعة لوزارة التربية الوطنية [4]، ومن المعلوم أنه بعد استرجاع السيادة الوطنية، وحتى بداية السبعينيات كان الاعتماد يتم على استيراد الكتاب المدرسي من الدول العربية خاصة لبنان الشقيق.

---

1 - **الجريدة الرسمية**، العدد 66 ، السنة السادسة، 22 جمادي الثانية 5/1389 أوت 1969، ص:921.

2 - **المصدر نفسه** ص: 923

3 - **الجريدة الرسمية**، العدد74 ، السنة السادسة، 20 جمادي الثانية 2/1389 سبتمبر 1969، ص: 1101

4 الجريدة الرسمية، العدد 30 المؤرخ في 2 محرم 11/1387 أفريل 1967 ص:411

التعليم الجامعي:

يبدو أن اهتمام السلطات بالتعليم العالي والبحث العلمي قبل 1970 انصب على جزأرة بعض قوانينه وتنظيماته، ويعود هذا في الأساس إلى العدد القليل من الطلبة، وكذا الأساتذة، ووجود محدود لمؤسسات جامعية ثلاث هي **جامعة الجزائر** وتضم أربع كليات و19 معهدا، وثلاثة مراكز، ومرصدا فلكيا، و4 مدارس عليا[1].

وجامعة وهران وتضم:

1- كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية

2- كلية الآداب

3- كلية العلوم

---

1 - **الكليات**: كليات : **العلوم** - الطب والصيدلة - **الحقوق والعلوم الاقتصادية** - **الآداب**، **والعلوم الإنسانية**.
المعاهد: 1- معهد الدراسات الإسلامية ،2-معهد الدراسات النووية، 3معهد العلوم البحرية، 4-معهد الدراسات الشرقية، 5- المعهد الوطني للفلاحة، 6- معهد الفلسفة، 7- معهد علم النفس التطبيقي والتوجيه المدرسي والمهني، 8- معهد الجغرافيا، 9- معهد اللغات والأصوات، 10- معهد الدراسات السياسية، 11- معهد أمراض الأسنان، 12- معهد الرمد وأمراض العيون، 13- معهد باستور، 14- معهد الكيمياء الاحيائي، 15- معهد الأبحاث الصحراوية، 16- معهد هندسة المدن، 17- معهد حفظ الصحة أو الطب لما وراء البحار، 18- معهد علم الارصاد الجوية وفيزياء الكرة الأرضية، 19- معهد رسم الخرائط والمجموعات النباتية وعلوم النبات، 20- معهد دراسة طاقة الشمس.
المراكز: 1-مركز الأبحاث في علم طبائع الإنسان وما قبل التاريخ وعلم الأجناس، 2-المركز الجزائري لمحاربة السرطان، 3- المركز الوطني لتحضير شهادة التفتيش الابتدائي وإدارة دور المعلمين.
المراصد: مرصد الجزائر بوزريعة
المدارس العليا: 1-المدرسة الوطنية للهندسة، 2- المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والفنون الجميلة، 3- المدرسة العليا للتجارة، 4- المدرسة العليا للترجمة، 5- المدرسة الوطنية العليا للصحافة، 6- المدرسة الوطنية العليا للتعليم التقني، 7- دار المعلمين العليا. انظر ، الجريدة الرسمية ، العدد ، 69 مؤرخ في 2 جمادى الثانية عام 1389/ 15 أوت 1969، ص، 191.

4- كلية الطب

والمركز الجامعي قسنطينة: ويضم :

1- المدرسة الوطنية للطب والمعهد العلمي

2- معهد الدراسات القانونية

3- المعهد الأدبي والجامعي

ففي الموسم الجامعي 1962- 1963[1] لم يكن بالتعليم العالي إلا 2725 طالب لينتقل إلى7478 طالب في الموسم الجامعي 1966-1967، ويتبين أن الزيادة خلال حوالي 5 سنوات لم تكن إلا بـــ 4753 طالب وهو عدد يعبر عن طبيعة المرحلة، ويعكس مخلفات الاستعمار في هذا المجال، ولأن المعين الذي يزود التعليم العالي، كان شحيحا بفعل نفس العوامل، فبذل جهد معتبر في مجالي التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي أولا، والذي سوف يكبر هذا العين ويتسع في السبعينات، ويلاحظ أن المراسيم الصادرة في هذه الفترة تتمحور حول إعادة تنظيم جزئي لبعض التخصصات، وإنشاء تخصصات جديدة من ذلك إنشاء معهد العلوم اللسانية والصوتية بجامعة الجزائر بموجب مرسوم رقم 66-80 مؤرخ في 20 ذي الحجة 1385 الموافق لـــ11 أفريل 1966، كما صدر مرسوم لإعادة دمج المدرسة العليا للتجارة تحت إشراف وزارة التربية الوطنية، وهذا في إطار إعادة توحيد المنظومة التربوية والتعليمية بالجزائر بموجب مرسوم رقم 66-43 المؤرخ في 28 شوال 18/1385 فيفري 1966.

---

[1]- مصطفى زايد: المصدر السابق: 203

M.E.S.R BULLTIN STATISTIQUE ALGER N° 8 , mars 1979,p :8

M.E.S.R LUNIVERSITE EN CHIFFRES , JUILLET 1982 , P :6

وكذا مرسوم رقم 67-48 مؤرخ في 06 ذي الحجة عام 1386 الموافق لـــ 17 مارس سنة 1967 و يتعلق بمعهد علم النفس التطبيقي والتوجيه المدرسي والمهني بجامعة مدينة الجزائر، ومرسوم رقم 67-283 مؤرخ في 19 رمضان 20/1387 ديسمبر 1967 يتضمن إحداث مركز للدراسات والبحوث والمستندات في العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر، ومرسوم رقم 67-284 مؤرخ في 19 رمضان 1387/20-12-1967 يتضمن إحداث لجنة وطنية لمعادلة الإجازات والشهادات الأجنبية، وقرار مؤرخ في 11 رمضان 1387 الموافق لـــ14 أكتوبر سنة 1966، والمتضمن إحداث إجازة دكتوراه في جراحة الأسنان، وقرار مؤرخ في 21 ربيع الأول عام 1389 الموافق لـــ06 جوان 1969 يتضمن تنظيم شهادة التقني العالي الإلكتروني.

الشهادات العليا: أما فيما يخص الشهادات العليا، فقد باشرت الدولة تنظيمها عن طريق المراسيم والقرارات، وتنظيم كيفية الحصول عليها والاعتراف بها لاسيما في سلك الوظيف العمومي، والعمل بها من ذلك مثلا مرسوم رقم 66-108 مؤرخ في 21 محرم 12/1386مايو 1966 يتضمن تعديل المرسوم رقم 64-6 المؤرخ في 10جانفي 1964 المتضمن إحداث ليسانس في الآداب[1]، ومرسوم 66-109 مؤرخ في 21 محرم1386 /12 مايو 1966 يتضمن إحداث ليسانس في الآداب قسم الفلسفة باللغة العربية[2]، ومرسوم 66-110 مؤرخ في 24 محرم 12/1386 مايو1966 ويتضمن إحداث شهادة الدراسات العليا في علم السكان الديمغرافيا[3].

1 - الجريدة الرسمية العدد 39 السنة الثالثة مؤرخ في 26 محرم17/1386مايو1966 ص:458.
2 - نفس المصدر والصفحة.
3 - المصدر نفسه، ص:470.

وبداية من نهاية المخطط الثلاثي سنة 1969 أخذ التعليم العالي يتوسع، وذلك بإنشاء جامعات جديدة ومراكز جامعية من ذلك ترقية المركز الجامعي بقسنطينة بموجب أمر 69-54 مؤرخ في 2 ربيع الثاني 17/1386 جوان 1969 متضمن انشاء جامعة قسنطينة [1]، والتي أصبحت تضم أربع كليات هي :

1-كلية الحقوق والعلوم الإقتصادية.

2- كلية العلوم.

3-كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

4-كلية الطب والصيدلة.

مع انطلاق المخطط الرباعي الأول 1970-1973 يبدأ التغيير الجذري، وتدخل الإصلاحات مداها الواسع، كما يبدأ ظهور المنظومة التربوية التعليمية المجزأرة في مختلف مراحلها، وقد انصب التنظيم والتقنيين على المرحلتين الثانوية والمتوسطة، والتعليم العالي وذلك بإنشاء الهياكل القاعدية، وتكوين المؤطرين، وتجهيز المؤسسات التربوية بالوسائل الحديثة، وهو ما ترجم في الميثاق الوطني : " بناء جامعات ومراكز جامعية بكيفية تتعدد معها عبر التراب الوطني مراكز توزيع العلم والثقافة ... وجزأرة سلك الأساتذة الجامعيين"[2] .

التعليم الإبتدائي : لقد تطور عدد التلاميذ في المرحلة الابتدائية من 1.851.416 في العـــــام 1970-1971 تلميـــذا إلى 2.972.242 تلميذ في العام الدراسي 1978-1979 . كما ارتفع عدد المعلمين من 43.666 معلم في الموسم الجامعي 1970-1971 إلى 80.853 [3] علما بأنه خلال المخططين الرباعي الأول

1 - **الجريدة الرسمية** ، العدد 53 السنة السادسة 5 ربيع الثاني 1389 /2 جوان 1969 ص: 694.

2 - **الميثاق الوطني، 1976** ص: 270.

3 - مصطفى زايد : **المرجع السابق، 186** ، 188.

والرباعي الثاني قد تجسدت أهداف الثورة المنصوص عليها في مواثيق الثورة والدولة الجزائرية، والمتمثلة في إلزامية ومجانية أو ديمقراطية التعليم، وقد تمكنت الجزائر في هذه الفترة " 1970-1978 " من جزأرة التعليم الابتدائي كميا بنسبة كبرى حيث يلاحظ انخفاض عدد المعلمين الأجانب من 7212 معلما في الموسم الدراسي 1962-1963 إلى 686 معلما في العام الدراسي 1978-1979، كما ازداد عدد المعلمين باللغة الوطنية من 3.452 في العام الدراسي 1962-1963 إلى 56.800 معلما في العام الدراسي 1978-1979 في حين لم يرتفع عدد المعلمين باللغة الفرنسية إلا قليلا من 16.456 في العام الدراسي 1962-1963 إلى 24.053 في العام الدراسي 1978-1979.

وما يمكن إضافته في مجال التقني لهذه المرحلة في هذه الفترة هو تأميم التعليم الخاص أو الحر وإلحاقه بالتعليم العام، وكذلك إدماج روضات للأطفال الخاصة، وتحديد شروط لفتح مؤسسات التعليم التحضيري، وهذا بعد صدور الميثاق الوطني سنة 1976، خاصة وأنه حث على توحيد التعليم ووضعه تحت سيطرة الدولة، وقد جاء في ذلك: " وفي هذا المنظور ينبغي أن يكون التعليم موحدا أي واحدا بالنسبة للجميع... إن توحيد التعليم في الجزائر يقضي على الاختلافات في المحتوى، والتوجيه ، والوظائف المعروضة على المتخرجين" [1] وقد صدر في ذلك قرار مؤرخ في 11 جمادى الثانية 1396 / 9 جوان 1976 يتعلق بإعادة تسجيل وإلحاق تلاميذ مؤسسات التعليم الخاص بمؤسسات التعليم العمومي[2] والقرار المؤرخ في 12 جمادى الثانية 1396 / 10 جوان 1976 المتضمن تحديد

1 - **الميثاق الوطني ،1976** ص: 97

2 - **الجريدة الرسمية** العدد 67 السنة الثالثة عشر ، مؤرخ في 24 شعبان 1396 / 20 أوت 1976 ص: 1026

شروط إدماج روضات الأطفال الخاصة في التعليم العمومي[1]، والقرار المؤرخ في 18 جمادى الثانية 1396/ 16 جوان 1976 المتضمن شروط فتح مؤسسات التعليم التحضيري[2]، كما يجب أن نلاحظ هنا أنه من بين الأنظمة المدمجة التعليم الأصلي الذي كانت تشرف عليه وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

التعليم الثانوي والمتوسط : شهد هذا النوع من التعليم تطورا كبيرا خلال فترة 1970-1978 من حيث الكم ، والتجهيزات ، والتنظيم فقد انتقل عدد تلاميذ هذه المرحلة من 180.816 تلميذا في الموسم الدراسي 1970-1971، إلى 821.168 تلميذا في العام الدراسي 1978-1979، وفي تطور عدد المؤطرين من أساتذة التعليم المتوسط والثانوي من 11.487 تلميذا في العام الدراسي 1970-1971 إلى 32.6621 تلميذا في الموسم الدراسي 1978-1979 [3] كما ارتفع عدد تلاميذ التعليم المتوسط والثانوي التقني في نفس الفترة من 47.741 تلميذ [4] وتطور أيضا عدد التلاميذ المكونين لأساتذة للتعليم المتوسط الثانوي من 8.333 إلى 11219 مكونا [5]، وصدر مرسوم رقم : 70-177 مؤرخ في 24 رمضان 23/1390 نوفمبر 1970 يتضمن القانون الأساسي لطلبة المعاهد التكنولوجية للتربية [6]

وعلى مستوى التجهيزات أهمية الدولة بتوسيع دائرة هذا التعليم إلى المناطق النائية بإنشاء المؤسسات القاعدية لاستقبال العدد المتزايد من التلاميذ في هذه

---

1 - **المصدر نفسه** ، ص: 1027.
2 - **المصدر نفسه والصفحة**
3- مصطفى زايد : المرجع السابق، ص، 193 و200
4 - المرجع نفسه، ص: 195.
5 - **المرجع نفسه**، ص:200.
6 - **جريدة الرسمية** ، العدد، 98 السنة السابعة 25 رمضان /24 /1970/11 ص: 1468.

المرحلة وانصب الاهتمام في مجال التشريع على تنظيم الامتحانات، وكيفية الحصول على الشهادات من ذلك مثلا قرار مؤرخ في 25 ذي الحجة 10/1391 فيفري 1972، ويتضمن إحداث شهادة التعليم المتوسط[1]، وتنظيم شهادة البكالوريا بموجب قرار وزاري مشترك مؤرخ في 6 رمضان 1392 /14 أكتوبر 1972 يتمم القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 26 شوال 1391 /14 ديسمبر 1971 والمتضمن إعادة تنظيم بكالوريا التعليم الثانوي [2] والقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 2 صفر 3/1392مارس 1972 الذي يتعلق بتنظيم امتحان البكالوريا التقنية [3]، والقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 26 ذي الحجة 1391 / فيفري 1972 المتضمن تعديل القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 8 ربيع الأول 1389 /24 مايو 1969 والمتضمن تحديد كيفية تنظيم شهادة الكفاءة للأستاذية في التعليم المتوسط[4]، كما صدر مرسوم رقم 71-128 مؤرخ في 8 ربيع الأول 1391 /3 مايو 1971 يتضمن إحداث شهادة البكالوريا للتعليم الأصلي، ومرسوم رقم 71-129 مؤرخ في 18 ربيع الأول 1391 مايو 1971 يتضمن إحداث شهادة الأهلية للتعليم الأصلي[5]، وصدرت بعض القوانين الخاصة بالأساتذة والمفتشين منها مرسوم رقم 76-120 مؤرخ في 18 رجب 16/1396 جويلية 1976 يتضمن تعديل وتتميم المرسوم رقم 68-299 المؤرخ في 3 ربيع الأولى 30/1388 مايو 1968 والمتضمن القانون الأساسي الخاص لمفتشي التعليم

---

1 - **الجريدة الرسمية**، العدد، 52 مؤرخ في 19 جمادى الاول 1392 / 30 جويلية 1972 ص: 806.
2 - **الجريدة الرسمية**، العدد، 94 السنة التاسعة 18 شوال 1392 / 24 نوفمبر 1972 ص: 1534
3 - **الجريدة الرسمية**، العدد، 40 السنة التاسعة 6 ربيع الثاني 1392 / 19 مايو 1972 ص: 597.
4 - **جريدة الرسمية**، العدد، 40 السنة التاسعة 6 ربيع الثاني 1392 /19 مايو 1972 ص: 592.
5 - **الجريدة الرسمية**، العدد 40 السنة الثامنة 23 ربيع الاول 18/1391 /1971/03ص: 623

الابتدائي والمتوسط[1] ومرسوم رقم 72-207 مؤرخ في 27 شعبان 15/1392 أكتوبر 1972 يتضمن تتميم المرسوم رقم 68-301 المؤرخ في 3 ربيع الأول 1388 الموافق لـ 30 مايو 1968 والمتضمن القانون الأساسي الخاص بأساتذة التعليم الثانوي والتقني الحائزين على الكفاءة[2].

وينبغي أن نشير هنا إلى أمرية 16 أفريل 1976 والتي تعد ذات في مسار تطور المنظومة التربوية والتعليمية في الجزائر[3]

التعليم الجامعي: في هذه الفترة تم إنشاء جامعات ومراكز جامعية جديدة وتوسيع القديمة أو تحويلها من مراكز إلى جامعات مثل جامعة قسنطينة ومن أهم المراكز الجامعية الجديدة هي المركز الجامعي بباتنة ، والمركز الجامعي بالبليدة والمركز الجامعي بتيزي وزو ، وهذا لمواجهة الأعداد المتزايدة والمقبلة على التعليم الجامعي حيث يلاحظ أن العدد الذي كان في العام الجامعي 1970-1971 وهو 19311 طالبا قفز إلى 51510 طالبا في العام الجامعي 1978-1979[4]، وقد انصب التشريع والتنظيم في هذه الفترة على النواحي الآتية :

أولا : إنشاء مراكز للبحث، ومعاهد كمركز التكنولوجيا والعلوم النووية[5] بموجب قرار مؤرخ في 22 محرم 1396 / 24 جانفي 1976 [6] ، والمعهد الوطني

---

1 - **الجريدة الرسمية**، العدد 58 السنة الثالثة عشر ، 22 رجب 1396 /20 جويلية 1976 ص:861.

2 - **الجريدة الرسمية**، العدد 87 السنة التاسعة 23 رمضان 31/1392 أكتوبر 1972 ص: 1411.

3 - لم نتعرض لها بالدراسة لأنه يوجد من تناولها في هذا العمل .

4 - **الجريدة الرسمية** : العدد 51 السنة الرابعة عشرة ، 5 رجب 1397 / 26 جوان 1977 ص: 817-818

5 - مصطفى زايد ، **المرجع السابق** 203.

6 - **الجريدة الرسمية** العدد، 42 السنة الثالثة عشر ، 25 جمادى الأولى 1396 / 25 / 05 / 1976 ص:

للصحة الحيوانية بموجب أمر رقم 76-90 مؤرخ في 29 شوال 1396 / 23 أكتوبر 1976 [1]

ثانيا : تنظيم الدروس في التعليم العالي، أي وضع المناهج والبرامج الدراسية لكل شعبة أو تخصص من ذلك مرسوم رقم 72-187 مؤرخ في 25 شعبان عام 1392/ 31 أكتوبر1972 يتضمن الدروس للحصول على شهادة الدراسات العليا [2] .

ثالثا: تنظيم لجان مناقشة الأطروحات الجامعية بموجب قرار مؤرخ في 23 صفر 1397 / 21 فيفري 1977 [3] .

رابعا : إحداث هيئة خاصة بالبحث العلمي لدى المجلس المؤقت للبحث العلمي بموجب قرار مؤرخ في 22 ذي الحجة 1391 / 7 فيفري 1972 [4].

خامسا: مهام الأساتذة المساعدين والمحاضرين بالجامعة بموجب مرسوم رقم 77-114 مؤرخ في 20 شعبان 1397 / 6 أوت 1977 يتضمن تحديد الشروط المتعلقة بممارسة مهام التعليم، وكذلك المهام الإدارية للأساتذة المحاضرين في المعاهد الطبية والأساتذة المحاضرين، والأساتذة المساعدين في الجامعات والمؤسسات الأخرى للتعليم العالي [5] .

إن هذه النماذج المختارة والأمثلة الحية التي أقدمها بين يدي القراء والباحثين لا تفي المرحلة حقها لأنها لا تعدو أن تكون إطلالة سريعة وإحصائية أكثر منها دراسة منهجية متعمقة لكن قصدي منها هو إثراء هذا العمل الذي

---

1 - الجريدة الرسمية، العدد، 89 السنة الثالثة عشرة ، 15 ذو القعدة 1396 / 3 نوفمبر 1976 ص: 1242

2 - الجريدة الرسمية، العدد، 96 السنة التاسعة 25 شوال 1392 / 1 نيسمبر 1972 ص: 1972-1575

3 - الجريدة الرسمية، العدد، 35 السنة الرابعة عشرة 16 جمادى الأول 1397/ أمايو 1977 ص: 618

4 - الجريدة الرسمية، العدد، 22 السنة التاسعة 2 صفر 1392 / 17 مارس 1972 ص: 318.

5 - الجريدة الرسمية، العدد، 62 السنة الرابعة عشرة ن 21 شعبان 1397 / 7 اوت 1977 ص: 909

تقدمه الجامعة في احتفالها بذكرى افتتاحها العشرين وفي عام تخليد الذكرى الخمسين لاندلاع الثورة المباركة، وبمناسبة تخرج الدفعة 17 هواري بومدين .

فمما تقدم يتبين مدى الجهد الذي بذل في تلك الفترة 1965-1978 لبناء قاعدة تعليمة متينة وأصيلة، فكان لابد لأولئك الرجال وفي مقدمتهم الرئيس هواري بومدين رحمه الله من العمل في هذا المجال على أكثر من صعيد لمواجهة الأعداد المتزايدة من التلاميذ والطلبة، ولتكوين إطارات وطنية لسد هذه الحاجيات، لأن الاعتماد على التعاون كان مؤقتا، ولتأصيل وتأسيس منظومة تعليمية جزائرية، ولذلك لا نعجب إن كانت ميزانية التعليم من أكثر ميزانيات الدولة بالمقارنة مع ما كان يمنح للقطاعات الأخرى، وهو أمر آتى بثماره، فالجزائر اليوم وفي عام 2004 يوجد بمنظومتها التعليمة أكثر من 8 ملايين منهم أكثر من 600 ألف طالب جامعي يؤمون آلاف المؤسسات التربوية والتعليمية والبحثية تؤطرهم أغلبية جزائرية وبمقارنة بسيطة بين 1962 عندما كان بالجزائر جامعتان ومركز جامعي، وبين 2004 عندما أصبحت 56 مؤسسة جامعية منها 26 جامعة تتوزع في كافة أنحاء الوطن أن جهد الجزائر كان كبيرا جدا لاسيما على المستوى الكمي.

د/إسماعيل سامعي.

الرئيس الراحل هواري بومدين والهوية الوطنية (التعريب)

د/ بلقاسم شتوان
جامعة الأمير عبد القادر

تمهيد :

خلفية التعريب وأسبابه :

إن لأقدام رئيس الجمهورية الراحل هواري بومدين رحمه الله على إصدار قانون التعريب عام 1971 خلفيات وأسباب وهي :

تكريس عهد الاستدمار الفرنسي في وجود لغة أجنبية ودخيلة على المجتمع الجزائري فرضت عليه في الإدارة والمحيط الاجتماعي إلى جانب لغته المتأصلة في وجدانه والتي كان يتعلمها في مدارسه وجامعاته قبل دخول الاستدمار الفرنسي عام 1830م.

تقول الدكتورة توربي:"كان يوجد في مدينة عنابة وحدها 39 مدرسة و37 جامعا قبل الاحتلال الفرنسي لم يبق منها سوى 03 مدارس و15 جامعا، وقس على هذه النسبة بقية المراكز الثقافية الأخرى في كافة أنحاء البلاد" [1] ويؤكد هذا المعنى المؤرخ الفرنسي بولارد — Poulard- بقوله:" كانت الجزائر تضم معاهد علمية عظيمة الشأن في الفلسفة والآداب —والعلوم والطب- وقواعد اللغة العربية والقانون الإسلامي(الفقه) وعلم الفلك...وكان يقوم بتدريسها أساتذة من كبار الجزائريين.

كما كانت هناك مدارس عديدة متخصصة لتعليم القضاء الشرعي...ثم يقول:" لقد أحدث وجود الفرنسيين اضطرابا بالغا بين هؤلاء المفكرين والأدباء، واضطر العلماء والفقهاء إلى ترك وظائفهم كما شتت التلاميذ الذين اضطروا

1- د/ أحمد بن نعمان التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي .ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر SND ص 165.

إلى السعي وراء العلم في السر بعد أن كانوا يتعلمونه في حرية كاملة [1] ويعترف الدوق دومال الوالي العام على الجزائر في تقرير له إلى حكومته حيث قال:" قد تركزنا في الجزائر واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها إلى دكاكين وثكنات"[2] وفي عام 1938م صدر القرار الذي عرف باسم (قرار شوطان) نسبة إلى واضعه وهو وزير الداخلية الفرنسية في ذلك الوقت. وقد نص على أن اللغة العربية لغة أجنبية ولايجوز تعليمها في المدارس سواء كانت حكومية أو شعبية"[3] وتحت عنوان محنة اللغة العربية في الجزائر يقول صاحب المقال: "احتل الفرنسيون الجزائر عام 1830 فوجدوا أهلها يدينون بالإسلام ويتكلمون بالعربية ويقدسونها منذ اثنتي عشر قرنا ونيفا. فعز على المستعمرين أن يكون لهذه الأمة مقدسات أو مقومات حياة لأنهم بيتوا قتلها وإفناءها أو مسخها على الأقل، فرأوا أن يسددوا أول ضربة حازمة إلى اللغة العربية مظهر كرامة الأمة وعنوان بقائها،فاصدروا قانونا يجعل اللغة الفرنسية في الجزائر هي اللغة الرسمية وحدها،وصيروها لغة المدرسة ابتداء من روضة الأطفال إلى الصفوف العالية في الجامعة.وجعلوها لغة المعاملة العامة ابتداء من مختار الحارة حتى تنتهي إلى الحاكم العام، وهذا أمر قد يسهل تصديقه إنما الذي يعز-ولاشك على القارئ- تصديقه هو أن الفرنسيين الديمقراطيين قد أصدروا قانونا آخر يعتبرون اللغة العربية بين أهلها لغة أجنبية، وهذا ما حصل بالذات، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى اصطناع كل الإهانات لها، فكل مدرسة أهلية للعربية إذا سمح بفتحها، إنما تخضع لقانون المدارس الأجنبية، وإن كل جريدة تصدر بالعربية إذا سمح بصدروها، إنما تخضع لقانون الصحف الأجنبية وإذا كتبت أنت إلى صديق لك رسالة في الجزائر وجعلت العنوان بالعربية إنما ترمي في سلة المهملات،[4] وأن السماح بفتح المدارس لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية الأخرى في نظر الفرنسيين إبان فترة الاستدمار يعد أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخيرة، ولقد

---

[1]- يونس درمونة، المغرب العربي في خطر – دار الطباعة الحديثة 1965 ص 36.
[2]- مجلة الأصالة الجزائرية عدد 6 (يناير فبراير) 1972 ص 135.
[3]- توليت فسيس جاكسون - الجزار الثائرة علوي الشريف القاهرة 1957 ص 130 وأنظر أحمد بن نعمان التعريب بين المبدأ أو التطبيق في الجزائر والعالم العربي ص 168.
[4]- الفضيل الورتلاني الجزائر الثائرة دار الهدى عين مليلة --الجزائر – ص89-90.

كانت تشهد المحاكم الاستدمارية في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلم العربية في موكب اللصوص والقتلة والمجرمين"[1] .

الصراع الثقافي الفرنسي الدخيل والعربي الأصيل :

إن الضعف الذي أصبحت عليه اللغة العربية الفصحى إبان فترة الاستدمار وذلك نتيجة محاربة الإدارة الفرنسية لها، والحصار المحكم الذي ضربته على التعليم العربي الوطني، وإحلاله اللهجة العامية الجزائرية محل الثقافة العربية فامتزجت العامية بالعديد من المفردات الفرنسية حتى أصبح الجزائريون يخشون على لهجتهم العامية أيضا بالزوال والتحول إلى لغة فرنسية منطوقة بلهجة عامية وقد نبه إلى هذا الخطر أحد الكتاب الجزائريين في مقال له بعنوان" تحت غربة اللغة العربية أصبحنا نخشى على اللغة الدارجة[2] يقول: لئن كان منكم من جيل وبينه وبين الفصحى فلا أقل من أن ينال حظه من اللغة العربية الدارجة، فإن الرطان التي تفشى أمرها عموم القطر وتشوهت بها الألسن أيما تشوه وتركتنا حائفين على لغتنا العامية ذلك الخيال الباقي من العربية"[3] إن فرنسة الكثير من الجزائريين الذين أصبحوا يمثلون طبقة منغلقة على نفسها تجاه المجتمع الجزائري منكرة لوطنها وتاريخها وقوميتها متفتحة على الثقافة والحضارة الأروبية تنشد التمثل في المجتمع الفرنسي وهذا الهدف كان من أولى التوصيات التي أوصى بها الحاكم الفرنسي جيشه الزاحف على الجزائر عام 1830:" علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة[4]، كما أن انتشار ظاهرة التحدث باللغة الفرنسية بين الجزائريين في المدن الكبرى بسبب فرضها كلغة رسمية في جميع المجالات الحياتية وبسبب احتكاك الجزائريين بالفرنسيين كموظفين أو عمال في الإدارات والمصانع وقطاع الخدمات، والتي كان يتحتم فيها على الفرد الجزائري تعلم اللغة الفرنسية كتابة وقراءة أو حديثا على الأقل حتى يحصل على لقمة العيش ممن يتصل بهم من أرباب العمل والمسيرين من الفرنسيين- وقد استطاع الاستعمار الفرنسي في خبث ودهاء أن

1- المرجع نفسه ص 90.

2- أحمد بن نعمان التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي ص 189.

3- أبو العباس أحمد (البصائر عدد 27 فبراير 1936م.

4- مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دار النفائس مؤسسة الرسالة الطبعة 2 1983م ص 11.

يكون فئة من متوسطي الثقافة والتعليم باللغة العربية الفرنسية وتوظيفها كإطارات في مختلف المؤسسات الإدارية والاقتصادية والإعلامية وذلك كجزء من استراتيجية محكمة شرعت الإدارة الاستدمارية في وضعها قبل الاستقلال لتدعيم الاتجاه المتفرنس الذي من خلاله سيحافظون على اللغة والثقافة الفرنسية في البلاد بعد حصولها على الاستقلال. مع خلق نواة إدارة استعمارية للتبعية اللغوية والثقافية التي كانت تهدف وتخطط إلى ابقائها في الجزائر.

إن شعور الجزائريين بالخطر الذي كاد يقضي على لغتهم وهويتهم ودينهم وثقافتهم العربية الإسلامية منذ بداية الحملة الصليبية على بلادهم عام 1830 يقول عبد الحميد بن باديس رحمه الله:" والشعور بهذا الواجب يعزى الفضل فيه إلى ما قام به نبغاء الجزائر وعلماؤها من الدعوة والإرشاد فظلوا ينافحون عن اللغة العربية والدين مظهرين ما لهما من الرعاية والجلال...وإلى ما قامت به الصحافة الجزائرية الفتية من ضروب التعضيد والتأييد، والإذاعة، فتوصلت بعد جهاد طويل إلى غرس ملكة الذوق العربي في النفوس ليتذوق العموم من ثمة حلاوة اللغة العربية وطلاوة أساليبها الرشيقة "[1] ويقول عمر بن قدور:" هذه لغتنا العربية الشريفة التي أنزل بها الكتاب، لغة القرآن والدين الإسلامي، قد أصبحت منذ عهد مديد بعد إشراق أنوارها على الخليقة كسفينة في لجة البحر تتهددها العواصف وتتجاذبها عوامل (الحدثان)[2] تكاد تذهب بها ريح الأهواء وكوامل الإهمال. إلى أن يقول:" وإن كان للغة العربية ومحاسنها في عالم الترقيات الفكرية الأوروبية أنصار ينشرون مفاخرها، ويتحدثون بذكرها، ويمجدون آثارها على صفحات النشر والإطراء، فلها من غيرهم خصوم وأعداء ينكرون فضائلها، ويغبنونها حقها، فيقولون بصعوبة مناطقها وتعقد ألفاظها وإستحالة الإلمام بجميعها... وما ذلك إلا لأحد أمرين إما جهلا أو تجاهلا بحقيقتها وتثبيطا للعزائم، وتكاسلا عن مزاولتها، أو لغاية في النفس ودسيسة تدس....." [3] ويقول أحمد توفيق المدني في مقال له بعنوان (بين الموت والحياة):" فالمسألة الموضوع أمامنا الآن هي مسألة المحافظة على الإسلام

---

[1] - مجلة (الشهاب) الجزائرية عدد 05 سبتمبر 1929.
[2]- الحدثان الليل والنهار.
[3]- جريدة (المصباح) عدد 18 –1904/09/30م.

والعربية، وهذه المحافظة هي البرنامج الوحيد الذي يجب أن يكون برنامج الجزائر بأسرها في حاضرها ومستقبلها.... إلى يقول:" وكأن الجزائر اليوم غير شاعرة بتلك الحقيقة الرهيبة القاسية التي نراها رأي الأعين أمامنا، كأنها ليست شاعرة بأن الإسلام في الجزائر سائر إلى طريق الموت، وكأنها ليست شاعرة بأن العربية في الجزائر سائرة في طريق الاضمحلال، وكأنها ليست شاعرة بأنها إن فقدت إسلامها وعربيتها فقدت كل شيء و لم تنل أي شيء".[1]

التعريب مطلب ثوري :

إن التعريب كان هدفا من الأهداف التي يتطلع إليها المجتمع الجزائري طيلة عهد الاحتلال الاستدماري للجزائر وهذا مما حدا بقادة الثورة التحريرية في العديد من المناطق المحررة أثناء الكفاح المسلح إلى الشروع في عملية التعريب كجزء أساس من عملية التحرر التام والاستقلال الحقيقي عن كل ما يمت بصله إلى الاستدمار الفرنسي، وكان هؤلاء القادة ينظمون دروسا باللغة العربية للأهالي وللمجاهدين لتمكينهم من استعمال اللغة العربية في مختلف مجالات حياتهم المدنية والعسكرية[2] ولقد كانت النفوس تتوق إلى التعريب بعد حصول الجزائر على استقلالها و لم يكن أحد يتصور أن تبقى اللغة الفرنسية هي المستعملة في الإدارة الجزائرية. وقد ساد الجزائر بعد استقلالها وجود ثقافتين لا متجانستين تتنازعان الأولوية وتتصارعان من أجل البقاء وتهددان البناء الاجتماعي بالتصدع والتفلك على مختلف المستويات، ونتج عن بقاء اللغة الفرنسية كلغة أولى في الإدارة الجزائرية تكوين طبقة اجتماعية تتمتع بجميع الامتيازات في الحصول على مختلف المناصب في مؤسسات الدولة الرسمية والدفاع عن مصالحها وامتيازاتها ضد اللغة العربية التي تنافسها في الأولوية والمكانة كلغة وطنية وكان السبب في ذلك نقصان الامكانيات البشرية المعربة التي كانت ستمكن الدولة من الاستعاضة بها عن الموظفين الموجودين في الإدارة منذ عهد الاحتلال والرافضين للتعريب، ومما زاد الطين بلة عدم استقرار الدولة في بداية أيام الاستقلال مما أثر على عدم الاهتمام بتكوين الإطارات باللغة العربية ووضعهم في الإدارات

1- جريدة (الإصلاح) عدد 13- 1930/09/27م

2- لقد تحولت السجون في عهد الثورة المسلحة إلى مدارس ومعاهد لتعليم اللغة العربية، وقد تقرب الآلاف من المجاهدين، ومنهم من واصل تعليمه بعد الاستقلال- أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ أو التطبيق ص 269

المختلفة كنواة لتعريب الإدارة بكيفية تدريجية وحسب خطة مدروسة. و
حاب أمل الوطنيين من الجزائريين وتبخر حلمهم بتحقيق التعريب الذي
أملهم إبان جهادهم لعدوهم وذلك بدحره ودحر لغته وثقافته. وبقيت
تسير عرجاء. إلى أن جاء عام 1971 الذي أصدر فيه الرئيس الراحل هوا
بومدين قرار التعريب وقد كان لهذا القرار الدور المهم في دفع عجلة التعري
الأمام وذلك بفرض استعمال اللغة العربية في الإدارة والمحيط الاجتماعي،
من نتائج ذلك تعريب القضاء في بعض المناطق من البلاد قبل أن تشرع
رسميا في تعريبه سنة 1971م بسنوات، وقد أشار إلى ذلك رئيس الجمه
هواري بومدين رحمه الله بقوله:" واليوم أصبح القضاء معربا في عدة جها
البلاد، وأدت اللغة العربية واجبها في هذا الميدان.... وأكد إنه من المستح
يمثل فلاحان أمام قاض ومحام يتكلمان باللغة الفرنسية بينما هما ينظرا
يبلغهما الحكم مترجما. لقد كانت هذه الطريقة موجودة في عهد الاس
ولابد من التخلص منها"[1] .

هواري بومدين وقرار التعريب عام 1971 وأبعاد الاجتماعية والسياسية

01 – **البعد الاجتماعي** : ويتمثل في الآتي :

أولا: تحقيق الحلم الذي كان يراود قادة الثورة الجزائرية: قبل الاس
أي أثناء فترة الكفاح المسلح وذلك بالشروع في عملية التعريب كجزء أساس
في عملية التحرر العام والاستقلال الحقيقي والذي لم يتم عند الاستقلال
لأسباب ذكرنا بعضا منها آنفا.

ثانيا: تأصيل الثقافة الوطنية: وذلك بعودة الفرد الجزائري إلى لغته الأ
المعبرة عن فكره وثقافته في المستقبل والتي يستطيع أن يبدع في مجالاتها المختلفة
لأنها لغته التي درج عليها لسانه وفكره الذي غدا تفكيره بها عفويا دون أن
يستعمل الترجمة لنقل أفكارها من الذاكرة إلى اللسان للتعبير عنها بلغة أخرى.

---

1 - من خطاب للسيد الرئيس الراحل هواري بومدين عند افتتاح السنة القضائية بتاريخ 1969/10/23 .
ذلك قبل الشروع في التعريب الرسمي للقضاء بثلاث سنوات- ينظر خطب الرئيس الراحل بومد
رئاسة الجمهورية الجزائرية الجزء الثالث ص 220.

ثالثا: توحيد الثقافة: فالوضع اللغوي السائد في الجزائر بعد الاستقلال طرح ثقافيتين غير متجانستين تتنازعان وتتصارعان من أجل البقاء وتهددان الوحدة الوطنية بالتصدع.

رابعا: القضاء على الطبقية: ونقصد بالطبقية الفرنكفون الذي تكونت منهم طبقة اجتماعية تتمتع بالامتيازات والمناصب في المؤسسات الرسمية للدولة وأصبح همها الدفاع عن مصالحها وامتيازاتها ضد اللغة العربية التي تنافسها في الأولوية والمكانة وضد الغالبية من أفراد المجتمع الذين يطالبون باستعادتها لمكانتها لمكانتها الطبيعية بعد غيابها أكثر من قرن وربع القرن عن السيادة والريادة.

02 – **البعد السياسي**: ويتمثل في الآتي:

أولا: المحافظة على الوحدة الوطنية وهي من المهام الرئيسة لأي نظام سياسي في أية دولة، لأن ضعف الوحدة الوطنية أو زوالها سيؤدي حتما إلى إضعاف النظام السياسي القائم أو زواله. ومن هنا تتضح أهمية اللغة في تحقيق الوحدة الوطنية والمحافظة عليها، وذلك لأن المجتمع الذي يتحدث أفراده لغة واحدة يكون متحدا بكيفية طبيعية.

ثانيا: التعريب يعبر عن إرادة الأغلبية فالرئيس الراحل هواري بومدين نرى الدولة الجزائرية في نيتها أفراد التعريب هو تعبير عن إرادة الأغلبية العظمى من أفراد المجتمع الجزائري وأن فرض اللغة الفرنسية أو أية لغة أخرى على المجتمع هو وضع سياسي لايتماشى والواقع الاجتماعي في الجمهورية بنظمه المختلفة وسيبقى وضعا اصطناعيا لايحمل مقومات البقاء ثم إن اللغة العربية في الجزائر يفرضها الواقع الاجتماعي على النظام السياسي الذي يستوحي مبادئه من هذا الواقع ويعمل على تحقيق الانسجام في المجتمع بتكامله مع النظم الاجتماعية الأخرى.

وبعد إصدار قانون التعريب وقانون إصلاح التعليم العالي وذلك بهدف دمج الجامعة الجزائرية في المجتمع. بحيث لاتبقى كيانا غريبا عنه، وإضافة لتسخيرها كأداة لتكوين إطارات جزائرية متشبعة بواقع البلاد [1] حيث لاحظ كل فرد من أفراد المجتمع الجزائري لتطور الجامعة الجزائرية منذ 1971 إلى سنة

[1] - مجلة الجيش محرم 1397 – جانفي 1977م العدد 154 السنة الرابعة غرة ص:9-10.

وفاة الرئيس هواري بومدين أنه حدث تقدم محسوس على مستويات مختلفة تتمثل في الآتي:

01 – توسيع الجامعات: وذلك برفع عددها إلى خمس جامعات بالإضافة إلى الفروع المبرمجة، وكذلك الزيادة في عدد المعاهد الكبرى خاصة في ميدان العلوم والصناعات.

02 – على مستوى الطلبة: التوسع في استقبال عشرات الآلاف من الطلبة من حملة شهادة البكالوريا سواء من تلاميذ الثانويات أو الشبان الطموحين إلى تحسين مستوياتهم المعيشية والثقافة من المترشحين الأحرار الذين ارتفع عددهم بسرعة مذهلة.

03 –على مستوى الأساتذة: ارتفاع عدد الأساتذة الجزائريين والمتعاونين الأجانب .

04 – المنح الدراسية : ارتفعت المنح الدراسية بالنسبة للطلبة المتفوقين.

يقول الأستاذ مازن المبارك:" إن لنا في الجزائر أسوة حسنة، فلقد اتخذت القيادة السياسية- وعلى رأسها هواري بومدين – في هذا القطر العربي أمرا بالتعريب وحددت لذلك زمنا معينا. وقال المعرضون للتعريب في الجزائر أكثر ما يقول المعارضون عندنا، وهم هنالك أكثر معاناة للأمر وأقوى حجة فيه.وبدأت خطة التعريب وسارت بخطا وئيدة متزنة وانتقلت من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي فإلى التعلم الجامعي وهي الآن في آخر مراحل هذا التعليم، وهكذا تم التعريب وقضي الأمر وانتصرت التجربة العربية في الجزائربحكمه وأناة[1] ويقول أيضا:" إن الذين يحاربون تقريب التعليم ويضعون العقبات في سبيله بحجة عجز اللغة العربية وتقصرها كمن يمادون بالتخلي عن الجنسية القومية إذ اتصف قومهم بالعجز والتقصير- وشتان مابين من يرى في نفسه عجزا وتقصيرا فيسعى إلى تغير ذلك بإخلاص. وهو قادر على التغير مالك لامكاناته. ومن يؤثر السلامة والراحة ويرى أسهل السبل للتخلص من تهمة العجز والتقصير أن يغير اسمه ويتنكر لذاته- ولئن كان هذا في مجال الحياة الفردية حمقا لايقيم باطلا ولايدفع حقا – إنه في مجال الحياة القومية عقوق لا يغتفر"[2]

---

[1] - مازن المبارك مرجع سابق ص 39

[2] - المرجع نفسه ص 70

اتضح لنا من خلال ما سبق بأن الرئيس هواري بومدين رحمه الله كان من الذين يسعون إلى التغيير بإخلاص وكان قادرا عليه مالكا لإمكاناته رغم العراقل التي واجهته رحمه الله وكان يرى أن التنازل عن لغة الأمة تنازل عن عقلها. وهذا مصداقا لقول: HUMBOLDT – همبلدت: "لسان الأمة جزء من عقليتها " وقيل إن لغة الشعب روحه أو روح الشعب لغته.

د/ بلقاسم شتوان

هواري بومدين والتعليم العالي

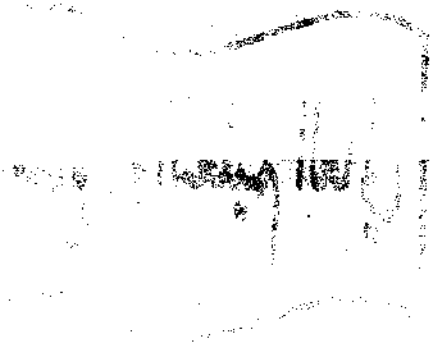

ديمقراطية التعليم إحدى بصمات الرئيس الراحل هواري بومدين.

أ/ عبد المجيد قدور
جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

إن الكلام عن عظماء الرجال ليس بالأمر الهين، كذلك الكلام عن الرئيس الراحل هواري بومدين يعد من أصعب الأمور وأكثرها تعقيدا. وهو أحد العظماء السياسيين المرموقين . وقد وصفه البعض بالرجل المعجزة وبالمخلوق الغامض،لكونه كتوم فضلا عن أنه لم يكن كالكتاب المفتوح وإنما كان لا يبوح إلا بالقليل مما يكنه صدره ، ومن دون شك أن هنالك أسرارا كثيرة –خاصة وعامة– دفنت معه.

لقد جاء ت به الأقدار في وقت حرج وصعب جدا بالنسبة للجزائر، التي كانت تجتاز مفترق الطرق ، وتنتقل من مرحلة الاحتلال، إلى مرحلة الاستقلال والبناء والتشييد.

وقد حاول الرئيس بومدين تصحيح مسيرة الثورة، وتصليح ما يمكن إصلاحه من مخلفات الاستعمار، وخطط لجعل جزائر الثورة تحتل المكانة اللائقة بها بين الأمم ،وكان عليه أن يخوض معركتين، إحداهما على المستوى الداخلي، والأخرى على المستوى الخارجي؛ ونحن هنا سنقتصر على تناول المستوى الأول ،وبالذات على محور من المحاور الكبرى التي كانت الشغل الشاغل لمجلس الثورة والحكومة –آنذاك– وهو محور ديمقراطية التعليم في عهد المرحوم بومدين .

التعليم الابتدائي في الجزائر وأهميته:

لقد عرفنا هذا الرجل وهو تلميذ، وهاجر الجزائر إلى المشرق العربي وهو تلميذ، والتحق بالثورة وهو تلميذ، فمن دون شك أنه أعلم الناس بميدان التعليم وعالم الدراسة والتلاميذ. ويستطيع الباحث أن يعثر على

بصماته، وأن يستشف ذلك من المراسيم التي وقعها. ومن الخطب التي ألقاها في مختلف المناسبات في هذا الصدد.

ومن أقوال الرئيس عن الثورة الثقافية مثلا جاء ما يلي:" بدخول المخطط الرباعي في سنته الثانية تنطلق ثورتنا بأبعادها الثلاثة الثقافي والصناعي والزراعي انطلاقتها الحقيقية نحو تحقيق مجتمعنا الاشتراكي العادل المزدهر،وعلى أساس سليم متين، وهو ضمان بقاء كل بناء أصلي أصيل" (1).

وفي كلامه عن المحاور الكبرى قال الرئيس عن الثورة الثقافية :"إن ثورتنا الثقافية هي روح كل بناء ،إذ هي التي ستتوج أعمالنا وتعطيها تماسكا وانسجاما، وتضمن لها الشمولية، والخصوبة ،والدوام ،وتصبغ عليها معناها الحقيقي، ومغزاها التام ".

ثم يضيف الرئيس قائلا :" ولهذا ، وإذ أحث على أقصى الاهتمام بهذه الثورة الثقافية التي ستعزز مقومات شخصيتنا وعناصر ذاتيتنا، والتي هي بالتالي عميقة المغزى ،سامية المبدأ ،واسعة الأبعاد" (2) .

وإذا تأملنا هذه الكلمات المعبرة لرئيس مجلس الثورة –آنذاك– وجدنا أن التعليم يقع ضمن محور الثورة الثقافية ، والتي هي أساس بناء كل الميادين الأخرى، لأنها ترتبط بمقومات الشخصية الجزائرية وهويتها . واضح هنا أن الرئيس كان متحمسا للغاية لإعادة الاعتبار لمقومات الهوية الجزائرية ولوسائل بنائها، وعلى رأسها التعليم الذي كان يعتبر من الثقافة بمصطلحات تلك الفترة .وخير دليل أن الوزارة الوصية عن التعليم – آنذاك– سميت وزارة الإرشاد القومي.

ليس هذا غريبا على شعب الجزائر الذي ذاق مرارة الاحتلال الاستيطاني،وعانى من الحرمان وسياسة التجهيل التي فرضت عليه حقبة طويلة، وعبر أجيال كثيرة متعاقبة ،وقدم مليون ونصف مليون شهيد من خيرة أبنائه، وليس ذلك غريبا أيضا على السلطات الثورية بعد الاستقلال مباشرة إذا فتحت أبواب المدارس لكل أبناء الشعب البطل؛ لأنها وجدت ذلك يأتي على رأس الأوليات، وهو الجائزة الكبرى التي يمكن أن تقدمها السلطات للشعب الذي حقق النصر، ولم تبخل عليه

بذلك ،لأنه أقل القليل مما يستحقه، وقد فتحت فعلا خلال السنة الأولى للاستقلال(1962-1963) المدارس والمعاهد في كل جهات الوطن ، وزودت بحاجتها من المدرسين كشعار لديمقراطية التعليم، ووجد التعليم إقبالا لا نظير له من الآباء والأبناء على السواء(3) .

وبما أن الشعب الجزائري كانت تغلب عليه الأمية –آنذاك- وحتى النخبة المحظوظة التي نالت نصيبا من التعليم لا يتعد مستواها السنة السادسة في أغلب الأحيان(4) ومن ثمة كانت الانطلاقة خلال السنوات الأولى- للجزائر الحرة- بالمدرسة الابتدائية والمرحلة الابتدائية. وأنشئت وزارة الإرشاد ثم استبدلت بوزارة التربية الوطنية، ولم تظهر وزارة التعليم العالي إلا في أواخر الستينيات في عهد الرئيس هواري بومدين .

ومن البديهي أن يكون التعليم الابتدائي هدفا اجتماعيا بالنسبة لكل دول العالم – دون استثناء- حيث تعمل كل دولة على توفير مستوى محدد من التعليم لكل طفل، ابتداء من السن المدرسي الرسمي، والذي غالبا ما يكون في سن السادسة – حتى نهاية المرحلة، والذي يختلف باختلاف عدد السنوات الدراسية التي تقدم في هذه المرحلة، طبقا للإمكانيات الاقتصادية لكل دولة ، فبينما نجد أن معظم الدول المستقلة حديثا - ومن بينها الجزائر- توفر تعليما ابتدائيا إلزاميا مدته ست سنوات أي ابتداء من6 سنوات حتى سن12 من العمر(5) في حين كانت بعض الدول المتقدمة توفر فترة تعليم ابتدائي إلزامي تمتد إلى تسعة أو عشر سنوات أو أكثر من ذلك، لأن ذلك يتوقف بالدرجة الأولى على الإمكانيات الاقتصادية والبشرية، وكلما ازداد تقدم الدول اقتصاديا، كلما امتدت فترة التعليم الإجباري (6) لهذا فإن دراستنا هذه تتناول المرحلة التعليمية الأساسية التي فيها تسعى الدولة إلى تزويد كل فرد بقدر معين من الثقافة والمعرفة، والذي يزداد ويتطور تبعا للتطور الاقتصادي والاجتماعي في الدولة، وتهدف هذه المرحلة التعليمية إلى إعداد الأفراد الأكفاء الذين تزود بهم المؤسسات التعليمية والمهنية في مختلف المراحل، وتمد أجهزة الدولة بالأعداد الكافية من ذوي المؤهلات العالية، لسد الاحتياجات المتزايدة اللازمة للتنمية الشاملة (7) .

ومن هنا يتبين لنا مدى أهمية التعليم الابتدائي بالنسبة لكل دولة من دول العالم، وفي كل ميادين الحياة لاسيما المجالات العلمية والمهنية منها.

وفي الجزائر الحرة التي اختارت النظام الاشتراكي الذي أساسه إقامة العدالة الاجتماعية (8) جندت كل إمكانياتها المتاحة لتوفير مقعد دراسي، لكل طفل بلغ سن المدرسة الرسمي. وظهر ذلك جليا بعد حركة (19 جوان1965)(9)، وظهرت نتائجه مع مطلع السبعينات من القرن الماضي. كتعليم ديمقراطي إلزامي ومجاني.

ديمقراطية التعليم:

من المؤكد أن قطاع التربية والتعليم كان في مقدمة القطاعات التي جعلتها القيادة الثورية على رأس الأولويات، وذلك نظرا للظروف التي وجدت عليها الجزائر صباح الاستقلال، ونظرا لما تفرضه متطلبات الثورة الجزائرية وما تستلزمه معركة البناء والتشييد الوطني. فالجزائر التي استطاعت التملص من بين براثن أبشع استعمار استيطاني، الذي حاول محو ثقافتها ومسخ مقومات شخصيتها وتحويلها إلى خادم مطيع - وجدت نفسها مخربة ومحطمة اقتصاديا واجتماعيا ،وكان عليها أن تبدأ كل شيء من نقطة الصفر تقريبا، بما في ذلك ميدان التعليم وإعداد الإطارات، وكان عليها أن تركز جهودها على التربية وتكوين رجال الغد، لأن مستقبل الثورة وتحقيق أهدافها المنشودة في كل الميادين يتطلب تكوين الإطارات السامية المؤهلة، والوسائل البشرية القادرة على تجسيد ذلك وإزالة مخلفات الاستعمار نهائيا وإلى الأبد(10).

وقد تمكنت القيادة الثورية خلال السنوات العشر الأولى من توفير كل الإمكانيات في ميدان التعليم والتربية حسب مقتضيات الساعة، ووفق أهداف الثورة التي كان على رأسها ديمقراطية التعليم والتعريب والاتجاه العلمي الناجع(11) .

وكان من الطبيعي أن ينتج عن ذلك استرجاع اللغة الوطنية مكانتها اللائقة، وأن يقطع التعريب خطوات في ميدان التعليم منها أنه: في سنة 63-1964 كانت الأقسام المعربة تمثل نسبة 1.3 %من المجموع العام

وفي سنة 70-1971 ارتفعت إلى5.4 %، وأما في سنة 72-1973، فإن هذه الأقسام المعربة قد أصبحت تمثل نسبة 32.2 %من المجموع العام، وكان عدد التلاميذ في الأقسام المعربة من التعليم المتوسط والثانوي 859 تلميذا سنة 1963، وبلغ سنة70-1971 12747تلميذا (12) .

كما كان من نتائج التعبئة العامة لكل الطاقات والإمكانيات في ميدان التربية والتعليم أن خصص مجلس الثورة والحكومة طيلة عشر سنوات أكثر من ربع الميزانية العامة للتعليم، وهي أعلى نسبة عالميا خصصت لهذا الميدان وبلغ عدد التلاميذ حوالي ثلاث ملايين من التلاميذ، – وقد ذكر أحد الباحثين أن هذه النسبة – ليست كبيرة على بلد أراد أن يخرج من التخلف الذي فرض عليه طويلا(13) .

وبدون شك أن هذه النسبة المرتفعة خير دليل على نجاح تطبيق ديمقراطية التعليم، وإتاحة الفرص لكل الجزائريين في التكوين واكتساب المعرفة، وبالتالي إمكانية المساهمة في إنجاح مخططات البناء التشييد، وجني ثمار الحرية والاستقلال.

ومن هنا يمكن القول أن ديمقراطية التعليم في الجزائر، تتعدى المفاهيم الشائعة في بعض البلدان التي تفتح التعليم للجميع في المستويات الأولى، لكنها في مستويات عليا بعينها تحتكره لذوي الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية(14) .

إن ديمقراطية التعليم في الجزائر تتخطى تلك الحواجز وتحطمها، فتوفر شروط التعليم لكل طفل من السنة الأولى إلى المستوى الذي يمكنه الوصول إليه، وهي لم تكتفي بمجانية التعليم فقط، وإنما عملت على توفير الشروط المساعدة للمتعلمين، فخصصت للمعوزين منهم منحا دراسية، وزودتهم بالكتب الدراسية والأدوات وأعدت لهم المطاعم والأقسام الداخلية بالمدارس لإيواء التلاميذ من المناطق النائية .

ولعل ما يثير الانتباه في قطاع التعليم هو التوسع السريع، والإنجازات الكثيرة التي حققتها وزارة التعليم الابتدائي والثانوي، في التعليم بمرحلتيه والتي كانت فعلا في مستوى أمال الثورة وتطلعات الشعب الجزائري الطموح لغد مزدهر عزيز(15).

وكان من البديهي أن تقترن الزيادة الكبيرة في عدد التلاميذ بارتفاع موازي في المؤسسات المدرسية التي أقامتها البلديات منذ عام1968 وارتفع عدد المدارس خلال العشر سنوات الأخيرة من 2260 إلى6500 مدرسة، وارتفع عدد المعلمين من 19908 في عام 1962 إلى 82000 معلم في 1974 (16) .

وفي مرحلة التعليم المتوسط والثانوي بلغ عدد التلاميذ في العام الدراسي 73-1974 380000 تلميذا أي بزيادة نسبتها 645 % قياسا بسنة الاستقلال، وزيادة أكثر من سبع مرات في ظرف 11 سنة. وفي السنة الدراسية 75-1976 بلغ مجموع التلاميذ 500000 تلميذ في هذه المرحلة .

وحتى تتمكن الدولة من تطبيق مبدأ ديمقراطية التعليم بذلت مجهودات جبارة من أجل استيعاب كل تلك الأعداد الضخمة من التلاميذ، وذلك في بناء المدارس وتجهيزها حتى بلغ عدد المدارس المتوسطة والثانوية في سنة73-1974 أكثر من 700 مدرسة ،في حين كانت بعد الاستقلال لا تتجاوز 410 مدرسة أي أن الزيادة بلغت نسبة 65 %، وبلغ عدد الأساتذة 17100 أستاذ في المتوسط والثانوي (17).

وهذا دليل على أن السلطة – بتوجيهات الرئيس بومدين- كانت صادقة وحريصة كل الحرص على تحويل الجزائر المستقلة من حياة البؤس إلى الحياة الحرة الكريمة .

جزأرة إطارات التعليم :

في أول الأمر استعانت الجزائر بالمتعاونين من الدول الشقيقة وكذلك من الفرنسيين ، غير أن أولئك المتعاونين- حتى وإن كانت مؤهلاتهم الدراسية عالية-لا يمكن تجنيدهم للمهمات الوطنية، لأنهم ينقصهم الحس الوطني ومسؤولية الانتماء، بل يعتبرون أنفسهم مأجورين لا يهمهم غير الأجر الشهري أحيانا ،ونظرا للنقائص التي ظهرت في الميدان، رأت السلطات الوصية أنه ينبغي العمل على جزأرة التعليم ليصبح في يد وطنية أمينة.تحركها روح التضحية والتفاني في العمل .

وقد تعرض إلى هذه المعضلة أحد المتخصصين الجزائريين فيما يلي بهذا الصدد:" هناك صعوبة أساسية تقف في وجهنا وهي أن الأساتذة الجزائريين الذين نطلب منهم الانكباب على دراسية أوضاع بلادهم مازالوا يعتبرون قلة بالنسبة للأساتذة المتعاونين سواء من المشرق أو المغرب أو فرنسا، بحيث حينما تطلب من أستاذ من المشرق أو الغرب أن يدرس للطلاب مشاكل المجتمع الجزائر ي القانونية أو الأدبية وغيرها، يجيبك بالجواب التالي : "وهو أن هذا الميدان لا يدخل في مشمول اختصاصه،وأنه لابد له من دراسة أولا قبل تدريسه ، وهذه الحقيقة كان علينا أن- نبلعها- شئنا أم أبينا ،ولكن عندما يستعملها الجزائريون فقد نعذرهم إلى حين ونعطيهم مهلة كافية حتى يدرسوا هذه المشاكل ويبحثوها " وهذا ما جعل جزأرة التعليم أمرا لا مفر منه(18).

ومن هذا المنطلق وضعت وزارة التعليم الابتدائي والثانوي هدف جزأرة الإطارات منذ البداية بين مهامها الملحة، وقد تم جزأرة الإطارات المسيرة للمؤسسات التربوية والتعليمية من مديرين ومقتصدين ونظار ومفتشين، كما عرفت المعاهد التكنولوجية للتربية توسعا بلغ عددها 25 معهدا، تضم 1000910 مقعد ،وفي ظرف أربع سنوات استطاعت هذه المعاهد تكوين 25877 معلما ابتدائي وتعليم المتوسط .

ونتيجة للمجهودات التي بذلت في تكوين المعلمين محليا تمت جزأرة معلمي التعليم الابتدائي بنسبة تزيد على 92 % ولم يبق من المعلمين الأجانب سوى 4500 أغلبهم من المشرق العربي ،وفي التعليم المتوسط تمكنت معاهد التكوين من تغطية ثلثي الاحتياجات البشرية في جميع المواد عدا الرياضيات والعلوم، وبلغت نسبة جزأرة الأساتذة في هذا المستوى نسبة 55% (19).

أما التعليم الثانوي فقد بقيت جزأرته ضعيفة، ولم تتعد نسبتهـا 24%، وذلك راجع لأن خريجي الجامعات كان يستهويهم العمل بقطاعات أخرى غير قطاع التعليم(20).

ونحن نتتبع مسيرة التعليم بالجزائر كان لابد من الإشارة إلى أن إصلاح هذا الميدان الحيوي قد عايش المخططين الرباعيين :

- المخطط الرباعي الأول (70-1973).
- المخطط الرباعي الثاني (1974-1977).

يعتبر المخطط الرباعي الأول (70-1973) مرحلة تجريبية عرفت خلالها المدرسة الجزائرية إصلاحات هامة وجذرية ،بدأ في تنفيذها عمليا مع بداية تنفيذ المخطط الرباعي الثاني في ميدان التربية والتعليم. وقد شملت الإصلاحات :البرامج وطرق التدريس، وأساليب تكوين المعلمين وهندسة البناءات المدرسية ،والتوجيه التربوي العام ،وكل ماله صلة بالمدرسة كمؤسسة تعليمية وتربوية .

أما المخطط الرباعي الثاني (1974-1977)، فإنه جعل المدرسة الجزائرية تعيش واقع المجتمع الجزائري ،وجعلها وسيلة للتطور البلاد ونهضتها، بعد التعديلات التي أدخلها على نظمها وهياكلها وطرق التعليم والتكوين فيها .

ويبدو أن إصلاح المؤسسة التعليمية الجزائرية جاء كرد فعل على التحدي الذي صاحب التقدم العلمي والتكنولوجي السريع. وقد فرضت التجربة الجزائرية على التلميذ تربية إلزامية لتسع سنوات متتالية تقدم تعليما شاملا يساوي ما كان بالمرحلتين الابتدائية والمتوسطة. وعلى إثر هذه السنوات المتصلة من الدراسة ينتهي التلميذ إلى مفترق الطرق الذي يؤدي أحدها إلى البكالوريا، ويؤدي الثاني إلى التكوين المهني الذي يعد الإطارات الفنية والتقنية للعمل الميداني، ويمتاز هذا النوع من الدراسة الأساسية أنه يتمشى مع احتياجات البلاد الاقتصادية والثقافية. ويرعى الطفل تربويا وتعليميا مدة 9 سنوات متواصلة .الأمر الذي يضمن له تكوينا يجعله يعتمد على نفسه في حياته وينفع به مجتمعه لاسيما إذا تعود على تنظيم وقته وجهده (21) .

في الذكرى العشرين لاندلاع الثورة التحريرية 1974 دعي الشعب الجزائري للالتفاف حول السلطة الثورية من أجل التجسيد المستمر لسياسة التحرر والبناء الاشتراكي. وقد جاء على لسان الرئيس الراحل هواري بومدين في هذا الصدد قوله: "ولكن جيل نوفمبر العظيم كان على موعد مع القدر: صنع في أولهما نصره، واسترجع استقلاله؛

وهاهو في- الموعد- الثاني يخوض أروع معركة يمكن أن يخوضها الشعب وهي معركة بناء الوطن وتشييده بعد أن تم تحريره وتطهيره ، أصبحت (الجزائر) بلدا يبني في الداخل أركان المجتمع الاشتراكي ، يشيد معرفه وكده معالم الغد ، ويحقق العدالة الاجتماعية في أرقى صورها، ويرسم في الخارج صورة مشرقة للطلائع المتبصرة، يرفع قبضة الحق في وجه الغطرسة الاستعمارية ، ويعطي العالم الثالث رصيدا جديدا من الفكر والممارسة، ويؤثر في أحداث العالم من أجل عالم أفضل"(22).

إنه مقتطف قصير من أقوال بومدين ولكنه معبر عن جوهر سياسة بلادنا داخليا وخارجيا واحساسات شعبنا الطموح إلى الأحسن.

إذن نصل إلى أن ديمقراطية التعليم إحدى المحاور الثورية الكبرى كالثورة الزراعية ومجانية العلاج الخ.. وهي عماد بناء مستقبل زاهر في غد مشرق عزيز .

المرحلة الأخيرة من إصلاح التعليم:

كانت الجزائر تعيش خلال العشرية الأولى للاستقلال كسائر البلاد في طريق النمو مرحلة انتقالية تمتاز بالإصلاحات في جميع مجالات النشاطات فرضته ظروف البلاد. فقد كان على السلطة الثورية أن تعيد النظر في مشاريع الثورة الثقافية وتقييمها بعد اجتياز المرحلة الانتقالية، التي مرت بها جزائر الثورة اقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا. اتجهت الدولة بعد الاحتفال بالذكرى العاشرة لحركة التصحيح الثوري إلى إعادة النظر في إصلاح قطاع التعليم الذي خربة الاستعمار أكثر من غيره، وقد خصصت الجزائر الفتية اعتمادات مالية تقدر بثلث الميزانية العامة، قصد تعميم التعليم ونشره، لأن الجزائر تأكدت مع الأيام أن ذلك هو الحل للالتحاق بركب الحضارة (23) .

وقد مست الإصلاحات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي للتخلص من القوانين التقليدية الجامدة قصد تحديث التعليم وعصرنته بما يخدم تربية الطفل وتهيئته ليحمل أعباء البناء والتشييد كرجل المستقبل، كما مس الإصلاح المعلم لتمكينه من ممارسة نشاطه وتنظيم وقته بما

يساعده على مساعدة الآخرين وللتدريب أوقات العطل للحصول على شهادات في التعليم (24) .

فيما يتعلق بتكوين المعلمين اعترضت الميدان خلال السنوات العشر الأولى بعد الاستقلال صعوبات كبيرة لأسباب ظرفية مرتبطة بالرحيل الجماعي للفرنسيين والفراغ الذي تركوه، ونظرا للعدد الهائل للتلاميذ والنقص الكبير في عدد المعلمين، لجأت الحكومة الجزائرية للتوظيف المباشر في سلك التعليم، دون تكوين مسبق بل تعدي الأمر أحيانا إلى قبول كل شخص يعرف القراءة والكتابة والحساب دون المهارات الأخرى اللازمة لممارسة مهنة التدريس(25) .

وأما في هذه الفترة (1976) فقد ظهرت المدارس التكنولوجية لتكوين المعلمين في التعليم الابتدائي، وأساتذة التعليم المتوسط،وكانت نتائجها إيجابية، فبواسطتها أمكن الحصول احتياجاتنا من معلمي الابتدائي الذي تمت جزأرته تماما، كما تم سد حاجة جزء كبير من التعليم المتوسط قصد جزأرته هو الآخر .

وقد صرح الأمين العام لوزارة التربية أنه قام بجولة في العالم العربي لجلب عدد من الأساتذة حوالي 2000 أستاذا أغلبهم مصريين (26) .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأساتذة المتعاونون كانوا يتملصون من التعليم في الريف والبوادي، ويفضلون العمل بالمدن الكبرى. ولهذا تم الاتفاق مع حكوماتهم على تعيينهم مسبقا في مختلف الولايات الجزائرية التي يتم تعيينهم بها ،وتم حل المشكل نهائيا(27).

كما أكد الأمين العام لوزارة التعليم الابتدائي والثانوي عزم وزارته على مواصلة الإصلاحات فقال: " بما أن علم التربية كسائر العلوم في تطور مستمر ، فلا يمكن والحالة هذه أن نرتاح للنتائج المنتظرة ونضعها في قواعد قانونية لأننا بذلك نجعل الطالب والمدرسة والأستاذ يعيشون في رتابة جامدة، لا تتفق مع التربية العصرية، وعليه سنواصل الإصلاحات بناء على النتائج التي سنحصل عليها سواء في طرق ومناهج التعليم، أو في محتواه، فضلا عن أن المرحلة الراهنة تتطلب ذلك"(28) .

وقد نشأت مرحلة التعليم الأساسي في الجزائر ابتداء من 1976 وذلك بمقتضى مرسوم رئاسي نشر في الجريدة الرسمية وهي مرحلة تم فيها إدماج مرحلة التعليم المتوسط – بعد اختصارها إلى 3 سنوات – في المرحلة الابتدائية التي تستغرق 9 سنوات بحيث لا يغادرها الطفل إلا بعد بلوغ 16 سنة، وهي مرحلة إجبارية وشاملة لكافة أطفال الجزائر ذكورا وإناثا وتنقسم إلى مرحلتين :

الأولى: تستغرق 6 سنوات وهي مرحلة واحدة وموحدة التعليم بالنسبة لكافة الأطفال وهي مخصصة أساسا لإتقان المهارات الأساسية في اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي ومبادئ العلوم والتاريخ والجغرافيا

وتستغرق المرحلة الثانية 3 سنوات وفيها يتنوع التعليم ويتفرع إلى علوم إنسانية، وعلوم صحيحة وتقنيات ومهن بسيطة، بحيث يقرأ التلميذ في السنة الأولى تعليما واحدا، أما في السنتين الأخيرتين فإن التلاميذ يدرسون إلى جانب العلوم العامة واللغات والإنسانيات بعض العلوم التقنية مثل: المحاسبة أو مسك الدفاتر، أو الآلة الكاتبة والاختزال أو صناعة الألبان أو التفصيل والتطريز والخياطة أو تصليح الراديو والتلفزة إلى غير ذلك من الصناعات والمهن الأخرى التي تتناسب مع أعمار الأطفال في هذه المرحلة. بحيث إذا تخرج الطفل من المدرسة الأساسية ولم يتمكن من مواصلة دراسته الثانوية، فإنه سوف يكون قادرا على الاندماج في عجلة الحياة الاقتصادية والتنموية لبلاده (29).

وبذلك يصبح فردا منتجا ولا يبقى عالة على والديه أو المجتمع .

وفي السنوات الأخيرة من عهد الرئيس بومدين شرع في تطبيق المدرسة الأساسية كتجربة سنة 1977-1978، ولكن تنفيذها على المستوى الوطني بدأ عام 1980-1981.

وأهم ما يلاحظه المرء أن إصلاح المدرسة الأساسية قد جاء من أجل تحسين مستوى التربية الوطنية وترقيتها وبالتالي يمكن تحقيق هدفين رئيسيين:

1- الأول يتمثل في محاولة رفع مستوى تعليم المواطن الجزائري من ست سنوات إلى 9 سنوات ريثما تصبح مرحلة التعليم العام كلها مرحلة إجبارية في المستقبل القريب لجميع التلاميذ الجزائريين ،بحيث يواصلون دراستهم حتى

شهادة البكالوريا أو ما يعادلها. حيث يرتفع مستواهم العلمي والتقني ويصبحون قادرين على التأقلم وعلى المساهمة بطريقة أو بأخرى في تطوير بلادهم بكفاءة ومقدرة .

2- أما الوظيفة الثانية لإنشاء مرحلة التعليم الابتدائي الأساسي فهي تتمثل في التقريب بين التعليم النظري الذي يعتمد على الفكر فقط، وبين التعليم التقني والمهني الذي يعتمد على العمل اليدوي في المعامل والورش والمصانع والمزارع وبذلك يزول هذا الانقسام الغريب الذي لازم التعليم في الجزائر مدة زمنية طويلة (30) .

ولم تهمل الإصلاحات المحتوى المدرسي، الذي يتلقاه التلاميذ ،في المؤسسات التعليمية بمختلف المراحل،وجعلته يحتوي على جملة من المهارات الفكرية والعملية التي تسلح المتعلم بوسائل التلاؤم مع البيئة ماديا ومعنويا وتجعله يتأثر بها ويؤثر فيها بواسطة ما يقدم له من مناهج وقيم ومعايير سلوكية(31) .

وبما أن المضمون التعليمي ليس ..صالحا لكل زمان ومكان فمن المحتم يجب مراجعته من وقت لآخر فما كان يعتبر في بلادنا مهارات قبل سنوات أصبح في حكم التراث ،كما أن الحياة قد اتخذت صورا لم تكن معروفة قبل سنوات .فقد تغير وضع الريف والمدينة والذكر والأنثى وتغيرت حتى القيم والمبادئ (32) .

إنه موضوع خطير وحيوي يؤثر علي مستقبل الأجيال الاقتصادي والاجتماعي والفكري، ويحتاج كل نظام مدرسي سليم إلى معلمين أحسن إعدادهم، وقبل فتح المدارس ينبغي تهيئة احتياجاتها من المدرسين، وتوظيف رجال ونساء سبق إعدادهم للمهنة، أن ترافق كل خطة للتعليم الإلزامي خطة لإعداد المدرسين .(33)

إجبارية التعليم أو التعليم الإلزامي:

لما كانت أهداف التعليم الإلزامي الابتدائي هي تكوين المواطن الصالح وتزويده بالعناصر الأساسية من المعرفة والقدرة وغرس العادات الفردية والاجتماعية الصالحة فيه، لذلك أوصى المختصون على تحديد فترة التعليم الإلزامي حتى يتسنى تحقيق الأهداف المرجوة منه، بحيث لا

تقل عن ست سنوات مع العمل على رفعها إلى ثماني سنوات على الأقل كي تسد حاجة المجتمع من التعليم على أكمل وجه ،وأوصى بإعداد الأبنية المدرسية والأساتذة والمعدات والأدوات(34) .وفيما يتعلق بالتشريع المدرسي ينبغي أن تتضمن قوانين التعليم الإلزامي الأسس والمبادئ العامة والخطوط الرئيسية التي توضح الأهداف وتكفل انتظام التلاميذ في الدراسة . (35)

ومع أن كثير من البلدان المستقلة تمسكت بالأنظمة التعليمية الموجودة قبل الاستقلال ،ولكنها اكتشفت أن تلك الأنظمة وضعت أساسا لفئة محدودة من الأطفال، وهذا ما جاء في ميثاق الجزائر الذي يقضي بفتح المجال بعد ثلاث سنوات فقط ،لجميع الأطفال للدراسة مدة ثماني سنوات كما هو الشأن في فرنسا (36) .

وهذه الديمقراطية للتعليم اتخذت طابع الإلزام وإجبار الطفل على التعلم، وقد يعاقب من يخالف ذلك حتى أولياء أمور التلميذ وذلك بمقتضى المرسوم رقم 76-66 المؤرخ في 16 أبريل 1976 والمتعلق بالطابع الإجباري للتعليم الأساسي (37) .

مجانية التعليم : (العلم للجميع)

لم تقتصر ديمقراطية التعليم بتوفير مقعد بالمدرسة لكل طفل وإنما جعلت التعليم مجاني في جميع المراحل ،وذلك بمقتضى مرسوم رئاسي يتعلق بمجانية التربية والتكوين ينص على أن يكون التعليم مجانا في جميع مؤسسات التربية والتكوين، علاوة على مجانية التعليم إمكانية حصول تلاميذ التعليم الأساسي والتعليم الثانوي بسعر معقول على الوسائل التعليمية واللوازم المدرسية والخدمات الاجتماعية التي تسهل العملية التربوية.(38).

وهذا يبين مدى سهر رئاسة الحكومة ومجلس الثورة على تحقيق العدالة الاجتماعية وإعطاء الطفل الجزائري حقا طالما حرم منه(39)، وتقديرا للتضحيات الجسام التي قدمها الشعب الجزائري البطل وعلى رأسها مليون ونصف شهيد من خيرة أبنائه، كان على الطفل- رجل الغد- أن يتبوأ مكانه الصحيح، وأن يتعلم ويعيش كسائر أبناء الشعوب

الحرة في العالم .

وقد عملت السلطات الثورية بقيادة الرئيس بومدين - ولم تدخر جهدا- على أن تحتل الجزائر مكانتها بين الدول، وذلك بفتح أبواب العلم والمعرفة أمام الجميع، وإتاحة الفرصة لكل مواطن دون استثناء بل إجبارهم على التعليم لمدة محددة قابلة للزيادة وبالمجان للجميع، وللحقيقة نقول أن سنة 1976-1977،كانت حافلة بالإنجازات وظهرت خلالها نتائج الثورات الثلاث جلية ، ويكفي أن نذكر هنا إصلاح التعليم والميثاق الوطني .

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نعتذر ونقر بأننا مهما تكلمنا عن الرئيس الراحل هواري بومدين فلن نوفيه حقه، فرحم الله الرجل الفذ الذي كرس حياته حتى آخر يوم للبناء والتشييد ،وقاد الثورات الثلاث(الثقافية والزراعية والصناعية) وكانت ديمقراطية التعليم على رأس المحاور الكبرى للثورة الجزائرية، وستبقى شاهدة على إنجازاته ،ومكسبا لشعبه الذي أحبه وأخلص له حتى بعد التحاقه بالرفيق ؟ الأعلى.

أ/ عبد المجيد قدور

الهوامش:

1- مجلة الأصالة ع1، مارس 1971 . ص4 .

2- مجلة الأصالة. ع1. مارس 1971 . ص5 .

3- مع إعلان وقف القتال في 19 مارس 1962 فتحت المدارس وأقبل الناس على التعليم إقبالا لا نظير له ، وشجع الآباء أبناءهم إيمانا منهم بأن المستقبل للعلم والمتعلمين، وبعد إعلان الاستقلال في صيف تلك السنة، كان كل الأطفال الجزائريين الذين أتموا ست سنوات فما فوق يوم أول أكتوبر يقفون أمام المدارس.

4- في عهد الاستعمار كانت نسبة الجزائريين الذين يلتحقون بالمدارس ضئيلة جدا ، وكان مستواهم عند التخرج لا يتعدى في أغلب الأحيان مستوى السنة السادسة ابتدائي .

5- الفترة الإجبارية من 6 إلى سن 12 من العمر .

6- فرنسا مثلا كانت فترة التعليم الإجباري تصل إلى عشر سنوات . مجلة الجيش . عدد 96 ، مارس 1972 . ص31

7- مجلة الجيش . عدد 96 ، مارس 1972 . ص31 .

8- سعيد بو الشعير . النظام السياسي الجزائري .الجزائر ، دار الهدى ،1993 .ط2 . ص ص 50-51

9-حول الحركة التصحيحية أنظر: سعيد بو الشعير . نفس المرجع. ص ص63-66 .

10- مجلة الجيش . نوفمبر 1975 ص24 .

11- نفس المرجع. ص24

12- نفس المرجع . ص24

13- الصحفي التليفزيوني الجزائري المرموق جلالي المعتز بالله. أنظر: نفس المرجع . ص24

14- لا طبقية في الجزائر كل الشعب متساوي حتى السنوات الأخيرة من عهد بومدين

15- مجلة الجيش . نوفمبر 19 75 . ص25

16- نفس المرجع . ص25 .

17-نفس المرجع . ص25

18- عبد الله شريط . من واقع الثقافة الجزائرية . الجزائر .ش.و.ن.ت 1981 . ط2 . ص84 .

19- الجيش. نوفمبر 1975 . ص26 .

20- .نفس المرجع . ص 26 .

21- .نفس المرجع . ص26 .

22- الجيش ، نوفمبر1975 . ص3 .

23- الجيش . عدد91 ، أكتوبر 1971 . ص12 .

24-الجيش. عدد 91 . ص13 .

25- مصمودي زين الدين .لمحة تاريخية عن تكوين المعلمين في الجزائر .مجلة العلوم الإنسانية .جامعة قسنطينة ع19997،8 ص 82 ؛ الجيش. عدد91 ، 1971 . ص14 .

26- نفس المرجع.. عدد91 ص56 .

27- نفس المرجع . عدد 91 . ص56 .

28 - تصريح عبد الحميد مهري الأمين العام لوزارة التربية والتعليم) . نفس المرجع. عدد 91 . ص56

29- الجيش . عدد91 ،1971 . ص57 ص 56 ث ن

30- الجيش عدد 91 . ص58 .

31- الثقافة .وزارة الإعلام والثقافة . الجزائر .عدد 47 أكتوبر - نوفمبر 1978 .ص59

32- الثقافة عدد47 أكتوبر- نوفمبر 1978 . ص 60 .

33- مؤتمر التعليم الإلزامي المجاني في الدول العربية (29 ديسمبر1954 -11يناير 1955). ج.مصر ، وزارة التربية التعليم . ص54 .

34- نفس المرجع . ص ص224- 225

35- نفس المرجع . . ص 229 .

36- المجاهد الثقافي.دار المجاهد.عدد1 ، جوان 1967 . ص40 ؛ الجريدة الرسمية عدد33/أبريل 1976، ص539

37- الجريدة الرسمية .عدد 33 / 16 أبريل 1976 ص ص539-540 .

38- الجريدة الرسمية .نفس العدد .ص540 .

39- الإعلان العالمي لحقوق الطفل الصادر عن الأمم المتحدة 20 ديسمبر1959 أصدرته منظمة اليونيسيف1968، أنظر أيضا مجلة الثقافة . وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر عدد1977/36 . ص65

التعليم العالي في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين

د/ عبد الكريم بن أعراب

مقدمة:

مرحلة حكم بومدين مرحلة بناء الجزائر. لا يختلف اثنان في هذا الحكم. مرحلة البناء هي أصعب المراحل في تاريخ الشعوب، ما بالك والمجتمع الجزائري يخرج منتصرا من حرب ضروس دامت قرنا ونيفا من الزمن.

الظروف الاقتصادية والاجتماعية والمالية للمجتمع الجزائري غداة الاستقلال وصفتها كل الوثائق التي تناولت هذه الفترة بالصعبة جدا. اقتصاد ضعيف ومسيطر عليه، تبعية مالية وتجارية، أمية متفشية بمقدار 90 %، عاهات عقلية وجسدية لفئة كبيرة من أفراد الشعب، بطالة لجل اليد العاملة (مليونين وستمائة ألف من 8 مليون ساكن أي 32.5 %)، عجز في التغطية الغذائية (إنتاج الحبوب مقدر ب 16 مليون قنطار مقابل حاجيات غذائية مقدرة ب 24 مليون قنطار) والصحية، صراعات حادة على السلطة، مشاكل حدودية، حالة الشغور التام في المستثمرات الفلاحية والوحدات الإنتاجية الصناعية، الخ...

(بن أعراب، 2002).

نـــموذج التسيير الذاتي المعتمد ومنهاج تسيير الدولة خلال سنوات 1962-1965 وصف بالاشتراكية العشوائية (بيان 19 جوان 1965)، وكان مبررا كافيا لصانعي حدث جوان 1965. حتى ولو اختلفت الآراء في طبيعة هذا الحدث. بومدين وصفه بالتصحيح الثوري في حين ذهب كتاب إلى وصفه بانقلاب عسكري. مهما كانت طبيعة هذا الحدث فإن التحليل البعدي يعتبره منعرجا هاما في تاريخ الجزائر الحديث.

دراسة المنظومة التربوية في عهد العالي خلال مرحلة حكم الرئيس الراحل هواري بومدين تتطلب البحث في كل الوثائق المتعلقة بمختلف موارد التعليم العالي. لكي تتضح الصورة جلية لهذه الفترة، التي اتسمت بالتشييد والبناء، كان من الضروري إنجاز المؤشرات الكمية في مختلف أبعادها قصد توفير لوحة شاملة تعكس بصدق هذه المرحلة.

نتناول بالبحث والدراسة مختلف الإنجازات والظروف التي أحاطت بها طوال الفترة 1965-1979. سنركز على التعليم العالي لأن القطاعات الأخرى سيتناولها بالبحث أساتذة آخرون.

1- التربية الوطنية عام 1964:

لكي نتمكن من وضع معالم لدراستنا تمكننا من إجراء مقارنات وقياس الجهد المبذول واستنباط خيط السياسة التعليمية لزم علينا معرفة وضع التربية الوطنية عام 1964، وهو ما نتناوله من خلال الجدول رقم 1.

جدول 1- مؤشرات تربوية لعام 1964

السنة	الابتدائي	المتوسط	الثانوي	الديني	العالي
المجموع	1049435	74384	5823	1994	3565
نسبة الإناث %	38.0	30.0	21.9	13.03	22.0

المصدر:

Benarab, A, 1997, l étude des coûts et de l efficacité dans le système universitaire algérien. Doctorat, Dijon, France

نلاحظ أن المنظومة التربوية بدأت تتسع على مستوى القاعدة (التعليم الابتدائي) في حين لم يسجل التعليم الثانوي سوى 5823 تلميذا وهو عدد بسيط يخبرنا عن وضعية التعليم الثانوي غداة الاستقلال. يبدو أن الجزائريين لم يكن بمقدورهم الوصول لهذه المرحلة. كما أن تعاقب المراحل التعليمية يحتم على المنظومة بكاملها انتظار سنوات متتالية لتصل تدفقات التلاميذ للمراحل العليا من التعليم.

لكن المنظومة التربوية كانت تشكو من مردودية متدنية يبينها مستوى تسرب التلاميذ ونسبة إعادتهم العالية وهو ما يطرح إشكال كبير فيما يتعلق بالعدد الإجمالي للتلاميذ الذين يصلوا إلى المراحل العليا. المنظومة التربوية يمكن

عدينا معرفة كمية الماء في المنبع، ثم كمية الماء المتسربة طيلة المسافة بين المنبع والمصب، وكذلك كمية الماء الموجودة بين المنبع والمصب. كذلك الشأن بالنسبة للمنظومة التربوية التي تخضع لنفس القانون. حتى نتمكن من معرفة ما يمكن أن يصل إلى الجامعة من أعداد نطل على سيرورة تدفقات التلاميذ من خلال نسب الإعادة ونسب التسرب وهو ما يعكسه الجدول رقم 2.

جدول 2- نسب الإعادة والتسرب في المرحلة الابتدائية لعام 64/65.

النسبة المئوية. %

	السنة/مستوى	1	2	3	4	5	6	7
الإعادة	المجموع	11	30	26	24	23	25	[illegible]
	الإناث	11	31	26	25	22	24	[illegible]
التسرب	المجموع	10	4	9	7	28	12	[illegible]
	الإناث	11	4	10	11	32	غ.م	غ.م

المصدر: المصدر السابق.

غ.م = غير معروف.

هذه الأرقام لوحدها كفيلة بإخبارنا عن عدد التلاميذ الذين يمكنهم الانتقال للطور المتوسط. إذا افترضنا أن 100 تلميذ في السنة الأولى فقط 20 تلميذا يصلوا للسنة الأولى متوسط بدون إعادة. أما إذا أدرجنا نسب التسرب مع نسب الإعادة فإن 3.5 % فقط يتمكنوا من الوصول إلى السنة الأولى متوسط، وهذا ما يدل على مردودية جد متدنية في تلك الفترة.

حتى نأخذ صورة أكثر وضوحا عن المنظومة التربوية الجزائرية نقدم جدولا عن نسب الإعادة والتسرب للطور المتوسط. وهو ما يعكسه الجدول رقم 3.

جدول 3- نسب الإعادة والتسرب للطور المتوسط عام 66/67.%

السنة/مستوى	1	2	3	4
الإعادة	6	7	9	4
التسرب	59	17	36	89

المصدر: المصدر السابق.

إذا كان 89 % من التلاميذ قد تسربوا من المنظومة التربوية في نهاية الطور المتوسط فهذا وحده يعبر عن تدرج التلاميذ من طور لآخر ويطرح إشكال كبير أمام واضعي السياسات التربوية في الجزائر.

لعل الرئيس هواري بومدين قد تنبه لأهمية التعليم في الجزائر. التربية أدرجت ضمن السياسة التنموية المعروفة في عهده. ينعكس ذلك من المبالغ المخصصة ضمن المخططات التنموية الجزائرية لقطاع التربية، في شقيها البناء والتجهيز. وهو ما يبينه الجدول رقم 4.

جدول 4- مكانة التربية في الاستثمارات المخططة، 1967-1977.

الوحدة: مليون دينار

المخطط	الثلاثي 69-67	النسبة %	الرباعي 1 73-70	النسبة %	الرباعي 2 77-74	النسبة %
التربية	844	9	3013	8	5929	5
الصناعة	4860	53	20691	57	73810	61
الزراعة	1926	21	4356	12	8833	7
أخرى	1540	17	8130	23	32428	27
المجموع	9170	100	36190	100	121000	100

المصدر: Benarab, 1997, P.27

يبين الجدول اختيار الجزائر فيما يتعلق بنموذج التنمية الذي اعتمد بشكل كبير على الاستثمار في الصناعة لخلق قاعدة متينة وهو اختيار أسال حبرا كثيرا. ما يهمنا هو القدرات المخصصة لإنجاز المؤسسات التعليمية وتجهيزها. هذه القدرات المخصصة تنعكس بوضوح في الإنجازات التي يمكن تلمسها من المؤشرات المحتواة في الجدول رقم 5.

جدول 5- مؤشرات تعكس ما أنجز خلال الفترة 1967-1977.

	المؤسسات التربوية المنجزة			نسبة التمدرس	أعداد التلاميذ		
	الإبتدائي	المتوسط	الثانوي	الإبتدائي	الإبتدائي	المتوسط	الثانوي
1967	4266	427	61	44.6	1551489	138044	22505
1977	8102	664	142	78.0	2972242	679623	154430
المضاعف	1.9	1.55	2.32	1.75	1.9	4.92	6.86

المصدر: جدول محسوب استنادا إلى وثائق مختلفة، وزارة التربية، الجزائر.

ملاحظة: بالنسبة لأعداد التلاميذ سنة الأساس هي 1968وسنة المقارنة 1978.

استطاعت الجزائر أن تحسن مؤشرات التربية في ظرف 10 سنوات وذلك بتبني التربية كأولوية في السياسة الاقتصادية، لكن هذه المؤشرات الخاصة بالأطوار ما قبل الجامعية، ومهما كان التطور المسجل، لا تمثل ضغطا على التعليم العالي الذي كان شبه منعدم غداة الاستقلال. ما هي إذن السياسة البومدينية في مجال التعليم العالي؟ هذا ما نتناوله بالدراسة والبحث في المباحث القادمة.

2- التعليم العالي في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين:

دراسة السياسة البومدينية في مجال التعليم العالي تأخذ أهميتها منذ عام 1970 تاريخ إنشاء وزارة التعليم العالي لأول مرة في تاريخ الجزائر المستقلة. إنشاء هذه الوزارة لم يكن وليد الصدفة ولم يكن نتيجة ضغوط أعداد الطلبة إنما كان يندرج في إطار استراتيجية كبيرة وواضحة. هذه الإستراتيجية تكمن في إنشاء قطاع بكامله بالرغم من بساطة الشبكة المؤسسية الجامعية التي كانت تتمثل في جامعة الجزائر وفرعين بسيطين في كل من قسنطينة ووهران.

لكي تتولد لدينا فكرة عن التعليم العالي في الجزائر نعرض بعض المؤشرات المتعلقة بهذا المجال الخاصة بالفترة 1962-1971، وهو ما يعكسه الجدول رقم 6.

جدول 6- التعليم العالي في الجزائر خلال الفترة 1962-1971

السنة	طلبة التدرج			الدراسات العليا	الأساتذة مرحلة التدرج		
	المجموع	نسبة الإناث	نسبة الأجانب	المجموع	نسبة الأجانب	نسبة التأطير
63-62	2725	21	22	غ.م	72.5	9.1
66-65	6883	21	23	231	غ.م	10.2
69-68	9794	23	13	289	غ.م	13.9
71-70	19311	22	10	423	50.0	14.2

Djoudi, 1993, Analyse économique de l enseignement supérieur algérien, Doctorat, Dijon, France.

جاءتنا قراءة الجدول بنبا مفاده أن عدد الطلبة في الطور الجامعي تزايد بوتيرة متسارعة، عدد الطلبة الأجانب كان يحوم حول 22 وتناقص في نهاية الستينيات. مرحلة الدراسات العليا أو ما كان يسمى بمرحلة ما بعد التدرج تطورت الأعداد بها لكن لا تستطيع تلبية حاجيات التأطير الذي كان يعتمد بشكل شبه كلي على الأساتذة الأجانب. هذه المعطيات تنير لنا الطريق أمام فهم القرارات التي اتخذت عام 1971، التي سنتناولها فيما بعد. لكن يجب علينا تصور الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لعام 1971. وهو ما نعرضه في المبحث الموالي.

3- الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لعام 1971:

1-3- الظروف الاقتصادية:

تميزت الظروف الاقتصادية بترسيخ نموذج التنمية الجزائري بوضع معالمه بإنجاز المخطط الثلاثي 1967-1969. كما أن انتهاج الاشتراكية والتخطيط المركزي واستغلال الموارد الوطنية تجلت في سلسلة التأميمات واسترجاع الثروات الوطنية. بدأ بومدين بتأميم المناجم عام 1968 ووضع الشبكة البنكية الجزائرية التي نجمت من الشبابيك الموروثة من الاستعمار نفس السنة، حيث أنشئ البنك الوطني الجزائري والبنك الخارجي الجزائري والقرض الشعبي الجزائري بالإضافة إلى البنك الجزائري للتنمية. وفي عام 1971 شرع في تأميم

المحروقات وسن قانون الثورة الزراعية وقانون التسيير الاشتراكي للمؤسسات، ومجانية العلاج.

استرجاع الثروات الوطنية واختيار نموذج تنموي مبني على الصناعات المصنعة وأقطاب النمو وبروز المعامل في شتى أنحاء القطر الخ عنه طلب متزايد كبير على الرأسمال البشري المؤهل. من هنا تتجلى بوضوح ضرورة إعادة النظر في المنظومة الجامعية لكي تلعب دورها في تكوين الإطارات اللازمة لتغطية الطلب الوطني المتزايد عليها.

2-3- الظروف الاجتماعية:

تحسنت الظروف الاجتماعية كثيرا على أصعدة عدة ومختلفة. في مجال التربية توسعت قاعدة المؤسسات على المستوى الوطني وتزايد عدد التلاميذ في جميع الأطوار مما أدى إلى تزايد الطلب الاجتماعي على التربية، وهو ما ينعكس مباشرة على المنظومة الجامعية الممون الوحيد بأساتذة التعليم الثانوي. في مجال الصحة، خاصة سياسة العلاج المجاني وتعميمه على المستوى الوطني يتطلب أطباء وممرضين وتقنيين، هذا أيضا يطلب من الجامعة تكوينها وتوفيرها. تحسين القدرة الشرائية نسبيا مع ظهور شريحة الموظفين والأجراء أدى إلى تزايد الحاجيات وتحسين مستوى المعيشة وهو ما يدفع بالأسر إلى تعليم البنين والبنات و يشكل قوة ديمغرافية ستظغط فيما بعد على التكوين العالي.

3-3- الظروف السياسية:

عدد الذين ناصروا بومدين في 19 جوان 1965 أقلية لكن الحكمة التي كان يمتاز بها والوفاء بوعوده للشعب ووتيرة التنمية التي تبناها والبعد الشعبي والجماهيري في خطابه جعلت منه الرجل الذي التفت حوله جميع الشرائح واندثر خصومه شيئا فشيئا من منافسته. حتى محاولات زحزحته لم يكتب لها النجاح. هذا ما أدى بالمجتمع إلى التمتع باستقرار سياسي خاصة بعد سن قانوني المجالس الشعبية البلدية والمجالس الشعبية الولائية وبروز معالم الديمقراطية الشعبية واضحة. هذه الديمقراطية التي كان يصفها بومدين باقتسام السلطة بين القمة والقاعدة. النموذج الديمقراطي في استراتيجية بومدين بني أيضا على الشركاء

الاجتماعيين الذين حددهم في العمال والفلاحين والطلبة. من هنا نستنتج أيضا ضرورة إعادة النظر في المنظومة الجامعية.

هذه المعطيات في نظري كافية لفتح ملف إصلاحات الجامعة وهو ما سنتناوله بالبحث في محتوي الوثيقة المسماة "إصلاح التعليم العالي" التي أعلن عنها الوزير محمد الصديق بن يحيى في 23 جويلية 1971. سنحاول إبراز الخطوط العريضة لهذه الوثيقة.

4- إصلاح التعليم العالي 1971:

إن الوثيقة الخاصة بإصلاح التعليم العالي هي بمثابة ميثاق حددت فيه استراتيجية بكاملها لمستقبل التعليم العالي في الجزائر، وشملت بالدرجة الأولى مجموعة إجراءات متعلقة بمختلف التخصصات وبالدخول الجامعي 1971-1972 شملت الإجراءات الخاصة الدراسات في الطب، الدراسات في الصيدلة، الدراسات في طب الأسنان، الدراسات في العلوم، الدراسات في الجغرافيا، الدراسات في الهندسة المعمارية، الدراسات في العلوم الاقتصادية والعلوم القانونية،الدراسات في الآداب والعلوم الإنسانية (La refonte de l enseignement supérieur, 1971). من هذه المجالات يمكن لنا أن نتصور التخصصات المدرسة في عام 1971 بالجامعة الجزائرية التي نذكر أنها كانت تقتصر على الجزائر العاصمة وملحقتي وهران وقسنطينة.

1-4- الأهداف والمبادئ العامة لإصلاح التعليم العالي:

إن الأهداف والمبادئ العامة لإصلاح التعليم العالي في الجزائر، والذي نؤكد أنها استراتيجية شاملة لمستقبل التعليم العالي، يمكن استخلاصها من الوثيقة نفسها وهي:

1-تكوين كل الإطارات اللازمة التي تحتاجها مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية. هذا الهدف لوحده يجعلنا نتصور عدد حاملي الشهادات الجامعية الذي تحتاجه الجزائر حينها وكيف يمكن للجامعة أن تكونها. لذا فإن الوثيقة أكدت على وجوب تكوين أكبر عدد ممكن من الرأسمال البشري المؤهل.

2- لكن التكوين له كلفة، في بعض الأحيان عالية. وهو ما تبنته السياسة التعليمية العالية بتبيان وجوب التكوين بأقل كلفة. تكوين أكبر عدد وبأقل كلفة هي معادلة من أصعب المعادلات في السياسات التربوية.

3- تكوين أكبر عدد وبأقل كلفة يوهمنا بالتخلي عن النوعية وهو ما انتبهت إليه الوثيقة بالاهتمام بالنوعية. أي نوعية الإطارات المكونة التي تتولى شؤون تسيير المصانع ذات التكنولوجيا العالية. إضافة النوعية كشرط للجامعة هو في حد ذاته تحد من أصعب التحديات أمام جامعة فتية.

4- بالإضافة إلى تكوين أكبر عدد ممكن من الإطارات وبأقل كلفة وذات نوعية اشترط الإصلاح تكوين إطارات مرتبطة بواقع وطنها والمساهمة في تشيده، وهو البعد الأيديولوجي الذي كان واضحا والمقصود به مساهمة الإطارات المكونة في بناء الاشتراكية التي كان دائما يتحدث عنها بالثورة الجزائرية.

من هذه الأهداف ترتسم ملامح الإطار المراد تكوينه والذي ركز عليه الوزير بن يحيى في الندوة الصحفية. هذه الملامح هي: إطار مجند في مشروع البناء الاشتراكي للبلد. إطار متشبع بالشخصية الوطنية والواقع الاقتصادي والاجتماعي للبلد. إطار له تكوين يمكنه من مواجهة المشاكل الخاصة بالبلد. إطار له تكوين علمي يضمن له مستوى يؤهله للاستيعاب الثابت للتقدم وللميراث العالمي للمعارف.

تحقيق هذه الأهداف يقتضي بعض التناقضات التي تتجلى عند تطبيقها. في الحقيقة لم تغفل هذه التناقضات، خاصة ما يتعلق بالعلاقة بين التكوين الكمي والنوعي، وتم التفكير في تدابير عملية مصنفة وواضحة اختصرت في 7 نقاط وهي:

1- المواءمة بين طبيعة التكوين ومتطلبات مناصب الشغل وإنشاء كل الفروع اللازمة.

2- القضاء على التسرب طوال مدة التكوين. الاستعمال الأمثل للإمكانات المادية والبشرية وجعلها في خدمة التكوين.

لتحقيق ذلك اتخذت إجراءات تربوية طبقت عام 1971-1972 وكانت كما يلي: 1- إلغاء السنة التحضيرية. 2- تمديد السنة الجامعية. 3- إلغاء النظام السنوي. 4- العمل بالنظام الثلاثي والسداسي. 5- التنظيم الداخلي لوحدات التعليم كوحدات فرعية أو مقاييس. 6- تنظيم التكوين المندمج. 7- التجديد البيداغوجي.

اتبعت هذه الأهداف والمبادئ بسن 22 مرسوما و 37 قرارا (Arrêtés) في صائفة 1971. وهو ما جعل كل القرارات تطبق ميدانيا. ما يمكن استنتاجه أن الوثيقة المتعلقة بإصلاح التعليم العالي يمكن اعتبارها ميثاقا كاملا طرح رؤى جديدة وضمن سياسات واستراتيجيات الجامعة الجزائرية بكل وضوح. يمكن أن ننتقدها في مواضع عدة لكنه من اللائق الاعتراف بأن مستوى التنظير لمستقبل الجامعة كان عاليا ولا زالت كل المجتمعات والمنظمات الدولية تحلم بتطبيق المعادلة الواردة في وثيقة إصلاح التعليم العالي وهي

" تكوين كل الإطارات التي تحتاجها التنمية الوطنية بأقل كلفة وبنوعية عالية"

ميدانيا عملت الدولة الجزائرية على تجسيد هذا المشروع والوصول إلى إنجاز الطموحات والأهداف المسطرة. اتخذت قرارات عدة ننجزها فيما يلي:

1- **ديمقراطية التعليم:** للوصول إلى تعميم التعليم في شتى أطواره جعل بومدين من ديمقراطية التعليم مبدأ من المبادئ الأساسية للسياسة التربوية.

2- **مجانية التعليم:** لعل قرار مجانية التعليم هو بمثابة اللبنة الأساسية التي بنيت عليها أركان المجتمع الجزائري وجسد من خلالها مبدأ الإنصاف وهو ما سمح إلى كل شرائح المجتمع من الالتحاق بالجامعة.

3- **تعريب التعليم:** إن تعريب التعليم مثل محورا أساسيا في استراتيجية التعليم العالي وكل المراحل التي سبقته. تعريب التعليم الجامعي استهدف الليسانس وهي الشهادة التي أوكلت لها مهمة التعليم الثانوي. تعريب التعليم الجامعي أخذ شكلين أساسين، التعريب الكلي لبعض الفروع وإجبارية دراسة مادة اللغة العربية للفروع التي بقيت تدرس باللغة

4- **الاستناد إلى الأساتذة المتعاونين:** لضمان تكوين نوعي لجأ بومدين إلى التعاون الدولي واستفادت الجامعة الجزائرية خلال فترة بومدين بنخبة عالمية بالرغم من الظروف الصعبة. هذه النخبة يرجع لها الفضل في تكوين الجيل الأول من النخبة الجزائرية التي تتولى اليوم الإشراف على كل المراكز القيادية في جميع قطاعات الدولة.

5- **استعمال الفضاءات المتاحة:** تم اللجوء في هذا الشأن إلى تحويل قاعات السنيما إلى قاعات محاضرات في كل من الجزائر، وهران وقسنطينة. تم الاستعانة في المدن الثلاثة بالثكنات العسكرية التي حولت إلى فضاءات تربوية وإقامات جامعية ومطاعم.

6- **ربط الجامعة بالدولة:** تميزت هذه الفترة بربط الجامعة بالدولة مباشرة من زاويتين. الزاوية الأولى تتمثل في الدور الذي أوكل للطلبة لتنفيذ الطموحات السياسية وتجسيد منظور الدولة في الواقع. نشير هنا أن العلاقة بين السلطات العليا والطلبة كانت وطيدة ومباشرة والحوار بين بومدين والطلبة كان مباشرا، صريحا ومستمرا. أما الزاوية الثانية تتمثل في خريجي الجامعات الذين أوكل لهم الإشراف على عمليات كبرى وملفات ضخمة كملفات بناء السد الأخضر والطريق الصحراوي وتسيير صندوق الثورة الزراعية.

7- **التكوين العالي في الخارج:** نظرا لعدم قدرة الجامعة الفتية على تكوين المكونين والإطارات السامية في بعض التخصصات فتح الباب للتكوين في الخارج، خاصة في الدراسات العليا، في جميع الدول، أمريكا، كندا، إنجلترا، فرنسا، الاتحاد السوفياتي، تشيكوسلوفاكيا، هنغاريا، بولونيا، رومانيا، بلغاريا، مصر، سوريا، العراق، تونس.

8- **فتح قنوات جديدة عدا البكالوريا للالتحاق بالجامعة:** قصد السماح لمختلف فئات المجتمع بالدخول للجامعة، استثنائيا، أنشئت أقسام التحضير للدخول للتعليم العالي والامتحانات الاستثنائية. هذه الإجراءات استفاد منها الموظفون لتحسين مستواهم وفئة المجاهدين وأبناء الشهداء. وهي إجراءات لها رمزية إعترافية أكثر مما هي وسيلة لمضاعفة عدد الطلبة.

المعطيات السابقة الذكر لوحدها تنير لنا الطريق بوضوح لتتجلى سياسة التعليم العالي في عهد الرئيس بومدين والتي أقل ما يقال عليها أن الجامعة أوكلت لها مهمة رائدة في المجتمع، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالدولة بل وأصبحت حليفا طبيعيا وطرفا في بناء وتشييد الجزائر.

مهما كانت النقائص المسجلة لفترة بومدين في مجال التعليم العالي، يجب الاعتراف والتأكيد أن الجامعة استفادت من أساتذة أكفاء من مختلف البلدان، ومن تنظيم بيداغوجي كان له الفضل الكبير في تحصيل علمي جيد. كما أن فترة السبعينيات كانت تزخر بجو ثقافي عالمي في الجزائر. عدد العناوين فيما يخص المجلات الفكرية والمختصة، باللغتين العربية والفرنسية، كانت تصل من جميع أنحاء العالم، وهو ما جعل من الطالب الجزائري أكثر اطلاعا، وأوسع ثقافة عامة، بشهادة جميع الدول. الفنون والمسرح والسينما والعروض بأنواعها ميزت الجو المرافق والملائم لفترة التكوين لأجيال السبعينيات.

5- نتائج التعليم العالي في عهد بومدين:

نحاول في هذا المبحث أن نركز على النتائج المحققة في مجال التعليم العالي. أول ما نعرضه هو التوسع المؤسسي لعرض التكوين العالي. الجدول رقم 7 يبين لنا ما تحقق.

جدول 7- إنجازات التعليم العالي ، الجامعات والمراكز الجامعية

الجامعات	المدينة	السنة	المراكز الجامعية	المدينة	السنة
الجزائر	الجزائر	1907	تلمسان	تلمسان	1974
السانية	وهران	1967	باتنة	باتنة	1977
قسنطينة	قسنطينة	1969	بليدة	بليدة	1977
باب الزوار	الجزائر	1974	تيزي وزو	تيزي وزو	1977
عنابة	عنابة	1975	سطيف	سطيف	1978
العلوم والتكنولوجيا	وهران	1975	سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	1978
			مستغانم	مستغانم	1978

المصدر: Benarab, A, 1997

ما عدا جامعة الجزائر التي أنشئت رسميا عام 1907 ويعود وجودها إلى 1897 حسب مصادر أخرى، فإن المرحلة 1967-1978 هي مرحلة وضع الأسس الحقيقية للتعليم العالي في الجزائر ببناء 5 جامعات من أحدث الجامعات في العالم و 7 مراكز جامعية، التي رقيت فيما بعد إلى جامعات، تعكس الإرادة الكبيرة والأولوية التي أعطيت للتعليم العالي.

بجانب الجامعات والمراكز الجامعية أنشئت مجموعة من المدارس والمعاهد نبينها في الجدول رقم 8.

جدول 8– المدارس والمعاهد

المدرسة أو المعهد	السنة
المدرسة الوطنية للإدارة	1964
المدرسة الوطنية متعددة التقنيات	1966
المعهد الوطني للإعلام الآلي	1969
المدرسة الوطنية للبيطرة	1970
المدرسة متعددة التقنيات للهندسة المعمارية والتعمير	1970
المعهد الوطني للتخطيط والإحصائيات	1973
المعهد الوطني للمحروقات	1973

المصدر: Benarab, A, 1997

ما عدا المدرسة الوطنية للإدارة التي أنشئت عام 1964 فإن 6 مدارس ومعاهد وطنية قد شكلت الشبكة الوطنية للمدارس والمعاهد المختصة.

الهياكل المنجزة في عهد الرئيس بومدين أعطت إمكانات استقبال وتدريس وإطعام الطلبة تطورت بسرعة كما يبينه الجدول رقم 9.

جدول 9- الأماكن التربوية والخدمات الموجهة للطلبة 1970-1977

الجهة	الفترة	المقاعد التربوية	وجبة/يوم	السكن/سرير
الوسط	1973-1970	6000	20000	5000
	1977-1974	11600	7000	2000
	المجموع	***17600***	***27000***	***7000***
الغرب	1973-1970	4800	4800	2500
	1977-1974	3100	7000	4000
	المجموع	***7900***	***11800***	***6500***
الشرق	1973-1970	7000	14000	1400
	1977-1974	9600	9000	3500
	المجموع	***16600***	***23000***	***4900***
المجموع العام		**42100**	**61800**	**18400**

المصدر: Djoudi, 1993

نلاحـــظ أن الإنجازات المحققة خلال المخططين الرباعيين (1970-1973 و 1974-1977) مهمة لكنها أقل من الأهداف المخططة. من بين 41.000 مقعد بيداغوجي مخطط للمخطط الرباعي الثاني لم ينجز سوى 24800 مقعدا. هذا العجز في الإنجاز انعكس على ظروف الدراسة من جهة وإسكان الطلبة من جهة أخرى. نذكر جيدا أنه خلال العام 1977/1976 لجأت وزارة التعليم العالي إلى كراء الفنادق و الأسرة في الحمامات الشعبية لسد الطلب المتزايد الذي لم يلب نتيجة التباطؤ في وتيرة الإنجاز.

تطور هياكل استقبال الطلبة نجم عنه تطور في أعداد الطلبة وهو ما نقرأه في الجدول رقم 10.

جدول 10– تطور أعداد الطلبة والأساتذة من 72/1971 إلى 80/1979

السنة	الطلبة	نسبة الإناث	الأساتذة	نسبة التأطير
72/1971	23413	23	1718	14.2
73/1972	26074	22	1854	14.6
74/1973	29465	23	2881	10.6
75/1974	35739	24	4041	9.2
76/1975	41709	23	4670	9.3
77/1976	50097	24	4984	10.5
78/1977	51893	23	5856	9.3
79/1978	51510	23	6421	10.5
80/1979	57445	25	6207	9.3

المصدر: Djoudi, 1993

نلاحظ أن عدد الطلبة قد تضاعف بمقدار 2.45 مرة خلال 10 سنوات في حين تضاعف عدد الأساتذة ب 3.61 مرة وهو ما يعكس كذلك نسبة التأطير التي تدل على وجود تضخم في الأساتذة.

لكي تكتمل الدراسة نأخذ صورة عن مخرجات التعليم العالي وهو ما يبينه الجدول رقم 11.

جدول 11- مخرجات التعليم العالي حسب الشهادة
1980/1979-1972/1971

السنة	تقني سامي	ليسانس	مهندس	طبيب	المجموع
72/1971	-	1372	55	368	1795
73/1972	48	1797	164	376	2385
74/1973	14	1958	219	560	2751
75/1974	17	2145	227	613	3002
76/1975	372	2323	364	1384	4443
77/1976	268	3108	644	1381	5401
78/1977	318	3952	586	1072	5928
79/1978	260	3817	745	1224	6046
80/1979	256	4806	882	988	6932
المجموع	1553	25278	3886	7966	38683

المصدر: Benarab, A, 1997

حاملي الشهادات الجامعية شكلوا الجيل الأول من الإطارات التي تولت شؤون تسيير الدولة ومختلف القطاعات. يبدو جليا أن شهادة الليسانس تتصدر الطليعة متبوعة بالأطباء ثم المهندسين وأخيرا التقنيين السامين. هذا الأمر طبيعي نظرا لحاجيات التعليم الثانوي والقطاع الإداري. بالرغم من أن الجامعة الجزائرية خلال حكم الرئيس بومدين لم تكون كل الإطارات اللازمة إلا أنها استطاعت أن تعطي للمجتمع الجزائري رأسمالا بشريا ذا نوعية، وهو الذي شكل اللبنة الأولى. ولولا الإستراتيجية المحكمة المعتمدة في قطاع التعليم العالي لما استطاعت الجزائر تكوين هذا العدد مهما كانت الظروف والإمكانيات.

الخلاصة:

مكنتنا هذه الدراسة من إلقاء الضوء على صفحة بجيدة من صفحات رجال عاهدوا الله على أن يفنوا حياتهم في خدمة شعوبهم. من هؤلاء الرجال الرئيس الراحل هواري بومدين الذي، مهما كتبنا عن إنجازاته لن نوفيه حقه.

اختيارنا لتناول موضوع التعليم العالي خلال حكم بومدين هو المساهمة بتواضع لإبراز المعالم الأساسية التي بنيت عليها الإستراتيجية التعليمية في مستواها العالي.

لقد لاحظنا أن المنظومة التربوية بكاملها في نهاية 1964 كانت تشكو من عجز كبير ومرد ودية متدنية. لا نقصد بهذا الحكم تحميل المسؤولية لأحد إنما هو وضع ورثته الجزائر عن مرحلة استعمارية ظالمة ومظلمة.

مهما كانت إرادة تطوير التعليم العالي إلا أنها غير كافية نظرا لتعاقب مراحل التعليم. كان إذن لزاما على الدولة توسيع القاعدة التربوية في مستوياتها الابتدائية والثانوية وانتظار وصول أجيال بكاملها إلى الجامعة. لكن حكمة بومدين جعلته يتبنى المقاربة الشمولية وبدأ من النهاية، عندما قرر وضع استراتيجية الجامعة من خلال إصلاح 1971 قبل إصلاح الأطوار ما قبل الجامعة التي قررت سنة 1976.

مختلف الإنجازات تبينها المؤشرات الكمية الواضحة. أهم ما تجدر الإشارة إليه هو أن الجزائر لم تعرف لحد الآن ملفا متكاملا من جميع الجوانب ومتوازنا وواضح المعالم مثل الذي جاءت به وثيقة إصلاح التعليم العالي عام 1971. هذه الوثيقة التي أعتبرها، أنا، ميثاقا بكامله ضمن سياسة واستراتيجية التعليم العالي بالجزائر وبين طموح الرئيس بومدين لما أراد أن ينجزه من خلال الجامعة الجزائرية التي أدخلت ضمن استراتيجية الدولة كطرف وليس فضاءا للتكوين فقط.

استراتيجية التعليم العالي في هذا العهد جلية وواضحة، لم تترك جانبا لم تتطرق إليه وأهم ما احتوته عندما حددت ملامح الإطار الواجب تكوينه.

اللجوء إلى أكبر المعماريين في العالم لتصميم الجامعات الجزائرية بشكل يبرز عظمة البناء في الجزائر المستقلة دليل كاف للحكم على الرئيس بومدين أنه كان يطمح للإثبات للعالم أن المجتمع الجزائري مجتمع سيبنى على المعرفة العلمية والعالمية التي ستبلور الشخصية الوطنية الراسخة في أصالتها والمحافظة على هويتها والتي تصبح وسيلة لبناء مجتمع عصري متقدم يسود فيه الإنصاف.

رحل الرجل وبقيت المعالم المشيدة التي لا تمجده، في نظري كرئيس، إنما لتشهد عليه أنه ابن الجزائر عاش من أجلها، من أجل بنائها وتشييدها، من أجل تقدمها وازدهارها، من أجل قوتها وعصرنتها. مات وميراثه حب واعتراف بالجميل من كل من عايش تلك الفترة التي كلما ذكرت وقتها الجزائر في الخارج، للذين لا يعرفون جغرافيا الشعوب، إلا وذكر بومدين معها. ارتبط بها وارتبطت به وكان رباطا متينا كلما امتدت إليه الأيادي ازداد متانة.

علنا بهذا الجهد المتواضع نكون قد أنرنا صفحة من صفحات العمل النافع لرجل، مهما كانت أخطاؤه، وسبحان الذي لا يخطئ، يبقى ابنا من أبناء الجزائر الذين عملوا بكل إخلاص من أجل رقيها وازدهارها، وجعل من الافتخار بها وبشعبها وبثورتها وساما تقلده.

عمل بصدق في أرض سقيت بدماء الأحرار فأنصفه التاريخ.

د/ عبد الكريم بن أعراب

المراجع:

1- عبد الكريم بن أعراب، 2001، السياسات الاقتصادية الجزائرية، مطبوع وطني، التعليم عن بعد، جامعة التكوين المتواصل، الجزائر.

1- Brahimi, A, 1991, L'économie algérienne, OPU, Alger.
2- Benarab A, 1997, L'étude des coûts et de l'efficacité du système universitaire algérien, Doctorat, Dijon, France.
3- Djoudi, 1993, Analyse économique de l'enseignement supérieur algérien, Doctorat, Dijon, France.
4- Benyahia, M,S, 1971, Conférence de presse, Alger.
5- Ministère de l'enseignement supérieur, 1971, La refonte de l'enseignement supérieur, Alger.
6- Ministère de l'éducation nationale, 2000, Rétrospectives statistiques, Alger.

الرئيس بومدين والجامعة

أ/ محمد سعيدي

تحية إجلال وتقدير لجامعة الأمير عبد القادر والقائمين عليها على هذه المبادرة التي خصصتها للرئيس الراحل هواري بومدين تكريما له، وعرفانا بالجميل لما قام به في تحرير الجزائر، واستعادة بناء الدولة الجزائرية المستقلة، والرفع من شأن الأمة بين الأمم. وللجهد الدؤوب والمضني في كثير من الأحيان، من أجل إسعاد الشعب الجزائري وإخراج البلاد من التخلف ووضعها في مصاف الدول المتطورة.

وهل هناك شئ أعظم رمزية ودلالة أن تحمل هذه الجامعة اسم الأمير عبد القادر وأن يكرم فيها الرئيس بومدين، وتخصص له دفعة خريجي هذه السنة لتحتل اسمه في الذكرى الخمسين للثورة الجزائرية العظيمة، وليس من الصدفة أن تكون هناك صلة حميمة بين الأمير عبد القادر والرئيس بومدين .فكلا الرجلين كان يحب الجزائر ويغار على حريتها، وكلاهما يطمح إلى بناء دولة عصرية متقدمة في اسمها ومبادئها وقيمها وأدواتها. وليس من الصدفة أن يبادر الرئيس بومدين في أول سنة من حكمه لاستعادة رفات الأمير عبد القادر إلى تراب الجزائر الحرة التي جاهد من أجلها.

والرئيس بومدين الذي تقوم جامعة الأمير عبد القادر بتكريمه اليوم شخصية متميزة تركت بصماتها قوية وبارزة في تاريخ الجزائر تاريخ الثورة المسلحة وتاريخ الجزائر المستقلة.

فهو ابن ثورة أول نوفمبر العظيمة بكل أبعادها ومبادئها وأهدافها وقيمها الوطنية والإنسانية صنعته الثورة، جاهد وناضل وعمل من أجل أن

يكون للثورة معنى. وأن لا تكون حركة عابرة، بل قوة متجددة دائما ومتحركة نحو المستقبل تتجه باستمرار نحو التقدم.

كنت في وزارة الإعلام والثقافة، مدير الإدارة والآداب والفنون عندما تحققت وفاة الرئيس بومدين وكانت الحيرة الكبرى، كيف نواجه هذا الحدث الجلل والمؤلم، وكيف نعبر عنه، ونقدمه للرأي العام الوطني وللشعب الجزائري العظيم الذي عرف كيف يعبر عن تقديره ووفائه وعرفانه للرئيس بومدين في يوم جنازته وعرف كيف يبكي كما تبكي الشعوب العظيمة وقادتها الكبار الذين ساهموا في صنع مصائرها، وسجلوا مآثرها، ولو في المدة الوجيزة التي كتبت لهم الحياة. وكان السؤال والجواب عن تلك الحيرة، ما الذي صنع الرئيس بومدين ابن الفلاح البسيط، بل الفقير أحد قادة الدولة الكبار.لقد صنعته الثورة التي بقي وفيا لها حتى مماته. فالمهم أن تستمر الثورة فإذا استمرت فستنجب العشرات من بومدين. وإن توقفت أو أجهضت أو تراجعت فسنبكي عليها حسرة وتبقى مجرد حادث عابر ليفسح المجال لأشباه الرجال.

كان الرئيس بومدين ابن الجزائر العميقة، شعبيا جغرافيا تاريخيا يمثل الشخصية الجزائرية الأصيلة الصافية غير المشوهة بكل أبعادها معه هذه الجزائر العميقة كعبء ومسؤولية ورسالة وتضحية، وكبرياء، وأنفة.

ذكره الرائد الخويلدي عضو مجلس الثورة الليبية في جلسة خاصة قال: كان الرئيس بومدين رجلا خجولا دمثا بسيطا في حديثه وفي علاقاته الإنسانية. ولكن عندما تأتي الجزائر يتحول إلى شخص آخر فيه كل شموخ وكبرياء وأنفة الجزائر.

وكان الرئيس بومدين، بالإضافة إلى جزائريته ووطنيته المتجذرة عروبيا حتى النخاع غير مساوم ولا مهادن. لقد وقف شامخا في حرب السويس وأنكر علي عبد الناصر أن يوقف القتال فالحدود لا تنتهي في قناة السويس أو في مرسى مطروح وبقي على خلاف معه حتى الوفاة. وعندما طلب الرئيس عبد الناصر دعم الدولة العربية في مؤتمر الرباط للقمة، وحدد لكل دولة حصتها، حسب إمكانياتها في تقديره، وكانت مبادرة (كيسنجر) وزير خارجية أمريكا قادما، رد عليه الرئيس بومدين قائلا: ((إذا كنت تريد الحرب فالجزائر في

طريقك وأنت راجع إلى مصر فخذ ما تحتاجه من نقود من الخزينة وما تريده من الجنود وسأذهب أنا معك كجندي مقاتل، وأما إن كنت تريد مجرد الضغط على أمريكا ، فالجزائر ليست مستعدة للدخول في هذه اللعبة)).

وفي حرب أكتوبر وضعت الجزائر كل إمكانياتها، كما فعلت في حرب السويس، وذهب الرئيس بومدين إلى الاتحاد السوفياتي وكانت بينه وبين الرئيس (بريدجنيف) ملاسنة حادة وقال لبريدجنيف: ((ستدفعون الثمن لموقفكم السلبي)).

وقد مات الرئيس بومدين وهو يقود جبهة الصمود والتصدي ضد اتفاقية ((كامبدافيد)) ضد الخيانة والاستسلام، وقال كلمته المشهورة: لقد اصطاد الأمريكيان الحوتة الكبيرة وبذلا جهدا مضنيا، وبدون كلل من أجل المصالحة بين النظامين في سوريا والعراق ومن أجل ترميم ودعم الجبهة الشرقية حتى لا تنهار الأمة العربية واستطاع على الجبهة العربية الإسلامية أن يحقق الصلح بين العراق وإيران، وأزال سوء التفاهم الذي كان بين الجزائر والمملكة العربية السعودية بقيادة الملك فيصل لتعزيز الجبهة العربية وربط شقها المغاربي بشقها الشرقي من أجل ضبط استراتيجية متناسقة للقضية الفلسطينية وقضية الطاقة.

ويروى عن الملك فيصل أنه أعطى تعليمات لوزرائه للتشاور مع الجزائر في كل ما يتعلق بالنفط والقضية الفلسطينية ، ولعل هذا الموقف الاستراتيجي المشترك هو الذي ذهب بحياة الرجلين في مرحلة كانت الأمة العربية أحوج ما تكون إليهما، والرئيس بومدين هو صاحب الشعار : ((نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة)) وهو القائل : ((لا يمكن أن نكون مع القضية الفلسطينية وحلفاء لا شريكا)) فليس هناك حياد في القضية العربية، وفي مركزها الأساسي القضية الفلسطينية.

وعندما شن أنور السادات الحرب على ليبيا وأخذ الطائرة وذهب إلى مصر وعندما قدم له الشاي والمشروبات في جلسة الاستقبال قال لأنور السدات مباشرة :((لم أتي لشرب الشاي وإنما جئت لإنهاء الحرب حالا وأنا عائد وستجدني أمامك وأوقفت الحرب)).

ولم يكن الوعي الإسلامي للرئيس بومدين أقل جذرا وعمقا و تزامنا من وعيه بجزائريته وعروبيته فقد كانت الجزائر والعروبة والإسلام تتعايش في وجدانه بشكل متناغم تام، فهو كان يرى الإسلام دين حرية وتقدم جاء من أجل نصرة الضعفاء أي من أجل نصرة الحق والعدل والإنصاف بين البشر المسلمين وغير المسلمين، هذه الرسالة هي متبعة وهي التي يستمد منها قوته في تطوره وتفاعله مع التاريخ وهذا يدعو المسلمين إلى أن يكونوا أحرارا أقوياء في الصف الأمامي من تطور الإنسانية.

وفي المؤتمر الإسلامي في لاهور قال كلمته المشهورة ((المسلمون لا ينبغي أن يدخلوا الجنة جياعا)) هذه الكلمة التي دوت في كامل العالم الإسلامي وهو في طريقه على (لاهور) حمل معه الزعيم ((البينقلادشي)) ليصالح بينه وبين قائد دولة الباكستان ((بوتو)) والرئيس بومدين وقف بصلابة ضد حرب الانفصالية التي كانت تهدف إلى تقسيم دولة ((نيجريا)) المسلمة. وكان يؤمن بضرورة الربط بين التيار العربي والتيارات الإسلامية في جميع بقاع العالم الإسلامي، لتعزيز النضال من أجل استكمال المسار التحرري والخروج من التخلف، ومن هذا الوعي الإسلامي المتجذر كان إنشاء جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية نقطة أخيرة في المسار الثوري للرئيس بومدين.

إن أغلب حركات التحرر التي تقود إفريقيا المستقلة اليوم كانت في الجزائر التي أصبحت حينئذ تسمى ((كعبة الأحرار)).

وهذه السياسة الإفريقية التي جعلت الجزائر تعزل النظام العنصري في جنوب إفريقيا وتطرده من هيئة الأمم المتحدة وجعلت معظم دول القارة تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل تضامنا مع القضية العربية.

وبعد انعقاد مؤتمر قمة عدم الانحياز في الجزائر 1973 وتخصيص الجمعية العامة دورة خاصة لمناقشة قضايا العالم الثالث الذي استقلت بلادي حديثا والعلاقات الدولية شمال جنوب والسعي إلى إقامة نظام دولي جديد على أساس ديمقراطي وتبادل المصالح بالتكافؤ أصبحت الجزائر في مقدمة المسرح الدولي ناطقة ومعبرة عن القضايا الحيوية للشعوب المستقلة حديثا. مما أعطى لبلادنا وزنا خاص . وتقدير كبيرا أقل ما تخص به أمة في تاريخها.

هذا هو الرجل الذي تكرمه اليوم جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية. فلم يكن الرئيس بومدين حاكما عاديا، ولا صاحب سلطة من أجل السلطة، فلم تكن السلطة غاية، بل أداة لتحقيق أهداف نبيلة، ولم يكن مجرد رقم في قائمة الرؤساء العابرين، كان قائدا لمشروع ثوري وطني كبير يكون في مستوى عظمة ثورة نوفمبر العظيمة. جديرا بتضحيات الشعب الجزائري عبر القرون. إنه مشروع تحرري ضخم في مقابل المشروع الاستعماري الذي تحكم في مصائر الشعوب عن طريق القوة والقهر، وهذا المشروع التحرري الجذري هو الذي أعطى لثورة أول نوفمبر العظيمة بعدها الدولي، وجعل منها مرجعية لجميع الشعوب التواقة إلى التحرر الشامل وهذا المشروع هو الذي انعكس على السمعة الكبيرة التي حضيت بها الجزائر على مستوى العالم.

أما في الجانب الوطني: فيمكن تلخيص المشروع الوطني الذي قاده الرئيس هواري بومدين في ثلاثة أهداف كبرى، وثلاث أدوات استراتجية لتحقيق تلك الأهداف. فالأهداف الكبرى تتمثل في تحرير الوطن، وتحرير المواطن الجزائري وتحرير الثورة الوطنية، تحرير الوطن ليس بخروج الاستعمار من البلاد فقط إنما خلق الشروط الضرورية لكي لا يعود من النافذة. وخلق الضمانات الكافية لحماية السيادة الوطنية واستقلال القرار الوطني. أما تحرير المواطن فكان يعني إعطاء الفرصة بالإنصاف لكل مواطن جزائري ليتعلم ويرقى مستواه المادي والمعنوي، وأن يمكن بحسب كفاءته وجهده من منصب للشغل ومكان قريب للعلاج، ومن سكن بادية ومن الاستفادة من ثروة البلاد، وأن تصان كرامته من اضطرار الحاجة التي تعرض للمذلة، ولتحرير الثروة الوطنية يقتضي أن تكون هذه الثورة.

أما أدوات تحقيق تلك الأهداف فتتمثل: أولا في المنظومة التربوية العامة، وفي المنظومة الجامعية، ومنظومة البحث العلمي، وكان الهدف النهائي هو تمكين الجزائر المستقلة من قوة علمية، تكنولوجية، فكرية ثقافية، في مستوى ما وصلت إليه الإنسانية في تلك المجالات.

وكانـــت الأداة الثانية تتمثل في تصنيع البلاد، فالجزائر لا يمكن أن تخرج من التخلف إذا لم تتحول إلى بلد صناعي عصري بكل المقاييس.

والأداة الثالـــثة هـــي إخراج الريف الجزائري من التخلف، ووضعه في مركبة التقدم المتحركة إلى الأمام.

لقد توقف هذا المشروع الوطني الكبير أو أجهض في مخطط تصفية الثورة الجزائرية الذي ما يزال مستمرا، و لم يكن من الصدفة أن كل القرارات الوطنية الكبرى التي كانت مندرجة في تحقيق هذا المشروع تعرضت للتشويه والتخريب و التي فنيت مباشرة بعد وفاة الرئيس بومدين.

وســـنركز هنا على جزء من المحور الأول في إنجاز هذا المشروع كأداة، وهو المنظومة الجامعية والبحث العلمي في عهد الرئيس بومدين.

وقـــد اخترت هذا الموضوع لأني كنت على صلة مباشرة به كأستاذ في جامعة الجزائر، ورئيس معهد اللغات الأجنبية ونائب عميد كلية الآداب، عضو في لجان الجامعة الخاصة بالإصلاح، وعضو اللجنة الوطنية للإصلاح، عضو لجنة تعريـــب التعلـــيم العالي، وعضو الهيئة الاستشارية لديوان المطبوعات الجامعية، وعضو المجلس الوطني للبحث العلمي. وقد اخترت أن يكون الموضوع:" الرئيس بومديـــن والجامعـــة" فالموضوع بهذا الشكل يشمل مختلف العلاقات السياسية، العلمـــية، الاجتماعية، التي تربط الجامعة بالسلطة كما يعني الغايات والأهداف الخاصة برسالة الجامعة، واستجابة السلطة لها.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن الجامعة كانت في البداية ضد الرئيس بومدين كانت ضد حركة 19 جوان 1965، وكانت هناك مشادات بين الطلبة وأعوان

الأمـــن أمام الجامعة، ونذكر في هذا الصدد تلك الجلسات الصاخبة المنعقدة بين السيد قايد أحمد مسئول جهاز الحزب وبين الطلبة، كما نذكر بالجرائد الحائطية الـــتي كانت تغطي جدران الجامعة يوميا التي تهاجم النظام وأعوانه. وقد وصل الصراع بين الجامعة والنظام الجديد على المواجهة المباشرة مع الرئيس بومدين في افتتاح السنة الجامعية 69-1970. عندما طلب الطلبة عزل وزير التربية الوطنية.

وقد رد الرئيس بومدين بحزم على الطلبة المحتجين، مدافعا عن سياسته في ميدان التربية الوطنية، والأهمية التي توليها السلطة للجامعة، والآمال التي تعقدها عـــلى الأجـــيال الجديدة بالنسبة لمستقبل الجزائر، ومستقبل الثورة خاصة داعيا الطلـــبة إلى الانخـــراط في مشـــروع ثورة أول نوفمبر، وكان يدعو الجامعة إلى الانفـــتاح عـــلى المجتمع وعلى الحقائق الوطنية، وكان يسعى إلى جعل الجامعة قاطرة متقدمة لقيادة الثورة، ونذكر في هذا المقام حادثا له مغزاه العميق في هذا الموضوع.

فقـــد ذهب مرة إلى المركز الوطني للإعلام الآلي في الحراش، وكانت الجزائر في طليعة بلدان العالم التي اقتحمت هذا الميدان في وقت مبكر، ولكن الردة الرهيبة الـــتي لحقت بنا وأدت إلى تراجع المد الثوري جعلتنا في مؤخرة الكثير من تلك الـــبلدان التي قطعت أشواطا مكنتها من بلوغ مستوى أعلى تنافس فيه البلدان الأكثر تقدما، والهند أبرز مثال على ذلك.

وعندما قدمت للرئيس بومدين عروضا أولية، كما هي العادة، لم يقتنع وطلب من مدير التشريفات أن يلغي كل التزاماته لمدة يومين ليتفرغ لاستيعاب

هذا القطاع، قطاع الإعلام الآلي، وعند الانتهاء من الشروح التي قدمت له قال للطلبة:" إنكم أنتم الذين تقومون بالثورة الحقيقية".

وقد واصل اهتمامه بالجامعة وصلته بها فأنشأ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جوان 1970، وبقي هذا الاتصال إلى أن بلغ ذروته في تلك الحوارات التاريخية مع الطلبة.

ولم يترعج من التدخلات التي كانت تتعرض لسلبيات النظام في الميدان وإلى بعض العناصر البارزة التي كانت تشكل ذلك النظام، لأن اهتمامه الرئيسي هو دفع الجامعة على الاندماج في المشروع الثوري الوطني كقوة متقدمة، كان يطمح إلى أن يكون الهدف لثورة نوفمبر، قوة ثورية جديدة تخرج من الجامعة وتعمق محتوى وأهداف الثورة.

ومن حسن الحظ أن تسند الوزارة الناشئة على رجل عظيم من الجزائر العميقة، متشبعا بالوطنية المتجذرة، تسير بالإخلاص والتفاني في العمل، ونكران بالذات، قويا في إيمانه بالجزائر وبالثورة الجزائرية، وبالشعب الجزائري، وعبقريته الخلاقة، بدأ نضاله في الثانوية ثم في الجامعة إنه آخر الأجيال التي تربت في أحضان حزب الشعب قبل الثورة، قاد إضراب الطلبة في جامعة الجزائر في 19 ماي 1956، ليتحول فيما بعد ليكون عنصرا فعالا في ثورة أول نوفمبر كعضو في مجلس الثورة وأمين سره، مدير الديوان رئيس الحكومة المؤقتة، أحد المفاوضين اللامعين في المفاوضات الجزائرية الفرنسية التي انتهت باستقلال الجزائر ليواصل مساره البطولي الثوري الوطني في الجزائر المستقلة إلى أن استشهد وهو يؤدي رسالة نبيلة لنزع فتيل الحرب بين بلدين إسلاميين كبيرين هما العراق

وإيـــران، إنـــه الشهيد محمد الصديق بن يحي، أول وزير للتعليم العالي والبحث العـــلمي تـــرك وراءه مشروعا ضخما لتطوير الجامعة، ووضع الأسس للبحث العلمي.

لقـــد تعـــرض مشروع التصنيع الوطني للتخريب من طرف قوى الردة، وتراجع الاهتمام بالريف لينغمس مجددا في مستنقع التخلف، وبقى التعليم العالي والبحث العلمي يقاوم رغم الهزات التي تعرض لها.

ففي يوم الإعلان عن إنشاء وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كانت لي جلسة مطولة مع المرحوم محمد الصديق بن يحي، وكان هذا الرجل بالرغم مما امتاز به من قوة الذكاء وثراء وتنوع التجربة، والمناصب الرفيعة التي تولاها أثناء الـــثورة المســـلحة وبعدها، شديد التواضع، تواضع الرجال الكبار الواثقين من أنفســـهم، وفيما يقومون به من عمل، كان يستفسر عن أوضاع الجامعة، وما يمكن عمله، وكان بطبعه دائما، كثير الاستماع، قليل الكلام.

لقد طرحت عليه في هذه الجلسة ثلاث أسئلة، وهو النظام يقبل الجامعة بكـــل ما تحمله الجامعة من جرأة وحرية في الفكر، فيما تصل إليه بأبحاثها، وإن تعلن ذلك للرأي العام، وأن تتمرد على الأوضاع السلبية في الحكم والمجتمع، أن تكـــون قوة صدام إن اقتضى الأمر، والسؤال الثاني هل أن النظام يقبل حذف جـــيلا جديدا من أبناء الاستقلال تخرجهم الجامعة لهم أفكار تختلف عن الجيل القـــائم، وأخيرا هل النظام مستعد لوضع إمكانيات مالية تحت تصرف الجامعة؟ ولم أطـــرح هـــذه الأسئلة بتفاصيلها، ولكن ذكاءه المتميز، وحسه السياسي لم

يجـــب عن السؤالين الأولين، أما عن السؤال الأخير فرد: بأن ذلك ممكن ولكن ليس كثيرا.

وخـــلال سبع سنوات على راس وزارة التعليم العالي كان عمله مكرسا إلى الجـــواب على تلك الأسئلة، بالإضافة إلى الأهداف الأكاديمية والعلمية، وما تتطلبه الجامعة من أهداف ومشاريع ووسائل.

ومن البداية قد وضع للجامعة الأهداف التي ينبغي أن تحققها في الجزائر المســـتقلة، وفي الإشـــراف على تنصيب اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم العالي والبحث العلمي التي كان يترأسها.

قـــال: "بان الجزائر يجب أن تكون قوة علمية تكنولوجية عصرية"، وفي هـــذا ينبغي أن ترقى إلى مستوى العالم المعاصر بكل ما يزخر به هذا العالم من ثـــورات علمـــية تكنولوجية، وبما يحمله من أفكار سياسية واجتماعية متقدمة، كـــيف تحول الجزائر إلى بلد عصري ليس في نظام الحكم وهيكلة الدولة، وأن تكون الجامعة الأداة الرئيسية في هذا التغيير، أن تكون قاطرة التقدم سريعة، وان تكون القوة الأساسية في تجديد الثورة وفي بلورة أهدافها، وفي قيادتها.

ومن هنا كانت فكرة الجامعة المندمجة، الاندماج في الوطن والتخلص من التبعـــية،و الاندمـــاج في المجتمع، أن لا تبقى الجامعة منعزلة عما يجري حولها، وكذلـــك الاندمـــاج في التنمية الوطنية، والاندماج في العالم المعاصر، وتنقل لنا الجامعـــة ما في العالم المعاصر من إمكانيات نقلا إبداعيا، وتنقلنا كافة إلى العالم المعاصـــر بفـــتح إنجازات العالم المتقدمة أمام الجزائر، أن تكون الجزائر قوة حية

فعالـــة مشاركة في حضارة العالم المعاصر، وليست مجرد ساحة تتقاطع تتصارع فيها مصالح الدول العظمى.

ولم يكـــن هـــذا التوجه النظري كافيا للإصلاح، بل تزامنت معه وفي الحين، إجراءات عملية شاملة في الميدان، ولقد وضعت الدولة التي كان يقودها الرئـــيس بومدين كل الإمكانيات المتاحة لتنفيذ المشروع، وبدأ العمل بتفكيك الجامعة التقليدية التي كانت تعتمد على نظام الكليات والشهادات، خاضعة كلية لنظام الموديلات، واتباع النظام السداسي على أن يتحول إلى نظام الثلاثي فيما بعـــد، وكان التفكير متجها إلى جعل الجامعة الجزائرية تشتغل كامل العام، وان تـــبقى مفتوحة من الثامنة صباحا إلى الثامنة مساء، وان تبقى المكتبات والمخابر تشتغل إلى الساعة العاشرة ليلا.

وكان أهم شيء في الإصلاح هو زرع الجامعات عبر ولايات ومناطق الوطن البعيدة، ولم يكن القصد من هذا التوزيع القيام بمهام بيداغوجية بحتة وإنما لتكون الجامعة مركز إشعاع فكري ثقافي حضاري، ذا تأثير في المجتمع. وأن تكون مندمجة في التنمية المحلية عن طريق البحوث والدراسات، ولتقدم الحلول للمشاكل المطروحة، وكانت الفكرة أن تبدأ تلك الجامعات كمراكز جامعية بإشراف جامعة مركزية متوفرة الشروط من حيث التأطير ووسائل الدعم البيداغوجي، وأن تتحول إلى جامعات مستقلة فقط عندما تتوفر على سبعة أو ثمانية معاهد بكامل شروطها العلمية والبيداغوجية.

والتنظيم الجديد للجامعة كان الهدف منه أن تقوم الجامعة بوظائف متفرعة ومتكاملة، تؤدي الوظائف الأكاديمية والبحث العلمي الجامعي الذي تقوم به الجامعة الكلاسيكية، وأن تقوم في نفس الوقت بوظيفة المعاهد المختصة، وبالبحث العلمي الذي تقوم به مراكز البحث العلمي، وقد يكون هذا التنظيم مغاير للأنظمة المعمول بها في العالم، وأن يلقى على الجامعة عبئا فوق طاقتها،

ويبعثر جهودها، وهذا صحيح إذا لم تتوفر الشروط والبنى التي تتطلبها تلك الوظائف المتعددة من تأطير علمي وتقني وهياكل قاعدية للبحث والدراسة.

وبرنامج علمي عصري مستقبلي ضخم يتطلب هيئة تدريس قوية عددا وكفاءة،وضمن هذا البرنامج أرسلت بعثات طلابية من المتفوقين لإتمام دراساتهم المتخصصة في الجامعات الكبرى.وقد برزت من هذه البعثات نخبة متخصصة في جميع الفروع تتوزع اليوم على الجامعات الكبرى ومراكز البحث العلمي في أوربا وأمريكا الشمالية وحتى في بلدان آسيا المتقدمة، لأن الشروط العلمية والمادية لم نوفرها لإعادة اندماجهم في جامعتنا ومراكزنا العلمية، وما نزال، للأسف الشديد لا نعير أي اهتمام جدي لهذا الموضوع، ونتيجة غياب هذا الاهتمام والعجز عن إيجاد حلول واقعية له تبقى الجزائر محرومة من خيرة عقولها، بل نتيجة لهذا كذلك بدأ الاتجاه نحو إلغاء البعثات العلمية نهائيا للخارج، وقرار مثل هذا لا يعتبر كارثة على مستقبل جامعاتنا فقط وإنما على مستقبل البلاد بكاملها.

وفي ميدان البحث العلمي البحت، أنشئ المجلس الوطني للبحث العلمي، والهيئة الوطنية للبحث العلمي التي تشرف على تنسيق وإنجاز البرامج بين الهياكل المختلفة، وإنشاء هياكل للبحث بجانب الهياكل البيداغوجية، وأن تقوم هذه الهيئة بالتنسيق مع قطاعات الإنتاج المختلفة، كل ذلك لإنشاء نظام وطني محكم وصرف للبحث العلمي في جانبيه الأساسي والتطبيقي، ولا ندري لماذا جمد المجلس الوطني للبحث العلمي؟ وهمشت الهيئة الوطنية للبحث العلمي، ووقع الاستيلاء على مقراتها ؟

ولابد أن نضيف هنا ثغرات تشكل عقبة حقيقية في تحقيق الأهداف الكبرى التي حددها مشروع الإصلاح، فقد عدنا القهقرى ثلاثين سنة إلى الوراء بالعودة إلى نظام الكليات بدل المعاهد التي هي أكثر مرونة وقدرة على التحرك في مجالات تخصصاتها، وألغينا مشروع جامعات العلوم الاجتماعية.على أساس أن تكون هذه الجامعات مركزة على التنسيق بين تلك العلوم التي تدخل في تخصصاتها. وأن تتكفل عن طريق البحوث، ولاسيما البحوث الميدانية بالتكفل بقضايا المجتمع، وتطوير الأفكار والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي

تحتاجها البلاد في تطورها واندماجها في الحركة العالمية المعاصرة. وقد وقع التحدي عن هذا المشروع بدعوى خطر الانفعال بين الطلاب أو بين التخصصات العلمية التقنية البحتة وبين العلوم الاجتماعية مما يلحق الضرر بالأهداف النبيلة للجامعة في تكوين العقل الإنساني المنفتح. وهذا ما كان يدعيه المعارضون والمنتقدون للإصلاح. ومعلوم أن الإصلاح لم يكن يدعو إلى فصل ميكانيكي، بل تكفل أوسع بالتخصصات المندمجة علميا وبيداغوجيا.

لقد بدأ التعريب في الجامعة قبل مشروع إصلاح التعليم العالي بعد سنة تقريبا من مجيء الرئيس بومدين إلى الحكم وشرع في تطبيقه مع تعريب الفرع الخاص بالحقوق، ونشير هنا إلى الذين يتباهون بأفضالهم على التعريب أن الفضل في البداية والنهاية إلى الرئيس بومدين بما كان يملكه من سلطة قوية.

أما في مشروع الإصلاح فقد أنشئت لجنة خاصة في الوزارة لضبط مخطط التعريب في الجامعة ومراكز البحث العلمي.

في البداية صدر قرار مهم يبين:

01 – كل طالب يدرس بلغة أجنبية لا يمكنه الحصول على شهادة التخرج إذا لم يكن قادرا على استعمال اللغة العربية في مادة تخصصه.

02 – تخصص ثلاثمائة ساعة (300) لدروس العربية موزعة على سنوات التكوين، وتشجيعا لهذه الدروس اعتبرت الساعة محاضرة في التعويض المادي مقابل ساعتين في اللغات الأجنبية.

قرار آخر هام يخص التعريب يتعلق بتعريب العلوم الدقيقة، الرياضيات، الفيزياء، الكيمياء، العلوم الطبيعية بالنسبة لشهادة التعليم، أي بالنسبة للخريجين الذين يتوجهون إلى التعليم الثانوي. وأن تقوم هذه الفروع المعربة بتدريس العربية للطلاب الذين يدرسون باللغات الأجنبية.

تنشأ وحدة بحث خاصة للتنسيق بين المصلحات العلمية المستعملة في البلدان العربية وتكوين بنك خاص بالمصطلحات العلمية وباللغة العلمية عموما.

وكان الهدف من هذا هو حل مشكلة التدريس على مستوى التعليم العالي.يمكن العربية من الاستعمال في كل التخصصات الجامعية، وكان التوجه يرمي في هذا الميدان إلى جعل لغات التعليم في الجامعة ثلاثية: العربية، الفرنسية،

الإنجليزية. وتهيئة قدرة الطالب على استعمال هذه اللغات بكفاءة. وأن يكون التقسيم في الجامعة تقسيما لغويا وليس تقسمها فصليا تقسيما بين اللغات ولدين تقسيما للطلبة.

وكانت المرحلة الثانية ما بعد التدرج تطوير اللغة العربية كلغة بحث أساسية بجانب اللغات الأجنبية المتاحة، فالتنوع اللغوي في الجامعة مع اعتماد اللغة العربية كلغة محورية يعد ضرورة حتمية للمشاركة في التطور العلمي التكنولوجي والتطور الفكري والاجتماعي.

ومن الثغرات التي ما تزال قائمة أمام مشروع الإصلاح، الكتاب الجامعي الأكاديمي، والمصدر الأساسي للبحث العلمي، فقد قطع ديوان المطبوعات الجامعية أشواطا لا بأس بها في هذا الميدان ولو على أساس الاستيراد ولكن هذا ليس كافيا. فما زالت الحاجة إلى صناعة الكتاب العلمي الجامعي صناعة متقنة، خالية من الأخطاء، سهلة القراءة. نحن في حاجة إلى طباعة علمية أكاديمية على مستوى المطبوعات العلمية العالمية. ولكن صناعة الكتاب العلمي سوف لن يكون لها معنى إلا إذا أنشيء مركز وطني قوي للترجمة من مختلف اللغات التي تتوفر على المصادر العلمية المتجددة .

هناك نقطة أخرى في مشروع الإصلاح ينبغي أن نشير إليها وهي قضية اللغة الأمازيغية، فقد أدرجت هذه اللغة في معهد اللغة والثقافة العربية، ضمن دائرة كبرى اللغة الأمازيغية واللهجات المحلية ومختلف الفنون الشعبية المزدوجة في مختلف جهات الوطن بأن تتكفل هذه الدائرة بالثراء والتنوع الموجود ببلادنا الواسع في هذه الميادين.

ومن الهياكل الهامة المتفرعة عن مشروع الإصلاح هي الهياكل الثقافية والرياضية لقد كان الهدف أن تكون جامعة باب الزوار وجامعة قسنطينة، وجامعة العلوم والتكنولوجية مدنا علمية كاملة، تكون طليعة في البحث والتدريس والمشاركة في الإنتاج، وكان الهدف أن يكون حول المركبات الجامعية عبر الوطن مركب ثقافة رياضة متكامل، يساعد الطلبة في مختلف تخصصاتهم على التفتح على الثقافة العامة، على أنشطة المسرح والسينما والمعارض الدائمة للكتاب وكذلك الدوريات والندوات الفكرية والعلمية، إنما

تعود الطلبة على المشاركة في النشاط العام، وعلى الاهتمام بالقضايا الوطنية والإنسانية، وضمن مشروع الإصلاح كان هناك إنشاء مركب بحث خاص بقضايا الثورة الجزائرية وبقضايا التحرر في العالم، يكون في موضوع الثورة الجزائرية تجربتها، إنجازاتها، تجديدها، علاقاتها، تحركات التحرر العالمية. علاقاتها بالتيارات والأفكار السياسية والاقتصادية والفكرية الجديدة في العالم، وأن تطرح هذه القضايا في ندوات مفتوحة تمكن الجامعة من أن تكون على صلة دائمة بالتحولات الداخلية الجارية في البلاد وعلى علاقة قوية مع ما يجري في العالم.

لقد شغلتنا القضايا اليومية للجامعة، ولأوضاع البحث العلمي، المشاكل البيداغوجية: الوسائل المادية ومشاكل التأطير، قضايا إيواء الطلبة، وتوفير الحد الأدنى من الشروط الضرورية لاستقرار الطلاب. شغلتنا هذه القضايا عن مناقشة المهام الكبرى للجامعة: الوظيفة الثقافية والفكرية للجامعة، ريادة الجامعة في المجتمع. المستوى العلمي والتقني ومستوى الفكر بالمقارنة مع مستويات الجامعات الكبرى في العالم. الدور الحضاري للجامعة. نظام وطني قار ومنسجم للبحث العلمي يجمع الطاقات العلمية والفكرية في البلاد. أي كل القضايا التي تجعل من الجامعة قطارا حقيقيا لتقدم البلاد.

ونختم هذا البحث عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية التي تخصص دفعتها السنوية تكريما للرئيس هواري بومدين صاحب المبادرة بإنشائها. فهذه الجامعة لم تنشأ لتكون في درجة ثانية، ولا لتكون على الهامش، لقد كانت وراء إنشائها أهداف علمية ثقافية فكرية اجتماعية حضارية استراتيجية من الدرجة الأولى، توكل إعادة البنية الهيكلية الثقافية الاجتماعية التي حطمها الاستعمار الفرنسي، جمع شتات الهوية الوطنية بأبعادها الجغرافية والثقافية والحضارية بتنوع مصادرها ومشاربها، التكفل بالتراث العربي الإسلامي الأمازيغي، من الصين إلى أعماق الأندلس، غربلة هذا التراث ودراسته وتصنيفه، وإخراج العناصر الحية منه لتكون سندا لحاضرنا ومستقبلنا، أن تكون الجزائر، بهذا العمل الضخم، مركز ثقل الإشعاع الحضاري في هذه المنطقة من العالم، أن تكون هذه الجامعة العتيدة الصلة القوية العلمية والفكرية بيننا وبين العالم العربي الإسلامي الذي ننتمي إليه، بأبعاده الجغرافية، والتاريخية والحضارية، أن تكون

جسرا مفتوحا للحوار الفكري والثقافي والحضاري مع أوربا الحديثة ومع الغرباء عموما، أن تكون أداة فكرية إشعاعية في البحر الأبيض المتوسط بضفتيه الجنوبية والشمالية باعتبارنا من صناع حضارة هذا البحر، ومن الناشطين فيه على مر العصور التاريخية، أن تعيد لنا بناء الصلة اللغوية والثقافية والحضارية التي تربطنا بإفريقيا عموما وامتداداته الحضارية والدينية واللغوية في شرق وغرب إفريقيا. مسؤولية الجامعة في التجديد الفكري والديني، ورفع الكفاءة المعرفية الفكرية والأكاديمية لتكون في مستوى الأهداف الكبرى التي أنشئت من أجلها، وأن تكون مركز الثقل في التوازن الفكري والحضاري في تقاطع الأفكار والتيارات الوافدة.

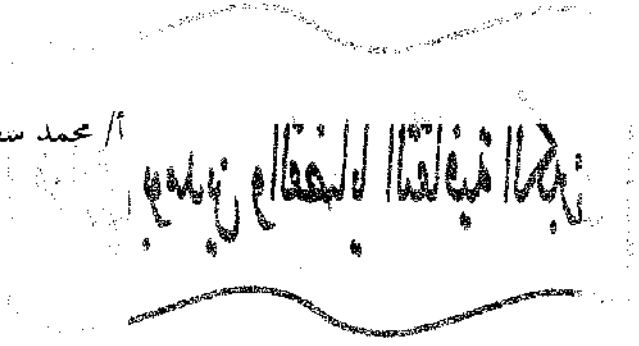

هواري بومدين والقضايا الثقافية الكبرى

الرئيس بومدين وملتقيات الفكر الإسلامي

أ.د/ يحي بوعزيـــز
معهد التاريـــخ
جامعة وهران

لقد كانت الجزائر المسلمة عقيدة وحضارة معرضة للتنصير والتمسيح والتغريب في العصر الحديث ، على مدى أربعة قرون ونصف القرن من مطلع القرن السادس عشر (16) إلى عام 1954 ونحن الشعب الجزائري الذي ترسخ فيه الإسلام ، وتعمقت حضارة القرآن وقف ضد هذه المؤامرة الصليبية الخطيرة بكل قوة وبطولة ، وشجاعة ، وثبات لا نظير لها حتى أفشلها.

محاولة الأسبان تنصير شعوب شمال افريقيا :

ذلك أن النصارى الأسبان المسيحيين الصليبين بعد أن تمكنوا من طرد آخر مسلمي الأندلس من إسبانيا الإسلامية عام 1492م وضعوا مشروعا كبيرا لاحتلال بلدان شمال إفريقيا وتمسيح وتنصير شعوبها الإسلامية من طنجة غربا إلى السلوم شرقا ، فالسودان وإثيوبيا المسيحية . ومن هناك يعبرون البحر الأحمر إلى فلسطين لانتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين. وذلك انتقاما من فتح المسلمين للأندلس وتحويلها إلى بلد إسلامي متحضر لمة ثانية قرون كاملة .

وفي هذا الاطار احتلوا سبتة ومليلة، والساقية الحمراء ووادي الذهب في المغرب الأقصى، واحتلوا في الجزائر المرسى الكبير، ووهران، والجزيرة المواجهة لمدينة الجزائر، وبجاية وجيجل، واحتلوا بتونس : حلق ا لوادي وجربة. كبداية لتحقيق مشروعهم الصليبي الكبير والخطير.

الشعب الجزائري يستنجد بالاخوة الأتراك :

ولكن الشعب الجزائري الذي تشظى للمؤامرة الكبيرة، والفكرة وقف ضدها بكل قوة وصمود، واستنجد بالاخوة الأتراك العثمانيين المسلمين : عروج، وخير الدين ، وإسحاق ، المتمركزين بجيجل وبالسلطان العثماني المسلم والمتواجد في مصر، الذين لبوا النداء، وتعاونوا جميعا ضد هذه المؤامرة والحركة الصليبية الجديدة ، والحقودة ، والماكرة وتمكنوا في النهاية من إفشالها ، والقضاء عليها ، وتحرير كل الموانئ الجزائرية والتونسية التي كانت تحت سيطرة هؤلاء الغزاة الصليبيين الجدد، بعد كفاح مرير وطويل دام قرابة ثلاثة قرون (227عاما) من عام 1505 إلى عام 1792م وبينها الأشقاء المغاربة الذين رفضوا التعاون من الاخوة الأتراك ، ما يزال الأسبان حتى اليوم عام 2004م يحتلون سبتة ومليلة.

الشعب الجزائري يتجند ضد الاحتلال الفرنسي:

ورغم أن الفرحة لن تدم طويلا إذ بعد ثمانية وثلاثين عاما (38عاما) من هذا التحرير ، تمكن جيش الاحتلال الفرنسي من احتلال الجزائر كلها ابتداء من عام 1830م وصمم هو الآخر على فكرة تنصير وتمسيح البلاد والعباد في إطار الفكر الصليبي الحاقد والماكر ولكن الشعب الجزائري وقف كالطود الشامخ كذلك ضد هذه السياسة التنصيرية التمسيحية اللئيمة ، والحقودة، والماكرة ، وقاومها بكل شدة وبسالة، وسخر كل إمكانيته المادية والمعنوية لإفشالها، وتخييبها وخاض اكثر من ثلاثة وثلاثين (33) ثورة ، وتمردا ، وعصيانا ضد هذا الاحتلال الجديد ، وهذه السياسة الصليبية الماكرة والخبيثة ، والحقودة عبر قرن وثلث القرن من عام 1830 إلى عام 1954 ، وكانت آخر هذه الثورات ثورة أول نوفمبر 1954 –1962. التي كانت حسن الخاتمة حيث تمكن الشعب الجزائري بفضل الله سبحانه وتعالى أولا ثم بفضل المجاهدين الأكارم ، والشهداء الأبرار من طرد المحتلين الغاصبين شر طردة ، وإلى غير رجعة، إن شاء الله ، وإفشال سياسة الفرنسة ، والتنصير والتمسيح. والحقودة، والماكرة.

دور الإسلام في ترقية الشعوب العربية والمغاربية:

وهنا لابد من توضيح ما للإسلام من دور رائد وأساسي، في انتصار الشعب الجزائري على المحتلين المعتدين الصليبيين على مدى أربعة قرون كاملة ونصف القرن. وفي نهضة العرب وتحويلهم على شعب متحضر بلغ الذرة في

الرقي والتقدم، ذلك أن العرب قبل الإسلام و لم تكن لهم أية قيمة أو اعتبار ، إذ كانوا مجرد بدو ورحل، رعاة لقطعان المواشي، ينتقلون وراء الكلأ والماء. والذي أعطى لهم القيمة في التاريخ ، وحولهم إلى شعب متحضر ومتقدم إلى ابعد حد هو الإسلام، والقرآن، ولغة القرآن، وحضارة القرآن.

وشعـــوب شمال إفريقيا قبل الإسلام كانت تخضع للاستعمار الأجنبي لمدة (15)خمسة عشر قرنا كاملة من القرن التاسع قبل الميلاد إلى القرن السابع بعده، وذلك من طرف الفينيقيين، فالرومان، فالوندال، فالبيزنطيي، والذي حررهما وحولها إلى شعوب راقية ومتحضرة هو الإسلام والقرآن ولغة القرآن، وحضارة القرآن .

دور الإسلام في انتصار ثورة أول نوفمبر الكبرى:

وهو ما أدركه فجروا ثورة أول نوفمبر الكبرى والمباركة صباح الاثنين عام 1954م. فسموا الحرب جهادا، والمحارب مجاهدا، والمقتول شهيدا ويفتتحون المعارك بالعبارة : الله أكبر.

إن هذه العبارات تمثل هوية الشعب الجزائري الوطنية الدينية، واللغوية، والحضارية، وهي التي جعلته يتوحد، ويتكتل، وراء قيادته ويخوض أعظم ثورة في القرن العشرين على الإطلاق، ولا منازع. وحررته هو ، وحررت معه الأشقاء الجيران : تونس، وفزان الليبي ، والمغرب الأقصى، وموريتانيا . وكل بلدان غرب ووسط إفريقيا من الاستعمار : الفرنسي والإنجليزي، والبلجيكي وعددها لا يقل عن عشرين دولة.

العودة إلى الأصل فضيلة:

وبعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 كان لابد من العودة إلى الأصل ، وإصلاح الأوضاع التي أفسدها الاستعمار والاحتلال الفرنسي ، وخاصة منها الهوية الوطنية، الدينية، واللغوية، والثقافية، والحضارية بصفة عامة وأول عمل تم إنجازه في هذا الميدان : التنصير في الدستور الجزائري بأن العقيدة الدينية للشعب الجزائري هي الإسلام وأن لغته الوطنية هي العربية لغة القرآن وحضارة القرآن ثم بعد ذلك تصدى الشعب الجزائري لمحاربة كل الآفات، والمفاسد التي خلفها الإستعمار ورائه مثل : الخمور، والزنا، والتحلل الديني

والخلقي والربا وكل الموبقات الأخرى التي زرعها في هذه البلاد وهي عميقة ضخمة تتطلب جهودا كبرى لمحوها وإزالتها.

دور الرئيس بومدين في ترسيخ الهوية الوطنية:

ويمتاز عهد الرئيس الراحل هواري بومدين (1965-1978) ، بإنشاء وزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي أسندها إلى الرجل المصلح، والذكي، والوطني الغيور على الجزائر ودينها، وأخلاقها، وحضارته الإسلامية الراقية ، حضارة القرآن المرحوم مولود بلقاسم نايت بلقاسم ، الذي كان شعلة في الوطنية النظيفة، وفي الغيرة على هوية الشعب الجزائري الدينية، والوطنية، والثقافية ، والحضارية بصفة عامة ، وبذل جهودا كبرى الترقية إطارات وزارته خاصة أئمة المساجد ووعاظها، والمفتون، ومعلموا القرآن الكريم في المدارس والكتاتيب القرآنية لأن هذه الإطارات كانت متخلفة وغير واعية بسبب رواسب الإستعمار ويتطلب أمر توعيتها وترقيتها، وتهيئتها للبناء الحضاري جهودا كبرى. ولقد كان هذا من أسبابه قيامه بفرض رقابة على أئمة المساجد في خطبهم الجمعية التي كان يرسل لهم فحواها كل جمعية حتى لا ينحرفوا عن الحياة ولايتسببوا في الفتن ، والانحراف.

أهمية ملتقيات الفكر الإسلامي :

ومن الأعمال الحسنة والجيدة التي استحدثها خلال عهدته مع الرئيس هواري بومدين عقده لملتقيات الفكر الإسلامي كل سنة كجزء من العمل لترسيخ الهوية الإسلامية لقد كان يدعو إلى هذه الملتقيات علماء أجلاء مختصين من كل القارات الخمس من أمريكا غربا إلى الصين واليابان شرقا عبر كل البلدان العربية والإسلامية ، والأوروبية .

وتعتبر هذه الملتقيات الإسلامية بمثابة أعراس للجزائر ، حيث يتم خلالها علاج القضايا الفكرية والدينية والحضارية بصفة عامة فيعرض العلماء أفكارهم وآرائهم والحضارية بصفة عامة فيعرض العلماء أفكارهم وآرائهم ويناقشونها، ويتحاورون فيما بينهم ومع غيرهم وتستمع إليهم الجماهير الغفيرة التي تحضرها، وتستفيد من آرائهم وتوجهاتهم، وتحليلاتهم ، وتسأل وتستفسر ، وتتلقى الأجوبة والشروحات المطلوبة . وبذلك تمكنت الجزائر بفضل هذه الملتقيات الفكرية الإسلامية، من أن تصبح قطبا ، وعملاقا للفكر الإسلامي ، والثقافة

الإسلامية والحضارة القرآنية ، بمفهومها الواسع، والراسخ، والمفيد كل ذلك بفضل التوجه الجديد، والنير والنبيل، والهادف والمخلص للوزير المرحوم : مولود بلقاسم نايت بلقاسم وللدعم اللامحدود من الرئيس الراحل هواري بومدين الذي لم يبخل بأي دعم من أجل إنجاح هذه الملتقيات التي أحيت في الشعب الجزائري أمجاده الخالدة التي عاشها وجبل عليها على مدى أربعة عشر قرنا من التاريخ ومحت إلى الأبد مخلفات الاستعمار الأوروبي المسيحي النصراني الحاقد والماكر، والملحد والفاحش المتحلل.

لقد أصبحت الجزائر بفضل هذه الملتقيات الفكرية الإسلامية محطة لكل العلماء والمفكرين والمبدعين في مختلف التخصصات، وصارت قبلة لهم يتجهون غليها بمناسبة وغير مناسبة ، واستحسنوا توجهات مسيريها خاصة الأستاذ مولود قاسم .. والرئيس بومدين بل أن البعض منهم اندهشوا لهذا التوجه الإسلامي والفكري والحضاري، الذي لم يجدوه في أي بلد آخر عربي إسلامي، ولم يتوقعوه من الجزائر التي خرجت لتوها من الاستعمار الأوروبي المسيحي النصراني الصليبي الحاقد، والماكر والخبيث، وكانوا يتوقعون أنها لن تظهر وتبرز بها هذه الحركة الفكرية والثقافية والحضارية ذات الطابع الإسلامي إلا بعد سنوات طويلة من العمل والجهد لمحو وغسل مخلفات الاستعمار، وآثاره السيئة والموبوءة .

لقد وفق الأخ الأستاذ مولود قاسم غاية التوفيق، في عقد هذه الملتقيات الفكرية الإسلامية التي أعادت للجزائر موقعها، ومكانتها بين الأمم الإسلامية قبل أن تبتلي بالاحتلال الفرنسي الباغي والمعتدى، الفاحش وسجل التاريخ بأحرف من نور للرئيس الراحل هواري بومدين تبنيه واحتضانه لهذه الملتقيات الفكرية الإسلامية، وتشجيعه لها لأنها كانت إحدى الوسائل الهامة لإعادة هوية الجزائر الوطنية الدينية اللغوية والحضارية إلى مكانتها التي كانت لها قبل الاحتلال الفرنسي وليس هذا فقط بل إنه أعلى مبدأ تطبيق التعريب في المنظومة التربوية التعليمية على مستوياتها المختلفة. وأكثر من هذا الزم نفسه ألا يتحدث أو لا يخطب إلا باللغة الوطنية العربية داخل الجزائر وخارجها احتراما للغة الشعب، ولهويته الوطنية على مدى أربعة عشر قرنا.

قصة الاستجواب باللغة الفرنسية:

وعندما أجرت معه إحدى القنوات الفرنسية استجوابا بالفرنسية قبل وفاته بحوالي عامين اثنين حرم على قنوات الإذاعة والتلفزة الجزائرية أن تبثه احتراما للغة شعبه الوطنية العربية لغة القرآن وحضارة القرآن ولم يتم بث قطع منه إلا بعد وفاته بعدة سنوات أواخر عقد الثمانينات من القرن الماضي العشرين ، هكذا يكون الرؤساء وإلا فلا.

إن الرئيس الراحل هواري بومدين، أو محمد بوخروبة، يعتبر رمزا للهوية الوطنية الجزائرية، دينا، ولغة، وحضارة، كما يعتبر أول وآخر رئيس للجمهورية خلال اثنين وأربعين عاما من استعادة الاستقلال الوطني يفرض هيبة الدولة واحترام الشعب داخل الجزائر وخارجها ويستحق كل التقدير والتكريم وتخليد أعماله ومنجزاته الحضارية، الفكرية والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية والصناعية وغيرها كما يستحق أن تقدم سيرته للأجيال الصاعدة تقتفي أثره، وتسير على منواله في البناء، والتشييد للبلاد والعباد.

أ.د/ يحي بوعزيـــز

ثقافة الكتاب والمكتبات والمعلومات ضمن السياسة التنموية للرئيس هواري بومدين، الجزائر: 1965-1978

أ/ حليمة علي خوجة

جامعة منتوري- قسنطينة

مقدمـــة:

* المنهج الثوري للرئيس هواري بومدين:

شهدت الشعوب وقادة العالم على اختلاف إيديولوجياتها وأنظمتها السياسية والاقتصادية للرئيس الراحل هواري بومدين بالحنكة والمنهج الثوري الذي أسس عليه عملية التنمية الشاملة للجزائر المستقلة جامعا بين الثورات الثلاث : الصناعية والزراعية والثقافية .

كما نال الرئيس، الملقب " برجل القيادة الجماعية "(1) ، الاعتراف بالمواقف التاريخية التي اتسمت بها قيادته للدولة الجزائرية من 19 جوان 1965 إلى غاية وفاته في 28 ديسمبر 1978،و قد أعلن بيان حركة 19 جوان لسنة 1965 عن " قيام دولة ديمقراطية، لا تزول بزوال الرجال والحكومات "(2) ، دولة قوية بمؤسساتها المحلية والمركزية وتستمد قوتها من القاعدة الشعبية(**المجالس المحلية للبلديات والولايات والمجلس الشعبي الوطني**) وتتصدى لكل أنواع الفقر والتخلف .

إذ استعان الرئيس بومدين في تثبيت زمام الأمور بما اكتسبه من رصيد معرفي إبان دراسته بجامع الزيتونة بتونس والأزهر الشريف بالقاهرة(**1950-1954**)، وما تحصل عليه من خبرة في صفوف جيش التحرير الوطني ، أثناء حرب تحرير الجزائر (**1954- 1962**)، ولقد تميزت عهدته بالعزيمة في :

- وضع نظام جديد للمجتمع الجزائري وتوجيهه في اتجاه الديموقراطية الحقيقية و العمل المنتج .
- تثقيف المجتمع الجزائري الذي عانى كيد الاستعمار فسلط عليه الفقر والجهل سطر الرئيس الراحل المناهج وسن القوانين وجمع الوسائل المسيرة لذلك. فجاءت الثورة الثقافية داعية إلى محو الأمية والتربية والتكوين والتعليم العالي ومانحة مكانة كبيرة للكتاب والمعلومات.

إن مساهمتنا في إعداد الكتاب الجماعي حول الرئيس الراحل هواري بومدين، الذي بادرت به جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة)، احتفالا بالذكرى الخمسين لاندلاع ثورة أول نوفمبر1954 المجيدة، موازاة مع تخرج دفعة هواري بومدين للسنة الجامعية **2003-2004**؛ تعدها محاولة متواضعة لدخول عالم الكتاب والمعلومات في عهد الرئيس الراحل، ولإلقاء الضوء على قطاع لم ينل حظه من التحقيق والدراسة، والبحث الذي لم يستوف فيه الدارسون الربط بين المنهج السياسي والتاريخي والنتائج المترتبة عن ذلك من إنجازات استفادت منها صناعة الكتاب ونشاط المكتبات ومهام الأرشيف.

*** المنهجية المتبعة:**

اعتمدنا في محاولتنا على جملة من الوثائق: كتب وأعمال أكاديمية وتقارير خبرة صادرة عن مؤلفين وهيئات جزائرية. كما استند بحثنا إلى عناصر متكاملة منها العامل التاريخي في فترة ما بين 1965-1978 والعامل السياسي والاحترافي أي (خبرتنا المتواضعة لمدة 21 سنة في الميدان: دراسة ووظيفة وبحثا).

وقد استرجعنا ذاكرة الطالب محمد بوخروبة (الاسم الحقيقي للرئيس الراحل) الذي عايش ظلم الاستعمار واحتك بالحركة العلمية في المشرق العربي وحمل مشعل الحرية لتعميم نور الكتاب والمكتبات في جزائر الاستقلال والبناء والتشييد .

*** خطة البحث :**

تناولت دراستنا المحاور الثلاثة الآتية :

- الاستراتيجية المنهجية وأسس السياسة الثقافية عند الرئيس هواري بومدين .

- بروز معالم النظام الوطني الجزائري للمعلومات .

الاستثمار في العنصر البشري المسير للقطاع: تعليم المكتبيين والأرشيفيين والحرص على تكوينهم المتواصل .

1-الإستراتيجية المنهجية وأسس السياسة الثقافية عند الرئيس هواري بومدين:

بعد التخلص من ظلم الاستعمار الفرنسي الذي دام 132 سنة، واجهت الجزائر -فجر الاستقلال في 5 جويلية 1962-، تحديات كبيرة منها استرجاع الهوية الجزائرية المستمدة من الثقافة العربية الإسلامية، وتأسيس النظام الثوري الاشتراكي الديموقراطي.

1-1 الأهداف الأساسية :

وبالاعتماد على الأفكار القيادية لاستراتيجية الرئيس الراحل في مجال السياسة الثقافية، نستنتج الأهداف الأساسية التي أكدت عليها أهم نصوص الميثاق الوطني والدستور لسنة 1976 وهي : (3)

1.1.1 التعليم للجميع وترقية البحث العلمي:

- انتهاج ديموقراطية التعليم.
- تعميم التعريب في قطاع التربية والتعليم العالي .
- مجانية التعليم.
- إنشاء المدرسة الجزائرية .
- إرساء قواعد الجامعة الجزائرية المتطورة والمتفتحة .
- إثراء الرصيد العلمي في مجال اكتساب اللغات الأجنبية.
- السعي نحو جزأرة الإطارات المسيرة.

2.1.1 تثقيف عامة المجتمع:

- محو الأمية في كل أوساط المجتمع.
- تأسيس المكتبات العامة ومكتبات الشباب.
- نشر الكتاب وتشجيع القراءة العمومية.

3.1.1 تشجيع التكوين المهني:

- توفير التكوين المهني لفائدة الشباب.
- تعميم التكوين المتواصل للشباب والكبار.
- اكتساب التكنولوجيات.
- تكريس مبدأ الضمير المهني القائم على احترام العمل والأخلاق.

4.1.1 تقييم التراث الثقافي والعلمي الوطني والعالمي:(4)

- الاعتراف بالثقافات العالمية.
- تطوير مستوى الوعي لدى النخبة الجزائرية.
- تثمين التراث الثقافي والفكري الوطني.
- ترقية الإبداع الأدبي والحس الجمالي والفني.

وهكذا تكون الثورة الثقافية الجزائرية قد نالت قسطا،يعتد به من المخططات التنموية فيما يخص الاستثمارات، في مجال الموارد البشرية والمنشآت التعليمية والثقافية.

2-1 المخططات التنموية :

تميز اختيار التخطيط، الذي يرجع تاريخه إلى سنة 1962 بالتماسك المذهبي في ظل بيان أول نوفمبر 1954، وبرنامج طرابلس لسنة 1956 ،وميثاق الجزائر لسنة 1964 إذ تجلت من خلاله الوسيلة التقنية لمعرفة الوضعية الصحيحة للبلاد وكذا الوسيلة الاقتصادية الكفيلة بإظهار فائض الإنتاج والوسيلة السياسية لجلب اهتمام القوى المنتجة من أجل إقصاء الاستعمار الجديد .

واتخذ التخطيط في هذا الإطار الترتيبي الخاص بالأفكار شكل أداة التنسيق، التي تم بواسطتها تنظيم جهد الدولة بغرض تطوير القطاعات، وبلوغ مستوى أعلى من المردودية المالية والتنافسية، وإلحاق الموارد، وتكريس الوسائل، وذلك تناسبا مع الأهداف المحددة.

شرعت الجزائر في وضع سياسة المخططات ابتداء من 1966 التي تصادف بداية السنة الأولى من عهدة الرئيس الراحل هواري بومدين حيث تلت ثلاثة مخططات : (5)

– **المخطط الثلاثي (1967-1969)** الذي يشتمل على برنامج الاستثمارات الموجهة لا سيما باتجاه المناطق المحرومة، في إطار مكافحة التفاوتات الجهوية، وتعميم تعليم السكان بمختلف أعمارهم، مع اتخاذ قرارات تاريخية، لاسيما في حق الطباعة ودور النشر والعناية بالمهن التابعة للقطاع .

– **المخطط الرباعي الأول (1970-1973)** الذي تضمن تخصيص غلاف مالي بقيمة 30 مليار دج للشروع في إنجاز التصنيع، وإنشاء كتابة الدولة للتخطيط مع العناية بقطاع الثقافة من خلال الكتاب، والمكتبات ومؤسسات الأرشيف .

– **المخطط الرباعي الثاني (1974-1977)** الذي خصص مبلغ 100 مليار دج لفائدة تقييم الموارد الطبيعية، وتكثيف النسيج الصناعي وإدماج القطاعات الاقتصادية وتحسين تقنيات التخطيط عن طريق تحديد الآجال وتنظيم دورات المراقبة.(وقد نالت دور الثقافة ومراكز المعلومات القطاعية عناية من الدولة) .

2 – بروز معالم النظام الوطني للمعلومات في الجزائر:

لم يخف على الرئيس بومدين أمر تفجير المعلومات وفيضان المعرفة التي أصبحت تشكل عصبا أساسيا في حقول الإعلام والتعليم والبحث، وكذا الاقتصاد والسياسة والثقافة والتي غيرت وجه العالم في الربع الأخير من القرن العشرين الذي تميز حينئذ بتراكم العلوم واستخدام التكنولوجيات المتطورة. واعترفت جل الحكومات بأن المعلومات أصبحت تشكل موردا غنيا تلجأ إليه لتصميم مخططاتها ولأخذ قراراتها على أساس معطيات الواقع ونتائج البحث العلمي ومدى استيعابها لهذه التكنولوجيات الجديدة .

مع الإشارة إلى ما أحرزته الولايات المتحدة الأمريكية (USA)من تقدم مع نهاية الخمسينات في مجال دعم المخططات الكبرى على أساس سياسة الإعلام (Information policy)وكذا الاتحاد السوفياتي URSS الذي كان السباق في غزو الفضاء (spoutnik parc) (6) .

ومن هذا المنظور أولى الرئيس الراحل أهمية قصوى للمعلومات والمؤسسات الساهرة على نشرها وتطويرها، فاتخذت حكومته قرارات لفائدة صناعة الكتاب وتطوير دور المكتبات ومنح الأرشيف وزنا كبيرا .

وعليه سلكت الجزائر إبان عهدة الرئيس بومدين منهجا يهدف إلى وضع حجر الأساس الخاص بسياسة وطنية للمعلومات والمؤسسات المكلفة بها قصد

الاستفادة منها لإيجاد واختيار أنجع الحلول لأصعب المشاكل التي قد تصادف الدولة والمجتمع.

وظهرت أولى بوادر هذا المنهج في فترة السبعينات حيث ارتكزت على بناء شبكة (ALGIST) تجمع بين المكتبات(المكتبة الوطنية والجامعية) ومراكز التوثيق من خلال إعداد القواعد الفنية والفهارس المشتركة و التنسيق بين المؤسسات الوثائقية موازاة لما حثت عليه منظمة اليونسكو البلدان النامية على إقامة نظام وطني للمعلومات يخدم بالدرجة الأولى تنميتها الشاملة وهذا طبقا لما ورد في التوصية رقم 20 من نظام UNISIST والبرنامج العام لمنظمة UNESCOالمسمى بـــ PGI .

وتجسيدا لهذا المشروع، نظم مركز الإعلام العلمي والتقني وتحويل التكنولوجيات (CISTTT) أياما دراسية خلال سنة 1976 حول الموضوع حيث قام بإحصاء المؤسسات الوثائقية بالجزائر رغم قلتها.

1-2 إنشاء المؤسسات الوطنية المكلفة بحقوق التأليف والطباعة والنشر والتوزيع:

يعلم الباحث أن دخول الطباعة إلى الجزائر كان عن طريق الاستعمار الفرنسي إذ قامت هيئة الطباعة بمقر الحكومة العامة بطبع أول جريدة L'ESTAFETTE في سنة 1830، وأول كتاب Traité abrégé de la grammaire arabe par Johann Pharaon في سنة 1833. (7)

تطور هذا المجال من خلال مراحل تاريخية متتالية وتميز باحتكار الأوروبيين القاطنين بالجزائر(Le seuil, Hachette + Gallimard) له ولجميع وسائله.

وباعتبار أن الطباعة والنشر صناعة تخدم التنمية الفكرية والاقتصادية ، أولاها الرئيس بومدين أهمية قصوى إذ سن القوانين التي أنشئت بموجبها المؤسسات الوطنية المكلفة بطبع ونشر الكتاب المدرسي والجامعي وكتاب الثقافة العامة والكتاب المهني.

1-1-2 تنظيم التأليف:

سن الرئيس الراحل جملة من المراسيم والقوانين تلزم المؤلف (فردا أو جماعة) بالإيداع القانوني قصد إرساء قواعد الضبط البيبليوغرافي الوطني والحفاظ على الملكية الفكرية للمؤلف: إذ كلفت المكتبة الوطنية الجزائرية بهذه المسؤولية تطبيقا للأمر الرئاسي رقم 70/34 المؤرخ في 29 ماي 1970 المتضمن النظام الجديد للمكتبة الوطنية الجزائرية ، في انتظار إصدار الأمر رقم 46/73 بتاريخ 25 جويلية 1973 المتضمن إنشاء الديوان الوطني لحقوق التأليف (ONDA)

كما نالت المؤسسات الاقتصادية حظها في هذه العملية التي نصت عليها المادة 2 من المرسوم رقم 71/13 المؤرخ في 13 ماي 1971.

واصلت الجزائر اهتمامها بقضية الكتاب حيث كان لها تمثيل ضمن فعاليات السنة العالمية للكتاب التي أشرفت على انعقادها منظمة اليونسكو UNESCO في سنة 1972 التي شهدت ميلاد "ميثاق الكتاب". لكن جاء الأمر رقم 73/29 الموافق لـ 5 جويلية 1973 وألغى قانون رقم 62/15 الصادر في 1962/12/31 والمتضمن تطبيق القانون الفرنسي رقم 56/978 بتاريخ 1956/9/27 والمتضمن الأحكام الخاصة بالإيداع القانوني في فرنسا وسائر المفعول في الجزائر المستعمرة آنذاك.

وشكلت الفترة مابين 1974 و1995 فراغا قانونيا أثر على عملية الضبط البيبليوغرافي الوطني والتحكم في الإحصائيات المتعلقة بالتأليف والطباعة والنشر والتوزيع . كما نلاحظ أنه و في نفس الفترة تم إصدار قانون في سنة 1973 يضمن حق الإنتاج الأدبي و الفني و تكليف الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (SNED) بطبع نشرية أدبية إعلامية تسمىEl Kitab ،ولكن تم تجميد هذا القانون في سنة 1976 .

ورغم تلك الظروف واصلت المكتبة الوطنية الجزائرية إصداراتها الفصلية للبيبليوغرافية الجزائرية عاملة بتوصيات المؤتمر الدولي الذي نظمته منظمة UNESCO والفيدرالية الدولية لجمعيات المكتبيين (FIAB) المنعقد بباريس أيام12 و15 ديسمبر 1977. و في آخر المطاف استفادت الجزائر في سنة 1996 بصدور قانون يسير" الإيداع القانوني " .

في هذا السياق ونظرا للوضعية الخاصة بسوق النشر الوطني والمتميزة بقدة الإمكانيات المتوفرة في السنوات الأولى من الاستقلال بادرت وزارة الشؤون الخارجية بالتعاون مع وزارات التجارة الخارجية والتعليم العالي والبحث العلمي، والإعلام والثقافة، بتيسير الشروط القانونية والمالية والبنكية بهدف تمكين المؤسسات الوثائقية الجزائرية من استيراد الكتب والمجلات وباقي الأوعية المعرفية.

2-1-2 الدور الرائد للشركة الوطنية للنشر والتوزيع SNED:

نشأت هذه المؤسسة بموجب المرسوم رقم 88/66 المؤرخ في1966/1/27 والتزمت بمبادئ مجلس الثورة وناضلت من أجل ترقية نشر الكتاب الجزائري في ظل ظروف خاصة.

وأكدت المواد القانونية على سيطرة المؤسسة في مجالات الطبع والنشر والتوزيع والاستيراد من الخارج ويؤشر الجدول الموالي على مدى إنتاج ونشاط الشركة في الفترة الممتدة ما بين 1966 و1978.

وبالنسبة لنشاط الاستيراد ، نالت شركة SNED الترخيص العام للاستيراد (AGI) وسجلت في سنة 1975 مبلغا ماليا لفائدة حسابها البنكي يقدر بـــ 22.300.000 دج (**أي 5.575.000 دولار أمريكي**) وقد أزيلت عنها الرسوم المتعلقة باستيراد الكتاب العربي (TUGP) في سنة 1967. الأمر الذي سمح لها في سنة 1978 باستيراد 2.354.375 مجلد منها 1.867.000 كتاب عربي .(8)

برز دعم الرئيس الراحل لشركة SNED في إنشاء مركب ضخم بمدينة رغاية عام 1975 لمواجهة المتطلبات الكثيرة لتطوير صناعة الكتاب من حيث الطباعة المتقدمة (تصميم النصوص، اختيار الألوان وكثافة البحث...) فسجل المركب نتائج جد مرضية وبنسبة مرتفعة:11200000 مجلد في السنة مقابل 300 عنوان و10.000 نسخة لكل عنوان .

يشير الجدول رقم "1 " إلى عدد عناوين الكتب (545) التي نشرتها شركة SNED في مدة 13 سنة ،(1978-1966) باللغة العربية و اللغة الأجنبية في تخصص العلوم الإنسانية و الاجتماعية كما جاء في المصادر المذكورة ضمن قائمة المراجع (**تقرير بوعياد محمود و مذكرة زغدار نونة**)

السنة / اللغة	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	المجموع
عربية		**02**	3	9	11	12	31	22	20	77	33	55	14	22	**301**
فرنسية		**12**	4	15	22	21	26	24	24	28	26	13	14	15	244

اهتمت شركة SNED أيضا بنشر وتوزيع الكتاب المدرسي وقد أصدرت 420 باللغة العربية واللغة الأجنبية أثناء الفترة ما بين 1966-1974 (**9**)

كما اقتحمت مجال الترجمة باللغة العربية والذي يخص **16** عنوانا من الكتب باللغة الفرنسية .

وسجلت بالنسبة لعملية الإيرادات شراء كتب من الخارج في سنة 1978 موزعة كالاتي: 2354375 مجلد باللغة العربية و1867000 مجلد باللغة الأجنبية. وجهت شركة SNED سياسة مقتنياتها على أساس اكتساب المعارف الحديثة في مجال العلوم والتكنولوجيات .

وبالفعل فقد حرص الرئيس الراحل على إعطاء مجال الإعلام الآلي والاتصال عناية خاصة نظرا لتطلعه إلى ما يصدر في العالم من إنجازات مثل موضوع البحث الذي قام به المفكر الأمريكي B.Langeford الذي دقق في لفظ Informatology عام 1962 من جهة ومن جهة أخرى الإنشاء الأول لشبكة إرسال المعلومات الوثائقية من طرف المؤسسة الأمريكية للعلوم سنة 1965 ،والندوة التي انعقدت في سنة1971 بين الحكومات لوضع نظام عالمي للإعلام العلمي.

3-1-2 ديوان المطبوعات الجامعية في خدمة ترقية الكتاب الجامع والمعرفة العلمية (OPU) :

أنشئ الديوان بموجب الأمر رقم 160/73 الصادر في 1973/11/21 الذي خصص نشاطه في مجال الطباعة ونشر وتوزيع كل المطبوعات الجامعية: طبع أعمال أكاديمية ودروس منسوخة وندوات علمية تتناول كل التخصصات

المندرجة في البرامج البيداغوجية ومشاريع البحث العلمي فسجل الديوان أرقاما معتبرة قد ساهمت في ارتفاعها، جميع الملحقات المحلية والمتواجدة بقسنطينة ووهران و عنابة ومدن جامعية أخرى.

* المبادئ المرجعية لنشاط الديوان(OPU) :

اتبعت الجامعات الجزائرية سياسة الرئيس بومدين التي كانت تهدف إلى ترقية الكتاب الجامعي مضمونا وعددا ،إذ انتهجت التوجيهات التالية:

- اقتناء أكبر عدد من الكتب باللغة العربية وخاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية (آداب، حقوق، اقتصاد، علم الاجتماع، علوم التربية ، التاريخ).
- ضرورة دفع الأساتذة الباحثين إلى عملية ترجمة الإنتاج الفكري الأجنبي إلى اللغة العربية ، انتهاجا لسنة أسلافنا من المترجمين العرب الذين كانوا السباقين في إحياء حركة النقل و الترجمة لا سيما في عصر المأمون ورواد بيت الحكمة المزدهرة في صدر الإسلام.

كان الرئيس هواري بومدين مدركا لأهمية دور الترجمة في نقل المعارف والتبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب وعلمائها.

انطلاقا من هذه القاعدة القوية المدعومة بقانون 1971 المتضمن إصلاح الجامعة الجزائرية، سجل الديوان (OPU) هذه الأرقام الدالة على اختلاف مصادرها ومناهج تحليلها (أنظر الإشارات الخاصة بالمراجع الموالية)(10) :

*بالنسبة للإنتاج الوطني (عدد عناوين الكتب لكل التخصصات) :

جدول رقم 2:

اللغة	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	مجموع	مصدر المعلومات
عربية	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	3	8	6	17 445	(أ) (ب)
أجنبية	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	2	12	22	16	52 208	(أ) (ب)
عربية أجنبية	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	209	(ج)

المجموع العام لسنوات 1975-1978= 929 عنوان

طبقا لهذا الجدول نلاحظ أنه يمكن التعرف على الإحصائيات الإجمالية دون الإحصائيات المفصلة خلال السنوات المذكورة .

*** بالنسبة للنتاج الوطني (عدد عناوين المجلات والأعمال العلمية):**

جدول رقم 3:

طبيعة الوثائق	التخصصات	الفترة الزمنية	العناوين	مصدر المعلومات
المجلات	علم المعلومات. البيولوجيا البحرية والحيوانية والنباتية. علم المجتمع ، الاقتصاد و العمران	1978-1973	77 زائد 13	د ح
رسائل جامعية	علوم طبية ، علوم إنسانية واجتماعية حقوق و اقتصاد	1978-1975	73	ح
الدروس المنسوخة	جميعها	1978-1975	254	ح

المجموع العام لسنوات 1973-1978 = 467 عنوان

*** بالنسبة لنشاط الديوان في مجال النشر المشترك وعملية الإيرادات:**

يسجل الجدول رقم 4، الأرقام التالية لفترة ما بين 1971-1978

طبيعة النشاط	الفترة الزمنية	الإحصائيات	ملاحظات
النشر المشترك	1978-1971	25 عنوان	تم إنجازها مع دور النشر الفرنسية و المصرية
الإيرادات	1977	75352 كتاب باللغة العربية 159997 كتاب باللغة الأجنبية	المجموع : 23.5349 مجلد
	1978	53684 كتاب باللغة العربية 58776 كتاب باللغة الأجنبية	المجموع : 112460 مجلد

إشارات المراجع :

(أ) البيبليوغرافية الوطنية.
(ب) ملتقى وزارة التعليم العالي (1984).
(ج) دليل الجزائر الاقتصادي والاجتماعي(1984).
(د) الديوان الوطني للبحث والإحصاء

ملاحظة: يدرك الباحث أتم الإدراك أن علم الإحصاء لم تتوفر له في الفترة الزمنية المعينة، كل الشروط المادية والكفاءات اللازمة بضبطه وتوافقه بغض النظر عن المصادر. ورغم ذلك يعتبر تجربة رائدة.

* إصدار وتوزيع الكتاب الجامعي: مواكبة ديوان (OPU) للإصلاحات الجامعية :

واكب ديوان المطبوعات الجامعية تطور و اتساع مؤسسات التعليم العالي و البحث العلمي بتقلده لمبادئ السياسة الجزائرية الخاصة بتنظيم الجامعات والقائمة على ثلاث خصوصيات مستمدة من مخططات سنوات 1965-1978 وهذا طبقا لمبدأ اللامركزية الجغرافية:

- توسيع منشآت جامعة الجزائر العاصمة التي أنشئت في عهد الاستعمار سنة 1909.
- بناء جامعات جديدة متمثلة في إنجازات ضخمة واسعة الأفق مثل جامعة منتوري(1969) وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (وضع حجر الساس في سنة 1969 بقسنطينة، وجامعة السانية وجامعة العلوم وتكنولوجيا بوهران وجامعة عنابة.
- إنشاء المراكز الجامعية بمناطق الوسط والشرق والغرب الجزائري (سطيف، تيزي وزو..).

من هذا المنطلق نستنتج مايلي:

- توسّع خريطة المؤسسات الجامعية على مستوى الإقليم الوطني ،
- ارتفاع عدد الطلبة من سنة إلى أخرى وعلى سبيل المثال نخص بالذكر عدد المتخرجين بالنسبة للسنوات

الجامعية 1963-1964 : 93 طالب جزائري

وفي 1968-1969=817 طالب

وفي 1971/1979= 33177 طالب منهم حوالي 8553 أجنبي. (11)

كما نشير إلى الفترة التي وصل إليها عدد المسجلين الذي ارتفع في سنة 1962-1972 = من 2.725 طالبا إلى 19.300 في سنة 1978

واحتراما للمبادئ الأساسية للإصلاح الجامعي **(1971)**: ديمقراطية التعليم العالي ، تعميم استخدام اللغة العربية ، التوجيه العلمي والتكنولوجي ضمن البرامج ، ولامركزية التعليم، التزم ديوان المطبوعات الجامعية **(OPU)** بنفس التشريعات التي صدرت في حق : عملية الاستيراد من الخارج والتخلص من ضريبة **(TUGP)**. و هيئ لظهور أفق جديد يفتح المجال أمام المؤسسات الخاصة **(أنظر المنشور الوزاري المؤرخ في 27 مارس 1982 والصادر عن وزارة التجارة)**.

4.1.2 عماد الكتاب المدرسي: المعهد البيداغوجي الوطني (IPN):

بعد استرجاع السيادة الوطنية ، انتهجت الجزائر المستقلة درب تأسيس مدرسة حديثة الآليات وأصيلة المرجع كما سبق لنا وأشرنا إلى المبادئ الأساسية المذكورة أعلاه.

وانطلاقا من سياسة الدولة استفادت المنظومة التربوية من عدة منشآت (بناء مدارس في المدن والقرى) وتجهيزات بيداغوجيّة ماديّة وفكريّة . ففي سنة **1974** على سبيل المثال منحت ميزانية الدولة للقطاع المعني مبلغ = **2.275.900.00** دج وزع على قسم التجهيزات بنسبة **29,3%** وعلى قسم التسيير بنسبة **70,7%** (**12**).

وقد ألح الرئيس الراحل على إنشاء المعهد البيداغوجي الوطني بالأمر رقم **648/62** المؤرخ في **1968/07/09** المكلف بمطبوعات التربية تسهيلا منه على طبع الكتاب المدرسي وتعميم توزيعه على كل الأطوار(الابتدائي والمتوسط والثانوي)مؤسسا الفكرة على التعليم باللغة العربية عن طريق الإنتاج خاصة.

وعلى أساس الإحصائيات التي أدلى بها مدير المكتبة الوطنية الجزائرية اعتمادا على ما نشرته البيبليوغرافيا الوطنية تدرج هذه المعطيات في الجداول التالية(13):

*** جدول رقم 5 بعناوين الكتب المنشورة .**

اللغة	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	المجموع
العربية	4	5	8	27	8	15	6	12	8	54	22	/	5	16	190
أجنبية	/	12	28	19	16	43	2	2	2	17	9	6	5	4	165
المجموع	4	17	36	46	24	58	8	14	10	71	31	6	10	20	355

*** جدول رقم 6 خاص بالنشر والمطابق للمستويات مجموعها : 355 عنوان.**

اللغة	ابتدائي	متوسط	ثانوي
عربية	96	47	95
أجنبية	135	28	27
المجموع	231	75	122

- المعدل العام لطبع الكتب في فترة مابين **1965** و**1978** = **355** عنوان منها:

190 عنوانا عربي و **165** عنوان فرنسي.

- التوزيع على أساس المستوى التعليمي هو كالتالي:

ابتدائي: **158** عنوان ، متوسط: **75** عنوان ، ثانوي: **122** عنوان

نلاحظ أن هذه الإحصائيات(16) لا تخصّ إلا عدد العناوين ولا تتطرق إلى عدد النسخ ولا تسمح لنا بتحليل نسبي اخذين بعين الاعتبار عدد المتمدرسين في تلك الفترة وبالتالي معرفة كل تلميذ في كل مادة ولا تبقى في حوزتنا إلا الإشارة التي أتى بها بوعياد محمود الخاصة بسحب **20.000.000** نسخة من الكتب المدرسية في فترة مابين سنوات **1978** و**1980**.

2-2 في صدارة الاهتمام :المكتبة الوطنية الجزائرية،المكتبات العامة والمكتبات الجامعية:

1.2.2 مسايرة الدولة الجزائرية للتطور الدولي :

تميزت قرارات الدولة الجزائرية أيضا في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين بترسيخ وتفعيل مبادئ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم **(ALECSO)** التي نص عليها ميثاق جامعة الدول العربية في عام **1964** والتي رأت النور في جويلية **1970** بالقاهرة (مقر الجامعة في تلك الفترة) ، زيادة عن الاتفاقيات الدولية التي عقدتها الجزائر مع منظمة **UNESCO** في نفس المجال .

و نخص بالذكر منظمة **ALECSO** التي اعتمدت لتأدية مهامها على مخططات استراتيجية شاملة و محاور هامة ترمي إلى الأهداف التالية : **(14)**

- تطوير التربية العربية وسلك مناهج علمية مختبرة،
- محو الأمية الأبجدية والحضارية وتعليم الكبار، التزاما ببرنامج الجهاز العربي لمحو الأمية المؤسس بجامعة الدول العربية عام **1967** والملحق بمنظمة ALECSO عام **1970**، وكذا توجيهات مركز إعداد قيادات لمحو الأمية لمنظمة المغرب العربي المؤسس عام **1976** بطرابلس ،العناية بالتعريب في قطاعي التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي تحت إشراف مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الذي انتقل مقر من المملكة المغربية **(1961)** إلى القاهرة **(1969)** واستقر بالمنظمة في عام **1972**،
- الاهتمام بالسياسة الشاملة لنشر الثقافة العربية الإسلامية،
- إرادة ترسيخ ثقافة المعرفة والعلوم والتكنولوجية،
- تأسيس نظام عربي جديد للإعلام والاتصال ،
- السهر على الأمن الثقافي في دورة القومي والإنساني من خلال التشريعات الثقافية

التي تلتزم باحترام الحقوق في مجال التأليف والإبداع والاكتشاف والحفاظ على التراث والمعالم الأثرية والتاريخية.

وعلى هذا الأساس شاركت الجزائر بقوة ثورتها الثقافية للاستفادة من هذه البرامج الطموحة، إذ نلاحظ ديناميكية في أخذ القرار لفائدة القطاع

ومؤسساته ومقوماته الملقاة على عاتق المكتبات ومراكز التوثيق والإعلام ومراكز الأرشيف.

إن اهتمام الرئيس الراحل هواري بومدين بقضية ترقية صناعة الكتاب وتطويرها وتعميم فوائدها كان موازيا لاهتمامه بالمكتبات ومراكز المعلومات والتوثيق والأرشيف،إيمانا منه بالعلاقة الوطيدة الموجودة بين إصدار الكتاب والسعي للتعريف به وإيصاله للقارئ والحفاظ على ذاكرته.

إذ تميزت قرارات الدولة الجزائرية في عهده بترسيخ وتفعيل مبادئ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم **(ALECSO)** في دائرة المنظومة التربوية والجامعات الجزائرية والمؤسسات الوثائقية.

2.2.2 المكتبة الوطنية :

استرجعت المكتبة الوطنية الجزائرية المؤسسة في **10** أكتوبر **1835**، سيادتها يوم استقلال الجزائر بتاريخ **5** جويلية **1962** إذ أنها اتبعت السياسة الثقافية الوطنية المبنية على المبادئ الأساسية التالية(**15**) :

– ديموقراطية الثقافة :

التي تحقق الموازنة العادلة بين الحق في الحرية والكرامة والحق في التعليم والتثقيف،على أساس أنها حق من حقوق الإنسان كما أكدّ على ذلك المرسوم رقم**26/73** الصادر في **1973/6/5** المتعلق بانضمام الجزائر إلى إتفاقية حقوق الإنسان.

– جمع وإحصاء التراث الثقافي الوطني من خلال إعداد ونشر البيبليوغرافية الجزائرية ومحاولة تطبيق قانون الإيداع القانوني (سالف الذكر)

– إثراء الرصيد الوثائقي المغاربي والحفاظ عليه على أساس ما أنجزته المكتبة الوطنية في الفترة الاستعمارية من خلال تشكيل مجموعة ثرية تحتوي على مراجع هامة فيما يخص القارة الإفريقية.

قرّر الرئيس الراحل هواري بومدين وضع القانون الأساسي للمكتبة الوطنية الجزائرية بموجب الأمر رقم **34/70** الصادر في **29** ماي **1970** يتضمن هذا الأخير إعادة النظر في تنظيمها وتسييرها وتحديد أهدافها وتفصيل وظائفها الوثائقية والعلمية والثقافية.

وعلى أساس المادة الثانية من الأمر المذكور وجب على المكتبة الوطنية(16):

- الحفاظ على التراث الثقافي الوطني،السهر على الإيداع القانوني،
- استقبال كل القراء الباحثين والأساتذة والطلبة الجامعيين وتلامذة الثانويات،
- تنظيم القراءة العمومية والإشراف عليها على مستوى البلديات من خلال دور الثقافة ،التعاون مع المكتبات الجامعية والعامة والمدرسية والمؤسسات العربية والأجنبية.

ونصت المادة **15** على استفادة المكتبة الوطنية من ميزانية الدولة لكونها مؤسسة عمومية ذات طابع ثقافي ،وبالتالي استفادتها الأخرى من القوانين التي تسمح باستيراد الكتب والمجلات بدون دفع رسم جبائي .

وسجلت المكتبة الوطنية في حصيلة تسييرها لسياسة المقتنيات التي رسمتها من أجل تنمية مجموعاتها، الأرقام التالية ما بين سنوات **1965-1970** على المستوى الوطني ،

بالتعاون مع المؤسسات التالية: **جدول رقم7:**

الناشر	المجال	اللغة	65	66	67	68	69	70
SNED	معارف عامة وعلمية	ع ف	/ /	/ 5	3 4	/ 12	/ 13	/ /
IPN	كتب مدرسية	ع ف	4 /	3 12	8 28	27 19	8 16	1 4
OPU	كتب جامعية وبحث علمي	ف	/	/	/	/	/	/

مجموع عناوين الكتب: 148

إشارات:(ع): لغة عربية، (ف) لغة فرنسية.

نظرا لهذه النتائج الضئيلة في التأليف سارعت المكتبة الوطنية ابتداءا من سنة **1968**بالتوجه إلى دور النشر العربية(مصر، لبنان، سوريا، الكويت ،...) والغربية، فرنسا أساسا، وسجلت إثراء بمعدل يتجاوز آلاف المجلدات .

3.2.2 المكتبات العامة :

عرفت المكتبات العامة تطورا مذهلا في الدول المتقدمة وتميزت في النصف الأخير من القرن العشرين بدورها الرائد في نشر العلم والمعرفة والثقافة

لدى الجمهور العريض على أساس ميكانيزمات وفضاءات جد ملائمة ووسائل مادية و إعلامية تتطابق مع التكنولوجيا الجديدة للمعلومات. (17)

أما فيما يخص التجربة الجزائرية نلاحظ أن هناك فترتان :

- أولاها ، إبان العهد الاستعماري الفرنسي الذي ترك وراءه مكتبات البلديات المرتادة خاصة من قبل الأوروبيين تم إنشاء المكتبة العامة لبلدية الجزائر العاصمة في سنة **1872** حيث كانت تشرف على **12** مكتبة صغيرة تسمى بـــ: « cabinets de lecture de quartiers » و فاقت أرصدتها خلال فترة **1914-1930** : **52294** مجلد.(18)
- وثانيها ، حدث بعد الاستقلال تغيير في الهيكلة ،إذ استمرت المكتبات العامة القديمة في تأدية نشاطها تحت إشراف البلديات ، مدعمة بفروع كائنة بدور الثقافة وهياكل حزب جبهة التحرير الوطني والاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية، المنتشرة عبر معظم ولايات الوطن.

فأنشئت دور الثقافة تحت وصاية وزارة الإعلام والثقافة بموجب مرسوم رقم **74-24** والمؤرخ في **1974/12/06** الذي حدد أهداف ومهام هذه الدور المطالبة بنشر نور الثقافة والمعرفة والفنون في الأوساط الشعبية عبر كل ولايات الوطن (19).

وتفعيلا لثقافة الكتاب نصت المادة الرابعة من المرسوم على إسناد مهام تشكيل رصيد وثائقي عام والقيام بالقراءة العمومية إلى قسم التوثيق بمثابة مكتبة عامة تستقطب الأطفال والشباب والكبار.

ورغم نتائج دراسة الباحث رابح علاّهم التي بينت النسبة الضعيفة للمقروئية لدى المجتمع الجزائري : **38%**عند الشباب و **10%** عند الكبار(20)

تعد هذه الدور في نظر الرئيس الراحل بمثابة : مدرسة الشعب المستمرة والمتواصلة. علما أن إجراء المطالعة العامة كان سائر المفعول أثناء الفترة الاستعمارية الفرنسية تحت إشراف المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة وانتشرت هذه العملية إبان الحرب العالمية الثانية بمدن (قسنطينة، وهران، البليدة، بوفاريك، منطقة القبائل...).

ونسجل في هذا المسار قول "جرمان لبال" : " لا فائدة من تعليم القراءة للصغار والكبار إذا لم نؤمن لهم الفضاء والمنهجية والوسائل للمداومة على القراءة وكسب التربية الاجتماعية." (21)

لكن عند تحليلنا لهذه المقولة التي لقيت صدى واسعا في سنة **1954** يلاحظ ارتفاع عدد المكتبات العامة بالبلديات و الذي قدر بـ **208** مكتبة ، بالإضافة إلى انتشار "صناديق الكتب"(22) المتنقلة عبر المناطق النائية يبقى متعلقا بالأهداف المنشودة من طرف المستعمر والمتمثلة في نشر الثقافة واللغة الفرنسية عبر كل فئات المجتمع الجزائري.

بالمقابل نجد أن الرئيس الراحل هواري بومدين قد منح الإجراء نفسه بعدا آخر ورسّخ من خلاله اللغة العربية والثقافة الجزائرية والعالمية، إذ أكد على:

- التعليم الذاتي للكبار والصغار وترقية مستوى المتمدرسين والطلبة حفاظا على تحديث المعلومات، مكافحة الأمية ومساعدة الهيئات الساهرة على إزالتها بتدريب المعنيين على القراءة والمطالعة ،
- تفعيل القراءة العمومية كأداة تثقيفية، مثلما جاء في نص الأمر المؤرخ في**29**ماي **1970** حيث يؤكد على مدى تكفل المكتبة الوطنية الجزائرية بهذه العملية والسهر على تجسيدها من طرف مكتبات البلديات وفروع دور الثقافة ،
- ترقية المستوى عند كل أفراد المجتمع باستخدام الأوعية المختلفة والمتطورة (ميدياتاك، مسرح، موسيقى، محاضرات، تبادل ثقافي...) من أجل تحسين السلوك الفردي وتأدية العمل النافع لصالح المجتمع.

3.2.2 المكتبات الجامعية :

نالت الجامعات الجزائرية بعد الاستقلال نصيبها من المكتبات المركزية ومكتبات المعاهد والأقسام والكليات والمخابر لينتشر على مستوى كل مؤسسات التعليم العالي عبر الوطن. ويجدر بالذكر الإشارة إلى بعض المكتبات الجامعية القديمة التي رأت النور في عهد الاستعمار الفرنسي ولا سيما المكتبة المركزية لجامعة الجزائر العاصمة **1909** ومكتبة المعهد الوطني للفلاحة بالحراش سنة **1905**(23).

وازدادت تطورا في عهدة الرئيس الراحل لتعرف مجموعاتها الغنية بالعناوين والمواضيع واللغات نموا معتبرا حيث فاقت أرصدة المكتبة المركزية لجامعة الجزائر العاصمة والمكتبة المركزية لجامعة منتوري قسنطينة مئات الآلاف من المجلدات واستفادت من إصدارات شركة **SNED** وديوان**OPU**، لتقتحم أيضا مجال الإيرادات من الخارج تحت إشراف اللجنة الجامعية للمكتبات والتوثيق **(CUBIDO)** والمتواجدة على مستوى الجامعات.(**24**)

وبالرغم من افتقارها لقوانين تنظم دورها وتسييرها تمكنت المكتبات الجامعية بفضل إرادة مكتبييها والمشرفين على الجامعات من آداء الوظائف الأساسية المعترف بها عالميا منها الوظيفة البيداغوجية والعلمية والوثائقية والثقافية . (**25**)

3.2 مراكز المعلومات القطاعية في خدمة البحث العلمي والتنمية الاقتصادية :

تأكيدا من الرئيس الراحل على غنى ثروة المعلومات ومدى تأثيرها على التنمية الاقتصادية تم فتح آفاق واسعة أمام نظام قطاعي للمعلومات تدعمه الجامعات من خلال بحوثها العلمية.

إذ وجدت توصيات منظمة **UNESCO** صدى كبيرا في جزائر السبعينات حيث نشأت شبكات قطاعية وثائقية في خدمة البلدان النامية من أجل الاستفادة من الإعلام العلمي والتقني والتبادل واختيار المنهجيات المواكبة للعصر .

على المستوى الوطني نذكر جملة من المراكز أنشئت في عشرية السبعينات(**26**):

- الديوان الوطني للإحصاء **(1971)**
- مركز الإعلام العلمي والتقني وتحويل التكنولوجيا **(CISITTT) 1975**
- المركز الوطني للتوثيق الاقتصادي والاجتماعي **(CNDES) 1975**
- المكتب الوطني للدراسات من أجل التنمية الريفية **(BNEDER) 1978**

وتحت إشراف وزارة الفلاحة، قام هذا المكتب (BNEDER) بإنجاز بنك وثائقي لـ 3000 مرجع في ظرف 10 سنوات ، يحصي ويعالج ويخزن من خلاله المعلومات القطاعية التي يحافظ عليها من أجل استخدامها في التنمية الريفية.

كانت قرارات الرئيس الراحل بادرة خير في هذا المجال إذ تعددت مراكز المعلومات القطاعية لتمس مجالات الصحة والعمل والمحروقات والمناجم وعلوم البحار....حيث مهدت الطريق لتأسيس المركز الوطني للإعلام والتوثيق الاقتصادي (CNIDE) والذي أنشئ بموجب المرسوم رقم 81-398 الصادر في 26 ديسمبر 1981 تحت إشراف وزارة التخطيط و التهيئة العمرانية.

كما فتحت هذه القرارات المجال إلى قطاعات أخرى منها وزارة الشؤون الدينية التي أصدرت "مجلة الأصالة" و"مجلة الرسالة" وكذلك وزارة الإعلام والثقافة التي أشرفت على إصدار:"الملفات الوثائقية"و"خطابات رئيس الجمهورية"،...

إن السياسة الرشيدة للرئيس الراحل قد بينت مدى تقدم فكره وإرادته في إعطاء الجزائر دعمًا قويا في مجال المعلومات التي أصبحت في مطلع القرن الحادي والعشرين عملة تعتمد عليها الدول النامية والمتقدمة، ونذكر على سبيل المثال التجربة المصرية المتمثلة في تأسيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار المتواجد بمجلس الوزراء والذي يشرف على 1500 مركز عبر كل محافظات الجمهورية المصرية.(27)

وتدل هذه الحقائق على انشغال وتطلع الرئيس الراحل وحكومته نحو التطور المستقبلي للمعلومات والخدمات العديدة والمختلفة التي تمنحها للتنمية الشاملة.

4-2 الاختيارات الإستراتيجية لسياسة وطنية خاصة بالأرشيف:

تشكل مصالح الأرشيف بالنسبة لكل دولة ذاكرتها الرسمية وتراثها التاريخي.

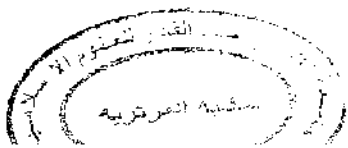

- الذاكرة الرسمية لأنها تعترف بوجود سيادة الشعب والدولة وكذا بسير مؤسساتها.
- تراثا وطنيا لكونها تشهد على تاريخ الدولة ومكونات هويتها.

1.4.2 نظرية المشرّع الجزائري :

وبالنسبة للجزائر فقد كان الاختيار مبكرا أي ابتداء من سنة **1971** ومع إنشاء "صندوق الأرشيف الوطني" بأمر رئاسي وكذا صدور أول منشور رئاسي متعلق بالأرشيف، تم التأكيد على ضرورة عقلانية تسيير الأرشيف الجاري والوسيط بغرض تحسين السير الإداري بما في ذلك ضمان حماية الأدوات الضرورية لكتابة التاريخ الوطني بصفة موضوعية. وقد سمح إلحاق مؤسسة الأرشيف برئاسة الجمهورية منذ تاريخ إنشائها سنة **1971** .

انطلاقا من هذه الاختيارات الإستراتيجية، لم يعرف تحديد مفهوم الأرشيف بالجزائر تنوعا كبيرا و ذلك منذ سنة **1971** " يتشكل الأرشيف من مجموع الوثائق الصادرة أو المستلمة من قبل الحزب والدولة والجماعات المحلية والأشخاص الماديين أو المعنويين التابعين للقانون العام أو الخاص، وذلك في إطار ممارسة نشاطاتهم والمعرفة عن طريق أهميتها وقيمتها والتي يستلزم الاحتفاظ بها من قبل الحائز عليها أو صاحبها وإرسالها إلى مؤسسة الأرشيف المؤهلة ."

وكان هذا التعريف الشامل لمفهوم الأرشيف يسمح للمؤسسة بالتدخل على كل المستويات بما في ذلك دائرة القطاع الخاص (أرشيف المؤسسات، الأرشيف العائلي).

2.4.2 التطور التاريخي والمؤسساتي للأرشيف الجزائري (1965-1978):

* في سنة **1962** وقت استرجاع سيادتها التامة والكلية ، أعادت الدولة الجزائرية انطلاقتها بديون ثقيلة في كل الميادين بما في ذلك قطاع الأرشيف (**28**).

- غياب الأرشيف حيث تم تحويل أغلبيته إلى مدينة Aix- En-Provence من الفترة الممتدة ما بين 1961-1962 مما أدى إلى ظهور قسم قضائي أرشيفي بين الجزائر و فرنسا يشمل 200.000 حافظة ملفات (600 طن) من الأرشيف خاص بالفترة الاستعمارية الممتدة من 1830-1962 و1500 حافظة ملفات من الوثائق الخاصة بالفترة العثمانية (الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر) السابقة للغزو الاستعماري.

- غياب الأرشيفيين حيث لم تسمح الإدارة الاستعمارية لأي فرد جزائري ببلوغ هذا القطاع الإستراتيجي.

- انعدام هياكل ملائمة للمحافظة العقلانية على الأرشيف ماعدا الجهوي منه والخاص بولايتي الجزائر ووهران.

* وفي سنة 1971 قام كل من الرئيس هواري بومدين وكذا الأمين العام لرئاسة الجمهورية الدكتور محمد أمير بوضع أسس مؤسسة الأرشيف الوطنية بالجزائر، إذ قام الرئيس بومدين بإصدار أمر يتضمن تأسيس الصندوق الوطني للأرشيف أما الدكتور محمد أمير فقام بتوزيع أول منشور رئاسي متعلق بتسيير الأرشيف.

* وفي شهر ديسمبر من سنة 1972 تم إدارة الأرشيف الوطني إنشاء داخل رئاسة المجلس.

* أما خلال الفترة الممتدة من 1973-1974 فتم خلق أول نواة خاصة بالأرشيفيين الجزائريين وتوزيعهم على المراكز الولائية الواقعة بكل من الجزائر، وهران، قسنطينة. ومن جهتها قامت مؤسسة الأرشيف الوطنية بتنظيم عدة ملتقيات وتربصات تلقينية و تكوينية في المجال الأرشيفي على الصعيد الوطني ، الجهوي والمحلي وذلك منذ سنة 1974 .

* أما في سنة 1977 فتم إثراء المنظومة الأرشيفية الجزائرية بنص هام والمتمثل في مرسوم جديد كان يحدد بدقة صلاحيات تنظيم وسير مؤسسة الأرشيف الوطنية على المستوى الوطني والمركزي والجهوي والمحلي.

* لكن لم يلق هذا المرسوم تطبيقا واسعا و ذلك راجع إلى إسناد مهمة الأرشيف الوطني إلى المركز الوطني للدراسات التاريخية سنة 1978، مما أدى إلى إبعاد الأرشيف الوطني عن المركز الرئاسي. وكما نود الباحث Bruno

Delmas بديناميكية وفعالية الأرشيف الوطني والجهوي باعتباره العمود الفقري لبناء النظام الوطني للمعلومات، استرجعت في الأخير رئاسة الجمهورية وصايتها على مؤسسة الأرشيف الوطني في سنة 1982.(29)

3- الاستثمار في العنصر البشري: تعليم وتكوين المكتبيين والأرشيفيين :

فغداة الاستقلال وعلى طراز القطاعات النشيطة الأخرى للبلاد وجدت قطاعات التوثيق نفسها غير مزودة بالإطارات المؤهلة والتي بوسعها تسيير المكتبات بصفة تقنية وعلمية وكذا مراكز التوثيق والأرشيف .

1.3 نبذة تاريخية عن التكوين والمستقبل المهني:

وبكونها منشغلة بتطبيق المناهج الأكثر عصرنة في مجال علم المكتبات ، بادرت المكتبة الوطنية الجزائرية في بادىء الأمر بفتح تكوين للمستخدمين المؤهلين لفائدتها ولفائدة الهياكل التوثيقية الأخرى على الصعيد الوطني بصفة مستقلة عن وزاراتها الوصية. ويختلف هذا النوع من التكوين عن الأشكال الجامعية الكلاسيكية بكونه رائدا تاريخيا ، لأنه عمل على توجيه التكوين المتعلق بالشهادة التقنية الخاصة بالمكتبات والأرشيف DTBA والذي سمح بتخرج أول دفعة، طبقا لما صدر عن المرسوم رقم 64-135 المؤرخ في2 أفريل 1964 .(30)

1-3-3 تنظيم التكوين الخاص بالشهادة التقنية للمكتبات والأرشيف :

*** المرحلة الأولى لتنظيم التكوين من سنة 1963 إلى غاية 1969 :**

والتي تمت تحت إشراف المكتبة الوطنية الجزائرية، يتم الشروع في التكوين على شكل تربص يستغرق 8 أشهر مع كونه يتجدد كل سنة بعدد يقدر في المتوسط بنحو 30 إلى 40 متربص وللاستفادة من هذا التكوين المفتوح لدى مترشحين قادمين بصفة شخصية أو بصفة جماعية (يكون العديد المرخص به صادرا عن إداراته الأصلية) ، و عليه استوجب مراعاة الشروط التالية:

أن يكون المتر شح حائزا على مستوى شهادة البكالوريا الخاصة بالتعليم الثانوي.

- النجاح في اختبارات امتحان القبول .

كان المتربصون الناجحون يتلقون تكوينا مشتركا في علم المكتبات والتوثيق والأرشيف، وباستثناء هذه المجالات الثلاثة لم يتضمن برنامجه أية مادة

خاصة بالثقافة العامة، وهذه مقاييس التكوين بصفة أساسية: علم المكتبات التوثيقية،الاختصاص، تقنية الكتاب والوثيق والمطبوعات، البيليوغرافيا، الفهرسة التصنيف، إدارة المكتبات والقانون العام، علم المتاحف، علم الآلة الراقنة، اللغة العربية،و كان الحجم الزمني الإجمالي: 407 ساعة.

تابع المتربصون مع نهاية دراستهم أيضا تربصا تطبيقيا يدوم ثلاث أسابيع داخل المكتبة أو مركز التوثيق وهذا بغرض ضبط المعارف المكتسبة ،

* **المرحلة الثانية من سنة 1969 إلى غاية 1975:**

انتقلت عملية التكوين فيما بعد إلى وصاية وزارة الإعلام والثقافة. وقد تم إلغاء هذا الإجراء سنة **1975**، وذلك تبعا لتأسيس معهد علم المكتبات بجامعة الجزائر العاصمة .

فقام المعهد بفتح التكوين على المستوى الأعلى والخاص بشهادة الليسانس و الدراسات العليا وهذا بموجب المرسوم رقم 75-90 المؤرخ في 24 جويلية 1975 وقد تم في سنة 1983 تمديده عن طريق تكوين تقنيين ساميين مكتبيين.

3-1-2: إصدار القوانين الأساسية الأولى (1968-1969):

في ظل هذا الإطار التحضيري لمستقبل الهياكل التوثيقية الجزائرية، كانت المكتبة الوطنية الجزائرية تعمل أيضا على ترقية المستقبل المهني للمكتبيين. وكونها على وعي بالمخاطر المحدقة بهذه المهنة والتي عانت من متاعب وضعية مزرية على المدى الطويل، نشطت بصفة حثيثة لدى السلطات العليا، وكان الصدى الإيجابي لدى رئيس الجمهورية الذي شجع على سن القوانين لدى المكتبيين والأرشيف وعليه صدرت القوانين النظامية في شهر ماي **1968** وشهر ديسمبر**1969** :

- المرسوم رقم **68-311** بتاريخ **30** ماي **1968** خاص بسلك محافظي المكتبات
- المرسوم رقم **68 - 312** بتاريخ **30** ماي **1968** خاص بملحقي الأبحاث
- المرسوم رقم **68-313** بتاريخ **30** ماي **1968** خاص بأعوان المكتبات
- المرسوم رقم **69 - 188** بتاريخ **6 / 12 / 1969** خاص بالتوثيقيين .

- المرسوم رقم 69 - 190 بتاريخ 6 / 12 / 1969 خاص بمساعدي التوثيقيين.

3-2 التكوين في مجال الطباعة وتقنياتها:

كانت المبادرة في قطاع الطباعة والنشر محتشمة حيث قامت شركة **SNED** بالتعاون مع مركب رغاية بعقد اتفاقية مع مؤسسات الطباعة والنشر الإيطالية (**1966-1973**)، وتضمنت هذه الأخيرة قبول استقبال مجموعة من المتربصين الجزائريين قصد التكوين لنيل الخبرة في الطباعة المتطورة، وقد استفادت إطارات شركة **SNED** من التخصصات التالية(**31**):

- **7** مهندسين في الطباعة الفنية
- **4** مهندسين في التصميم الفني لكتب الأطفال باللغة العربية والأجنبية
- **18** تقني سامي في إتقان استعمال تجهيزات **OFSET** واكتساب فنيات التصوير والتجليد وتقنيات السمعي البصري.

نستنتج من خلال مسار تطور هذه المهنة وبالأخص أثناء عهدة الرئيس الراحل أن هذا الأخير قد أولى أهمية كبرى لقطاع المكتبات والأرشيف والمعلومات بالإضافة إلى مسيريه بالرغم من المتطلبات الجسيمة للقطاعات الأخرى في مرحلة بناء الدولة الجزائرية وتشييد مؤسساتها .

الخاتمة:

تكمن الشخصية الفذة للرئيس الراحل في إيمانه الراسخ بثقل الرصيد الثقافي والحضاري للشعب الجزائري منذ القدم وأيضا في أوّج" إرادته لمنح هذه الأمة مؤسسات ثقافية وعلمية وسلوكات بشرية" (**32**) ، يعلوها تاج التربية والعلم والأصالة وبكونها مستنيرة بالتفتح العقلاني على المجتمعات الأخرى ومستوعبة للاكتشافات العلمية وللمعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات والإتصال.

تهدف هذه الحركة الديناميكية التي سلكها الرئيس الراحل إلى تأصيل منهجه الثوري في أعماق جذور المجتمع الجزائري المتطلع نحو آفاق عالم المـ والطموح بين الحضارات. وأكد على هذا النهج في مستهل خطابه الذي ألقـ

فيفري 1978 بمناسبة تدشين مجمع تميع الغاز الطبيعي بمدينة أرزيو: نريد " إقامة علاقات عادلة وطيبة بين الشعوب ومن أجل تعاون دولي حقيقي يتسم بالإنصاف ويسير حسب قواعد التوازن وتبادل المنافع"(33)

الكلمات المفتاحية: الرئيس هواري بومدين ، الجزائر، **1965 1978:** سياسة ثقافية وطنية،دمقراطية التعليم والتكوين، تعميم اللغة العربية، لامركزية المؤسسات التعليمية والثقافية، الكتاب والمكتبات والأرشيف، محو الأمية والقراءة للجميع، مجتمع المعلومات والتنمية الشاملية.

قائمة المراجع

1 مطمر ،محمد العيد. هواري بومدين ،رجل القيادة الجماعية. عين مليلة : دار الهدى ،2003. 111 . ISBN. 9961 -60- 460 – 1

2 عميمور، محي الدين. أيام مع الرئيس هواري بومدين ... و ذكريات أخرى. ط.2. بيروت: دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، 1998. 271 ص . ISBN. 9961 62 105.0

3 الجزائر جبهة التحرير الوطني . الميثاق الوطني . الجزائر : 1976 . 190ص

4 الجزائر جبهة التحرير الوطني . الدستور . الجزائري : 1976 ، 69 ص

5 Kaid , Ahmed . Aspects essentiels de la révolution culturelle . Alger : Dept . Info FLN ; 1971 . 71 p .

6 Algérie . guide Economique et sociale . Alger ; Anep , 1987. 397 p .

7 Dahmane,Madjid le système national d'information entre le pré-requis des modèles et l'aléas de l'empirisme : quelle(s) perspective(s) pour le XXI siècle. Cérist :SNI 2 :alger 21-22juin 1999 . p1-38

8 Archives de la wilaya de Constantine . centre de documentation.

9 Bouayed , Mahmoud. Le livre et la lecture en Algérie : Rapport à L'UNESCO . Alger , 1985. 66 p .

10 référence N°8

11 Ministère de l'enseignement Supérieur . Actes du séminaire National sur la documentation universitaire et Scientifique . Alger, 11 et 12 Janvier 1983. Alger : MES,1983. 148 p .

12 références N°5

13 Feroukhi . Démocration de l'éducation : les acquis et le chemin à parcourir . Revue algérienne de l'éducation ,nov. 1994, N° 1 . 28 p.

14 référence N°8

15 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إنجازات المنظمة: 1970 – 1978 تونس:ALCSO، 1988 . 192 ص . 1978

16 Ali-Khodja , Halima . Conférence sur l'Historique et les objectifs de la Bibliothèque nationale d'Algérie : 1835-1993 . (séminaire national sur les bibliothèques publiques en Algérie : Constantine . Mai 1994.

17 référence N° 15.

18 قموح، نجية . الإطار القانوني و التنظيمي للمكتبات العامة في الجزائر : دراسة وصفية تحليلية لمكتبات الشرق الجزائري. رسالة ماجستير : علم المكتبات، قسنطينة ، 1997. 193ص.

19 Tobichi, Zineb. La lecture publique dans la région d'Alger et ses annexes. Mem. fin licence, bibliothéconomie, Alger.1982.p/3-4.

20 عالم ، مختار . دور الثقافة في الجزائر : واقعها و آفاقها(Maisons de Culture)مذكرة الديبلوم العالي للمكتبيين . جامعة قسنطينة 1987 . 137 ص .

21 Allahoum,Rabah Situation du livre en Algérie . th. doctorat Bordeaux, 1985.

22 Lebel, Germaine. La nouvelle bibliothèque Nationale d'Alger. Extrait du bulletin des bibliothèques. N°10.Octobre 1958.p.691-707.

كوتشوك علي ، موني . مكتبة بلدية قسنطينة : إداراتها و تسييرها و آفاق تطورها . مذكرة ليسانس في علم المكتبات و المعلومات . جامعة قسنطينة ، 1994 . 139 ص .

23 Issoliah , Roza . L'activité de l'information agricole en Algérie . (CERIST . Actes du 2e séminaire nationale d'information état et perspectives . Alger ; 21 – 22 Juin 1999) p . 131 -- 140 .

24 علي خوجة ، حليمة ، المسار التاريخي للتوثيق الجامعي لمدينة قسنطينة(بمناسبة الذكرى العشرون للمكتبة المركزية لجامعة منتوري قسنطينة : سبتمبر 1998).

25 علي خوجة ، حليمة ، تقييم الوظيفة البيداغوجية للمكتبات الجامعية الجزائرية الملتقى الوطني حول البرنامج التقييمي للتكوين الجامعي: جامعة منتوري قسنطينة ، PQF، 2002.

26 Akrour , Samia . Système d'informations sectoriel : étude de cas de l'évolution du Système

d'information d'une entreprise spécialisée dons le développement du monde rurale .

(CERIST . Actes du 2e séminaire Nationale d'information état et perspectives . Alger : 21 – 22 Juin

(1999) p . 123 – 140.

27 علي خوجة ، حليمة ، زيارة ميدانية لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار لمجلس الوزراء القاهرة: ملتقى الإتحاد العربي للمكتبات

والمعلومات شهر أوت 2000.

28 Badjadja , Abdelkrim. Méthode d'éléboration d'une politique nationale de gestion des Archives: l'expérience algérienne. P 42-60 .cérist : Alger,1999.(2 édition du SNI).

29 référence N° 28

30 Semra,Halima, la formation dans les bibliothèques Algérienne Mem. DEA. France 1980.

31 référence N° 8

32 Massali, Rachid . Houari Boumediene. L'homme énigme. Constantine : Imp. El Baath , 1990 . 176

33 الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية . رئاسة الجمهورية . مديرية الإعلام . خطاب الرئيس هواري بومدين : بمناسبة تدشين

مجمع الغاز الطبيعي ، 21 / 2 / 1978 . 12ص

CERIST. Le système National L'information : état actuel et perspectives . 2e édition du Séminaire .

National : 21-22 Juin 1999 . Alger : Constantine , 1999. 407+209 pages . (Actes du séminaire)

Oberdorf, Robert . la bibliothèque municipale , un centenaire à l'étroit . La Dépêche Constantine 23,24, 25 Avril 1961 . (archives de la w. de Constantine UD-A-89) .

Ministère de l'information. Direction de la documentation et des publications. L'information et la culture en Algérie : documentation législative,1981.73p (Dossiers documentaires, N°36).

Council of Ministers. The Cabinet. Information and Decision Support Center (IDSC).The Library. Cairo, Egypt.

Ali Khoudja , Halima . La connaissance de la Fonction conservation du patrimoine documentaire par les Bibliothèques Algériennes : aperçus sur L'environnement naturel et humain , et réflexion à une stratégie de traitement Bibliothèque Nationale d'Algérie . Actes des Journées d'et sur la conservation des documents : état et stratégie . Alger : 21 – 22 Mars 1998. (P . 21 – 34)

ثقافة الكتاب و المكتبات و المعلومات ضمن السياسة التنموية للرئيس هواري بومدين -----أ/حليمة على خوجة
طاشور ، عبد الحفيظ .مكتبات دور الثقافة : بعض المظاهر القانونية والتنظيمية. مداخلة مقدمة للملتقى الوطني الأول حول المكتبات " العامة " لدور الثقافة. قسنطينة 1994 . 14 ص .
زغدار ، نوتة . طبع الكتاب العربي ونشره في الجزائر . 1830 – 1985 . مذكرة الديبلوم العالي للمكتبيين . جامعة قسنطينة ، 1991 . 209 ص .
فموح ،نجية . الإطار القانوني والتنظيمي للمكتبات العامة في الجزائر: دراسة وصفية تحليلية لمكتبات الشرق الجزائري. رسالة ماجستير : علم المكتبات. قسنطينة ، 1997 . 193 ص.
رئاسة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية . هواري بومدين.خطاب الرئيس بمناسبة تدشين مجمع تمييع الغاز الطبيعي .. أرزيو في 21 فيفري 1978 .12 ص.

القضايا العربية في خطابات الرئيس المرحوم هواري بومدين

أ/ شريبط أحمد شريبط
جامعة عنابة

مقدمة:

يعد المرحوم الرئيس هواري بومدين من أبرز الشخصيات الجزائرية المعاصرة، وعندما توفي سنة 1979، فقدت الجزائر فيه رجلا عظيما مخلصا لوطنه وقيم حضارة أمته العربية والإسلامية. وفقدت فيه حركات التحرر في إفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وآسيا، والشرق الأوسط سدا قويا وصديقا حميما لجميع الفقراء والمظلومين والمهمشين.

يحس الفلاح بفقدانه وهو مهرول صوب مزرعته ساعة بزوغ فجر جديد. يحس العامل بفقدانه وهو متوجه صوب مصنعه ساعة وردية جديدة، ويحس الطالب بفقدانه عندما يلج الحرم الجامعي، فيهفو وجدانه إلى قائد عظيم لقنته وهاد الوطن وتلاله، وسواقيه ذات اللحن العذب بلاغة الوطن....بلاغة العرب.... نصاعة البيان، وروح الكلام.

كيف لنا أن ننساه وهو الذي علمنا ألا ننظر إلا إلى الأعلى؟ كيف ننساه وهو الذي علمنا ألا نسير إلا وهامتنا واقفة ؟ كيف لنا أن نغفو عليه، وهو القائد الذي خبر لغة الشعب، فتنسكب أوتارها من خبايا حناجره كالشدو وكالشبح؟

خاطبه رفيق دربه، ووزير خارجيته السيد عبد العزيز بوتفليقة، في مرثيته بقوله:" لقد برزت من صفوف هذا الشعب العظيم، من بين فلاحيه الفقراء، الذين اعتصموا بالجبال، وقاوموا جحافل الطغاة عبر العصور، فكانوا قلعة المقاومة، وحصن الشخصية الوطنية، وينبوع ثورة فاتح نوفمبر الخالدة، وهذا جعلك تأبى الضيم، وتتعاطف مع المحرومين وتؤاخي المكافحين، أينما كانوا

وتغار على مقومات حضارتنا العربية الإسلامية، ولا تدخر جهدا في الدفاع عن السيادة الوطنية ووحدة الأمة...."

وكان الفقيد مولعا بلبس"البرنس" [1]، بصفته رمزا يدل على الأصالة والانتماء الصافي لينابيع التاريخ والحضارة، كما كان هذا اللباس الجزائري الأصيل الذي يزيده هيبة، وشموخا واعتزازا، حتى يخيل لمن يراه أنه صقر قوي ينشر دفء جناحيه على صغاره.

وقد لفتت هذه الصورة ذات الإيحاءات الغزيرة نظر أحد دعاة السياسة العالمية طوال مرحلة السبعينات، وهو رئيس الدبلوماسية الأمريكية هنري كيسنجر، فقد وصفه في كتابه –سنوات العاصفة– بقوله:" أن دائما يبدو داخل العباءة السوداء كسلطان ثوري، واعقد أنه كان يحرص على ارتداء مثل تلك العباءة حين يستقبل زواره، وكان بذلك يضع على كتفه درع الثورة البرنس....."

وتحدث الصحفيان "بول بالطا" و"كلودين رولو" في كتابيهما الذي ألفاه عنه بعنوان " استراتيجية بومدين"، يصفان استراتيجية مرحلته،وما تميزت به نظرته السياسية:" وقد تمحورت استراتيجيته، وتركزت على ثلاث دعائم : الثورة الاشتراكية في إطار جزائري قاعدتها الثورة في العلاقات الدولية، الاستناد على عدم الانحياز ومناصرة ودعم تحرر العالم الثالث، والنضال من أجل إقامة نظام اقتصادي دولي جديد، تراعي فيه حقوق ومصالح الشعوب الفقيرة، ووضع حد للتقسيم الدولي الراهن للعمل ".

وقد كان فهم الفقيد هواري بومدين لمصطلح الاشتراكية نابعا من ثقافته التراثية العربية، التي خبرها خلال إقامته بمصر للدراسة، حيث روي عنه انه كان شغوفا بمطالعة كتب التراث، وخصوصا التاريخي منه، كما كان له ولع بقراءة سير الأبطال ومشاهير رجال الحروب الوطنية، وحركات التحرر.

وقد حلل هو نفسه مصطلح "الاشتراكية"، الذي طبع السياسة الجزائرية، وخاصة في بعدها الداخلي، وذلك في حديث صحفي أدلى به للإذاعة والتلفزيون الإيطالي يوم 16 أفريل 1973: " نحن ننطلق في تفكيرنا وعملنا من الوضعية الجزائرية –أولا– ومن المنطقة التي تنتسب إليها ثانيا، ومن ماضي

[1] نوع من الألبسة الجزائرية الخارجية وهو يرمز إلى الأصالة والهوية الوطنية.

وحضارته، لأننا ننتسب إلى حضارة عريقة هي الحضارة العربية الإسلامية. ونحن نـــنطلق مـــن كـــل هذه المعطيات في تطبيق الاشتراكية في الجزائر، أما مفهوم الاشتراكية بالنسبة إلينا، فإنه أعتقد بان كل الاشتراكيين في العالم يتفقون على مـــبادئ أساسية وهي القضاء على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، واستغلال الأقلـــية للأكثرية، والفرد للمجموع، والعمل من اجل تطبيق المساواة والعدالة الاجتماعـــية الحقيقـــية، فإذا كان هذا هو فحوى وجوهر وفلسفة الاشتراكية، فنحن اشتراكيين، ولكن اشتراكيتنا لا تبعدنا أبدا عن ماضينا، فنحن شعب عربي مســـلم ومؤمـــن، وســـنذهب بهذا المفهوم إلى أبعد الحدود في مجالات التطبيق الاشتراكي ".

وقد ظلت شخصيته قوية، هادئة متسمة بوعي نضالي عميق، وبإحساس كبير بعظـــيم الأمانـــة الـــتي أوكلت إليه بعد 1965، حيث ظلت روحه تستمد من النضـــال الجمعـــي للـــثورة الجزائرية صفاءها، ومن عذابات الإنسان مواقفها السياسية.

فهـــو لم يـــرو عنه أنه كان يتحين الفرص ليحدث عن مشاركته الفعالة في الحرب التحريرية الوطنية، كما كان يأبى الكلام عن مواقفه الوطنية والإنسانية، بالـــرغم من سمو الأعمال التي قام بها، ومواقفه الثورية التي كان يأخذها مأخذ السهم الذي يشق طريقه نحو هدفه، والذي عبر عنه الأمير عبد القادر بقوله:

وأورد رايات الطعان صحيحة وأصدرها بالرمي تمثال غربال

وقد علل بومدين نفسه أسباب عدم إطلاقه مصطلح "ثورة" على تصحيح 19 جـــوان 1965، بقوله:ط لقد تحملنا مسؤولية 19 يوليو 1965، كما حدث في بلـــدان أخـــرى، لأننا نؤمن بثورة واحدة هي ثورة نوفمبر، ونؤمن بضرورة استمراريتها، ومن هنا كان التعبير الذي استعملناه هو انتفاضة، أو تصحيح 19 جـــوان الثوري لأنه كان فعلا تصحيحا لمسار ثورة أول نوفمبر، ونترك للتاريخ مهمة الحكم من هذا الاختيار".

وقد تنوعت اهتمامات الفقيد هواري بومدين بالقضايا الوطنية، حيث كان يـــولي كل حدث له صلة بالوطن، وبعزته كل مشاعره، وحواسه الفياضة، فمن ذلـــك أن الأحـــداث الرياضية قد كان يتفاعل معها، ويعبر عن حسه الوطني، وخصوصا إذا تعلق الحدث الرياضي بمقابلة الفريق الوطني الجزائري بفريق أجنبي

آخـــر، وتتـــنامى مشـــاعره الوطنية حينما يلعب الفريق الوطني مع أحد الفرق الأوروبـــية وخاصة الفريق الفرنسي، فمن ذلك انه لم يستطع أن يخفي مشاعره الوطنية أثناء المقابلة الرياضية التي جمعت الفريق الوطني الجزائري بالفريق الوطني الفرنســـي خلال ألعاب البحر الأبيض المتوسط عام 1975، إذ أنه انسحب من المنصة:ط على أعصابه، بعد أن ترك الجزائر منهزمة (2-1)، في ذلك الحين سمع الجمهور يهتز إثر الهدف الذي سجله اللاعب بتروني، فعاد بومدين إلى المنصة، وواصـــل مـــتابعة اللقاء وفاز الفريق الوطني بعد هدف منقلاني التاريخي، وهو الهدف الثالث [كما أنه هدف فوز الفريق الوطني].

وأثـــناء حفلـــة تكريمـــية أقامها الرئيس على شرف الفريق الوطني، قال لبـــتروني: أشـــكرك عـــلى الهـــدف، جنبـــتني وجنبت الجزائر سماع النشيد الفرنسي"لامارسييز" في ملعب سميناه 05 جويلية، شكرا يا عمر"

و لم تكن القضايا الوطنية هي وحدها التي تشغل بال الفقيد بومدين، وإنما كانت تشغل تفكيره-وبعمق- كل القضايا التي تثار هنا وهناك، سواء في الوطن العـــربي، أو في العـــالم الإســـلامي، أو في العالم الثالث، حيث كان يولي جميع القضايا الاقتصادية والسياسية تركيزا وتفكيرا عميقين، لن يتوفرا إلا لرجل يحمل رســـالة كونية:ط كان يتمتع ببعد النظر في قمة الصراع السياسي والاقتصادي، كانـــت له طريقته في تفسير كل التطورات التاريخية والسياسية، في العالم على ضوء كل التجارب والمستجدات العالمية، بكل دقتها، وضخامتها، وانعكاساتها، كان شعلة من التفكير المستمر، والمشاركة الفعالة في الحياة السياسية العالمية..... كان يعايش، وبكل دقة، كل التحولات في السوق البترولية، والنقدية في العالم، ويكفـــيه مؤمـــم بترول الجزائر سنة 1971، وانه المنادي بنظام اقتصادي عالمي جديد، قبل أن تقع الأزمة الاقتصادية العالمية، ويكفيه أنه الداعية الأول في العالم نظرة إعلامية دولية جديدة ...كان عندما يجتمع مع جيراننا من الرؤساء يتكلم ورأسه مرفوع، متحديا الكل، وفارضا شخصيته على الجميع، لا أحد يستطيع أن يناقضه الرأي..لأنه يقول نحن شعب ثوري، ولا يرضى بالحلول المخذلة، ولا يقبل لأن يذل، أو يستغل ".

و لقد عرفت الجزائر في عهده أحداثا سواء ما كان منها على الصعيد العربي أو مـــا كان منها على مستوى دول عدم الانحياز، والعالم الثالث بصورة عامة.

فمـــن ذلـــك أن الجزائر احتضنت في عام 1969 المهرجان الثقافي الأول، كما احتضنت في عام 1973 القمة الثالثة لحركة عدم الانحياز، وحظي الفقيد بومدين بشرف رئاسة المؤتمر، وأعلنت الجزائر على لسانه من أعلى منبر الأمم المتحدة في عام 1974 عن ضرورة احترام الدول الكبرى لسيادة دول العالم الثالث، وحرية شـــعوبها في التصـــرف بحرية في ثروات بلدانها، كما دعا إلى وجوب قيام نظام اقتصـــادي عالمي، يعيد بناء العلاقة بين العالم الصناعي والعالم النامي. وترأس في عام 1975 مؤتمرا نظمته البلدان المصدرة للبترول(أوبيب).

لقـــد ذاع صيت الجزائر في عهده ذيوعا واسعا، وأصبحت عاصمتها مزارا لكـــل الـــثوار وقادة الحركات التحررية عبر العالم، كما بدأن تظهر من خلال خطبه العميقة ملامح الصراع بين الدول المستقلة حديثا، وبين الاستعمار الجديد الـــذي يعـــد الجلـــد الثاني للاستعمار التقليدي. كما أنجزت كذلك في عهده مـــنجزات وطنية اقتصادية وثقافية ستظل رمزا لروحه الوطنية، وغيرته على بني شعبه.

وقـــد اعتبر يوم رحيله بمثابة النجم الذي هوى، فاكفهرت آنذاك الوجوه، ووجمـــت، وذرفت العيون الدمع المدرار، وتنفست الصدور الزفرات، ونكبت الحـــرية في قائد شجاع تهاب نظرته الصقور، وتخفض له السادات هاماتها، وإذا تحدث أصغت له السباع السماع.

كـــان بومديـــن حقـــيقة (مخربا) للفساد، والظلم، والاستغلال، وأشكال الاســـتعباد والـــتواكل والكسل. كما كانت أفكاره تصدر عن قلب لا يعرف التردد إليه منفذا، ولذلك فقد كان له موقف جلي، ثاقب من كل الأحداث التي شـــهدتها مرحلته (65-78)، ويتضح ذلك من خلال التحليل التالي لمواقفه من الأحداث العالمية الكبرى التي حفر فيها بصماته بكل صلابة وشجاعة.

القضايا العربية في خطابات هواري بومدين :

شـــهدت المـــرحلة التي تولى خلالها الفقيد هواري بومدين قيادة الجزائر أحداثا جسيمة، سواء على المستوى العربي، أو على مستوى العالم الثالث الذي يعـــد مـــن أبرز الموضوعات التي شغلت بال الفقيد، وصرف من أجلها أوقاتا عصيبة وكثيرة.

فعلى مستوى العالم العربي، عرفت شعوبه حربين تعدان أضخم المواجهات المباشرة التقت فيها القوات العربية المسلحة مع قوات حلفائه الطبيعيين، مثل القوات الأمريكية وبعض الدول الغربية .كما شهدت منطقة المغرب العربي في عام 1975 توترا آخر، وذلك ببروز قضية الصحراء الغربية، وتعنت مواقف المغرب وموريتانيا، كما شهدت هذه السنة كذلك اندلاع الحرب الطائفية في لبنان، وهي حرب كادت أن تأتي على اليابس والأخضر. يضاف إلى هذه الأحداث، الحدث الذي كان يعتبره حدثا وطنيا، ويتمثل في مصير الثورة الفلسطينية، وكذلك مصير الشعب الفلسطيني حيث تقاذفته في ذلك الوقت أمواج عاتية، ومما ضاعف في مأساته المواقف المتباينة والمتخاذلة، التي صدرت آنذاك من بعض القيادات العربية والفلسطينية على حد سواء . فكيف كانت مواقف الفقيد هواري بومدين من كل هذه الأحداث الجسام؟

أ/ شريبط أحمد

ملاحق

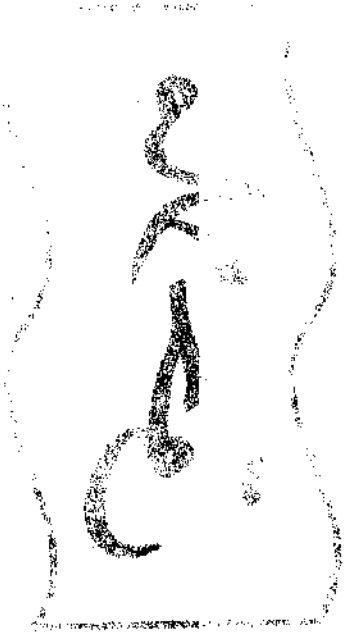

من خطب الرئيس

الكلمة التذكارية للرئيس بومدين
بمناسبة وضع الحجر الأساسي للثانوية بلكين التعليم الأصلي بالعاصمة الجزائرية

من بين الإنجازات التي نختتم بها هذا العام إنجاز نفخر اليوم بوضع حجره التذكاري ليكون دعامة لثورتنا الثقافية، وضمانا من ضمانات المقومات الأساسية لشخصيتنا العربية الإسلامية، وأساسا روحيا لبنائنا الاشتراكي.

وإن اهتمامنا بأمثال هذه الإنجازات يعبر عن إيماننا بأن أمة تكتفي بالبناء المادي دون الاهتمام بالجانب الفكري والروحي، هي أمة بدون شخصية أو كيان.

وفقكم الله وسدد خطاكم.

أنظر مجلة الأصالة عدد 11 سنة 1392/1972 ص2

دور الجامعة

ولقد قلت في مرة سابقة بأن جامعتنا ليست منسجمة مع المحيط الذي توجد فيه، وبأنها تعيش معزولة داخل أسوار يجب تحطيمها تحقيقا لتفتح الجامعة على ما حولها.

والمطلوب الآن هو أن نوفق بين الالتزامات العلمية للجامعة، وبين مشاركتها الفعلية في المنجزات الوطنية.

فمثلا نجد أن ظاهرة التطوع بكل ما لها من دلالات سياسية عميقة هي أحد الأساليب التي يمكن بها للجامعة أن تحقق تلاحمها مع الجماهير الكادحة حيث أن التوفيق بين الالتزام العلمي للجامعة ومشاركتها في المنجزات الوطنية يجد تعبيره في مشاركة الطلاب الذين يدرسون المعمارية مشاركة عملية في بناء

القـــرى النموذجية، وهكذا يطبقون العلم على العمل ويستمدون من ممارستهم العملية الأساليب العلمية والفنية التي تتجاوب وطبيعة أرضنا وبلادنا.

المدرسة الأساسية

أما مشكل الأطفال الذين يطردون بعد الدراسة الابتدائية بسبب تجاوز الســـن القانونية، فإننا- وفي إطار تحضير المخطط القادم، بصدد دراسة توسيع قـــاعدة التعلـــيم وخلـــق ما يسمى بمدرسة أساسية تمتد فيها الدراسة التي تسع سنوات لكل أطفال الجزائر بدلا من ست سنوات ولعنا بذلك نتمكن من إلغاء حاجز السنة السادسة، ونجمع بين الابتدائي والثانوي حتى لا يوجد أطفال على هامش المدرسة بعد التعليم الابتدائي.

تعليم المرأة

لقد شجعنا المرأة على التعليم، وكنا في كل زياراتنا لجميع جهات البلاد ننادي دائما بتعليم البنت، وأن يكون لها نفس حظ أخيها، وأعتقد أن المدارس الجزائرية اليوم تحتوي على أعداد هائلة من الفتيات الجزائريات، لقد فتحنا أبواب الجامعـــات أمام الفتيات، وشجعنا البنت الجزائرية على مواصلة تعليمها العالي، وكـــان ذلك ضد إرادة المتزمتين في بعض الأحيان، وهكذا نرى جامعاتنا اليوم تضم بين صفوفها أعدادا هائلة من الفتيات الجزائريات.

08 ماي 1945

أيها الإخوة،

إن هـــذا الحفل الرمزي الذي يقام في هذا اليوم يكتسي أكثر من دلالة فهو أولا يعيد إلى الأذهان ذكرى أليمة في تاريخ الشعب الجزائري ذكرى الثامن ماي، ولعل كل الحاضرين هنا ينتمون إلى الجيل الذي عاش تلك الأيام القاسية المؤلمة التي أصبحت تعرب بـــ (حوادث 8 ماي 1945) والتي يمكن تسميتها على وجه الدقة بثورة 8 ماي لأن ما أطلق عليه (حوادث 8 ماي) كان عبارة عن محاولة ثورية قام بها الشعب الجزائري في بعض جهات الوطن مدفوعا طبعا من طرف عناصر طلائعية.

كتاب التاريخ الثورة

فكـــتابة التاريخ الحديث مهمة عاجلة حتى لا يزيف إذ أن الذين عاشوا هـــذا الـــتاريخ هم اليوم في طريق الانقراض(فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينـــتظر) ومع كل عام يمر تفقد جزءا من هذا التاريخ الحي وأننا إذ نلوح على كتابة هذا التاريخ فلأننا نريد تسجيل التاريخ الحقيقي للثورة في المرحلة المسلحة تسجيلا غير متأثر بالأهواء.

لقد شاهدنا حركات حاولت كتابة التاريخ حسب أهواء الحكم القائم فكانت النتيجة أن أعيدت كتابته مرات ومرات.

لكـــن تـــاريخ الجزائر الذي سطرته دماء الشهداء نريده أن يكتب على حقـــيقة نـــريده أن يكون تاريخ شعب لا تاريخ أفراد نريده أن يكون تمجيدا للشـــهداء لا للأحياء نريده أن يبقى صورة ناطقة ومشرقة على مدى الدهر لهذا الجيل العظيم الذي اضطلع بثورة نوفمبر الخالدة هذا الجيل الذي لن يجود التاريخ بمثله فهو جيل عاش الاستعمار بكل أهواله وأشنع صورة ورفع السلاح من أجل أن يـــتقدم لشـــرف الوطـــن وكرامة الشعب ومن أجل أن يظهروا أرضه من الدخلاء الذين لم يتكلموا في يوم من الأيام لغتنا ولاعاشوا يوما واحدا عبر قرن وأكثر من ربع قرن عيشتنا وأن جيل 1954 إذ قرر أن يرفع السلاح فقد قبل

مقدما بأن يدفع الثمن لأن هزائم الحركات والثورات الوطنية التي عرفتها الجزائر من 1830 إلى 1945 كانت لها دروسا قاسية لثوار نوفمبر ثم أن هذا الجيل لم يكافح فقط الاستعمار ولكن كان له شرف انتزاع النصر وهنا يكمن الفرق بيننا وبين الأجداد لقد كافح الأجداد وانهزموا لماذا ؟ هذا سؤال يتعين على المؤرخين الجزائريين أن يجيبوا عنه وقد يكون من عوامل تلك الهزائم هو أن الكفاح كان محدودا فحتى المحاولة التي قام بها الأمير عبد القادر بقيت محاولة محدودو و لم تشمل كل الوطن بالإضافة إلى ما كان هناك من مشاكل وخلافات داخلية وقد يكون من بين تلك العوامل أن الظروف التي قامت فيها الثورات السابقة لم تكن مناسبة فقد كانت مرحلة المد الاستعماري عبر العالم في أشدها ومهما تكن أسباب ذلك الفشل فالمهم هو أن هو أن الفرق بين جيل نوفمبر 1954 وبين الأجيال السابقة يكمن في أن هذا الجيل كافح وانتصر انتصارا باهرا وهو نفس الجيل الذي يساهم اليوم في بناء الجزائر الجديدة ويستطيع أن يفتخر بأنه هو الذي وضع أسس الدولة الجزائرية الحديثة وأرسى قواعد المجتمع الجديد وحقق التحرر الاقتصادي.

أن جيلا هذه خصائصه يحق له أن يترك رسالة لأجيال المستقبل حتى تعرف حقيقة ثورة نوفمبر المسلحة وحتى لا تتصور بأن حرب 1954 - 1962 كانت نزهة أو مغامرة شيقة مثل المغامرات والحروب التي يتابعها أطفالنا اليوم بنوع من التلذذ عبر شاشة التلفزيون والسينما .

أن الحرب لم تكن بالنسبة للجزائريين نزهة أبدا بل كانت حربا قاسية لم يقوا على مواجهتها حتى النهاية إلا أولئك الذين كان إيمانهم راسخا رسوخ الجبال.

فقد أبيد الرجال وخربت البلاد وهدمت المداشر و لم تبق هناك حياة في الأرياف، كانت البلاد تعيش في سياج من حديد محاصرة من الشمال ومن الشرق ومن الغرب ومن الجنوب و لم تكن لدينا قواعد خلفية أن بلدان كان علينا أن نستند إليها ونجعل منها القواعد الخلفية لثورتنا حتى أن البعض كان يتساءل متى نصر الله.

وعلى الرغم من كل ذلك كان انتصارنا ساحقا ولنا اليوم أن نتساءل من يعرف هذا التاريخ ؟

قد يعرف كل واحد منا جزءا من تاريخ الثورة وهذا راجع إلى أن تنظيم ثورتنا كان يختلف عن كل تنظيم آخر نظرا لعدة عوامل أذكر من بينها العامل الجغرافي والعامل التنظيمي، فنظرا لهذه العوامل، وللصعوبات المتعددة التي كانت تواجهها الثورة في مختلف الميادين لم يتأت لكل منا تكوين فكرة شاملة ومفصلة عن أطوار الثورة، أما الفكرة العامة فكانت بالطبع معروفة لدى العام والخاص، لكن من الخطأ القول بأن الناس يعرفون تاريخ الثورة الجزائرية في مرحلتها المسلحة، بل أستطيع أن أؤكد بأن عددا قليلا فقط من القادة هم على إطلاع واسع بهذا التاريخ لكن ذلك غير كاف، لهذا كان لزاما علينا أن نجمع كل ما له علاقة بالثورة المسلحة، ولكي تكون الصورة كاملة عن تاريخ حرب التحرير لابد من مساهمة الجميع في جمع الوثائق الكثيرة والمتعددة التي لازالت في حوزة الأشخاص، وأنا أشعر بمدى اعتزاز المجاهدين والمناضلين بما في حوزتهم من وثائق تمثل جزءا عزيزا من حياتهم ومن تاريخهم لكن علينا أن ننسى بأن هذه الوثائق ليست ملكا خاصا لأحد مثلما كانت الثورة ولا تزال ليست ملكا لأحد، فهذه الوثائق ملك للشعب الجزائري ولتاريخه ويتعين أن تجمع كلها أينما وجدت كانت وقد يكون في أمكان الذين يرغبون في التشبث بما لديهم من وثائق أن يحتفظا بنسخ طبق الأصل منها.

إذن لابد من جمع هذه الوثائق مهما كان نوعها لأننا سنفرض شروطا على استعمالها حتى لا تكون عرضة للاستغلال من طرف بعض الانتهازيين أو من لا ضمير لهم أو من طرف أولئك الذين مروا بالثورة مرور الكرام ونحن إذ نؤكد على ضرورة جمع الوثائق بقطع النظر عن نوعيتها وعن علاقتهما بتاريخ الأشخاص أو الحوادث فلان التاريخ الذي نريد أن نكتبه سيكون تاريخ الثورة الجزائرية أي تاريخ هذا الجهد الجماعي الذي يتشخص في هذا الجزء الطلائعي من شعبنا الذي أخذ على عاتقه عبء تحرير الوطن وتطهير البلاد من المستعمر.

الجهود المبذولة في ميدان التربية والتعليم

والحقيقة أن ما نسعى إليه من خلال هذه الأعمال إنما هو إجراء تغيير عميق في المجتمع من أجل توفير كل فرص الازدهار والرقي للإنسان وهي عملية اقتضت منح الأولوية لجعل المواطن الجزائري يؤمن إيمانا عميقا بشخصيته الوطنية وبقدرته علي استرجاع ثقافته ولغته وبعبارة مختصرة أن يسترد اصالته المستمدة من أعماق قيمه الراسخة، لقد قمنا بذلك، ونحن نعلم أنه عمل طويل المدى، لن ينسينا ضرورة مواصلة التفتح علي العالم الخارجي الذي يتوفر الآن، بحكم التطور التاريخي المعاصر على جزء هام من التراث الثقافي للإنسانية، وبخاصة المعرفة العلمية والتقنية.

إن الجهد الذي بذلناه لاستعادة شخصيتنا الوطنية، يتمثل في هذا التقدم الهائل الذي أنجزناه في ميدان التعليم، حيث نشهد اليوم هذه الشبكة الواسعة من المدارس والمعاهد ا التي تمتد إلي أقصي أرجاء البلاد، بعد أن كانت، غداة استرجاع الاستقلال، تخيم عليها الأمية، وكان العلم فيها خطوة وامتيازا.

إن مدارسنا تأوي اليوم ثلاثة ملايين ونصف مليون من الأطفال، كما تضم جامعتنا ما يربو علي سبعين ألف طالب فهل ينبغي التذكير بعد هذا بمجرد المقارنة، بأن عدد الأطفال الذين كانوا، غداة الاستقلال، يتلقون التعليم لم يكن يبلغ مائتي ألف(200.000)، وعدد الطلبة كان أقل من ألف (1000).

لقد أصبح كل طفل ولد في ظل الحرية متمتعا بإمكانية التعلم، ويستطيع غدا أن يواصل دراسته العليا، مهما كان الوضع الاجتماعي لأولياء أمره. أضف إلى ذلك، ما عرفته مؤخرا ديمقراطية التعليم من انطلاقة جديدة بفضل القرار الخاص بإنشاء المدرسة الأساسية لمدة تسع سنوات.

وإدراكا لضروريات العصر، ومقتضيات التنمية الاقتصادية، انصب جهدنا في مجال التعليم، على الاهتمام الدائم بتوسيع إمكانيات اكتساب المعرفة العلمية والتقنية. وقد حرصنا، إلى أقصى حد، على إعداد الرجال، سواء في

المجـــال المهـــني والتقني، أو على صعيد التعليم العالي، ليضطلعوا بدورهم المقبل كمنتجين .

يـــبدوا أن الـــثورة الثقافـــية لا تتمثل فقط في الانتشار الواسع للتعليم وامـــتداده إلى مختلف المستويات، بل كذلك تكافح الآفات الاجتماعية، وتسهر العقـــول الـــثورية، وتعني بخلق محيط إنساني متجانس، كفيل باستعمال الثورة الصناعية والزراعية ودفع عجلتيهما إلى الأمام.

وهكـــذا نشـــهد مـــيلاد الإنســـان الجديد، وتخرج دفعات متتالية من الإطـــارات، التي تفتقر إليها البلاد اليوم وغدا، للنهوض بأعباء المجتمع الجديد في مختلف قطاعات الحياة الوطنية.

كمـــا تم بـــذل جهـــود جبارة لتجهيز جميع مناطق البلاد، وفي سائر القطاعـــات ولئن كرسنا، في المراحل الأولى، الجزء الرئيسي من مصادرنا لوضع جهـــاز إنـــتاجي متين، ولتحقيق ديمقراطية التعليم والتكوين التقني، فإننا سجلنا بفضـــل نشـــاطنا المـــتزايد باســـتمرار، تقدمـــا ملموسا في تشييد الاقتصادي والاجـــتماعي والإداري وهـــاهي بواكـــر التحولات الكبرى، وعملية تحديث القطاعـــات المكملة للتنمية الاقتصادية بادية اليوم للعيان، والكل يعلم مدى ما يبذل من جهد في مجال تجهيز القطاعات الاجتماعية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تتكامل مع جامعات الوطن

إذا كنا الليلة نحتفل ونبتهج في هذا الحرم العريق والجديد في نفس الوقت بما أصبغ عليه من حلة قشيبة استرجعت له بهاءه ورونقه وإذا كنا لا نزال لله والحمد لله معاهد الزيتونة والقرويين والأزهر، وإذا كنا لا نفتا نزهو بمجرد تقوى الجامع الأموي وغيره من المعاقل الروحية في أنحاء العالم الاسلامي ولئن كنا قد استرجعنا جامع كتشاوة وغيره من حصون الإسلام في الجزائر ، وأعدنا لها قوتها وازدهارها بل وجددنا نشاطها وعززناها بمعاهد جديدة أصيلة حديثة نحن بصدد تتويجها بنواة جامعة إسلامية تامة تتكامل والجامعات الثلاثة الأخرى التي هي نفسها بصدد التعريب الشامل وتجمع من جديد ما انتشر ، وتحي من تراثنا ما أندثر في تيهرت وبجاية وتلمسان وقسنطينة والقلعة ووهران.

من كلمة الرئيس هواري بومدين التي ألقاها في جامع القرويين ليلة المولد النبوي الشريف عام 1392 هـ/1972 م أنظر مجلة الأصالة العدد 7 السنة الثانية 1392 هـ/1972م ، ص:3 .

التعريب

كان الاستعمار يهدف إلى مسخ شخصيتنا الوطنية عن طريق تحطيم لغتنا ويتمكن من السيطرة إلى الأبد على بلادنا بكل ما تمثله من موارد وإمكانيات.

ولقد سارت عملية التعريب في الجزائر بعد استرجاعها للاستقلال سيرا حصينا إذ لأخذنا في الاعتبار الصعوبة الأساسية وهي تكوين المعلم الذي يحتاج إلى سنوات كثيرة كما حدث عندكم.

لقد تم اليوم تعريب الكثير من صور الحياة بجانب تعريب الدراسة الابتدائية وإنشاء الفروع المعربة في الجامعة وستستمر هذه العملية على اللغة الوطنية هي ضمان للشخصية الوطنية فالفرنسي والصيني والياباني يعتز كل منهم بلغته ويمارس من خلالها حياته اليومية والمسألة هي مسألة إدراك لنيل الهدف وتصميم على بلوغه.

الثورة الثقافية

ولاشك أن الثورة الزراعية والثورة الصناعية تمهدان كلتاهما لثورة ثقافية حقيقية .

على أننا قد شرعنا في تطبيق بعض المبادئ التي تعتمد عليها الثورة الثقافية مثل احلال اللغة القومية المكانة الائقة بها ، ومثل تعميم التعليم بين جميع أبناء البلاد والدفاع عن المقومات الوطنية ، لكن هذه الخطوات لا تمثل إلا بعض جوانب هذه الثورة ، أما الثورة الثقافية الحقة فسوف تكون أعمق من ذلك وأبعد مدى.

ويوم ننتهي من تطبيق الثورة الثقافية نستطيع أن نقول حينئذ هذا هو المجتمع الجديد للثورة الاشتراكية ، ومثل هذا المجتمع الجديد للثورة الاشتراكية ، ومثل هذا المجتمع لم يتشكل بعد كما تعلمون ، فما تزال هناك فوارق وتبعية ثقافية وما يزال هناك استعمار ثقافي وغير ذلك من المشاكل التي لم يخل الوقت بعد للحديث عنها .

فالمهم اليوم هو أن نضمن لنجاح الثورة الزراعية والثورة الصناعية حتى نضمن النجاح لتحقيق هذه الثورة الثالثة التي هي الثورة الثقافية.

تعريب الأجهزة الإدارية

أيها الاخوة ،

بعد أكثر من 11 سنة على استرجاع الاستقلال ليس من حقنا أن نتهاون في موضوع التعريب لأنه موضوع هام وحيوي ، وعلى هذه المدرسة أن تلعب دورا حاسما بالنسبة لتعريب الأجهزة الإدارية وأن تخوض عملية التعريب بكيفية علمية متقنة حتى تحتل اللغة القومية مكانتها اللائقة بها.

على هذه المدرسة أن تكون مخبرا كبيرا يساهم في تطوير اللغة العربية وإثرائها لتتبوأ مكانتها في مصاف كل اللغات الحية.

بناء جامعة جزائرية

إن الجامعة الجزائرية لازالت لم تستكمل بناءها بعد لأنه لم يكن لدينا جامعة جزائرية قبل الاستقلال بل كانت هناك جامعة صغيرة خاصة بأبناء

LA FORMATION ET L'EDUCATION

« La formation et l'éducation de l'homme sont une œuvre de longue haleine et difficile . De plus en Algerie . Elle est différente de ce qu'elle est dans d'autres pays . Le peuple algerien a mené une révolution en même temps nationale et sociale . C'est pourquoi depuis 1954 , nous nous sommes assigné des objectifs fondamentaux et avons établi des priorités :

1- Libération politique.
2- Libération économique.
3- Prise de décisions grâce auxquelles s'est opérée une véritable transformation sociale. »

أشعار قيلت في الرئيس

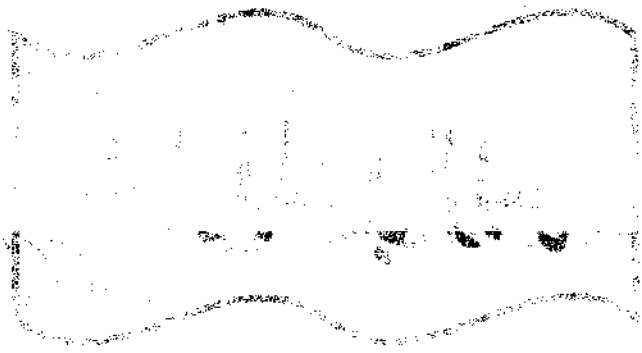

إلى الفقيد العظيم.....عرفانا بالجميل
الدكتور طنطاوي مزار

يا هاتف الشعر، رفقا، إن ميمنـــتي ... صرخت من القلب اظلاما وابكاء
وموكب النور تغرينا بسالتـــــه ... قد لف غاياتنا علياء شمـــــاء
علم العروبة مخفوض على رحـــم ... من قد يودع؟ تأمينـــــا وادواء
أنت الكثير علينا أن نفارقـــــه ... والرفض للظلم قد طبقت اجـــواء
ولو اصحنا حدادا، صاح طائرنـــا ... بروحك الروح، في اللـــواء لاواء
ومشعل النصر، والتسيير، صانعـــه ... بك اقتدى عملا، أملا، وانبـــاء
أسطورة البذل: نوحي، ولولى أسفـــا ... وشققي الجيب: ضراء وبأســـاء
هلع يحيط بنا، في مرأ بحـــــره ... عصفت عواتي العنا، موتا واضنـــاء
هي سطري للورى: من موت ناصرنا ... وفقد بومدين محنـــــا وارزاء
توحد العرب آلاما: مغارمهـــم ... صنو المشارق قد عانته أنـــــاء

جريدة النصر: 09 جانفي 1979 ص9،

الفارس الذي رحل
الشاعر: جروة علاوة وهبي

تبكيك أم نبكي أنفسنـــا
وهل يجدي البكـــاء
أن الدمع لا يطفئ حرقة ولا يزين أحزاننا
نعزيك أم نعزي أنفسنا فيـــك
وأنت الذي كنت عزاء كل المستضعفين
يا أبا الفلاحين والعمال والمثقفين
يا من علمتنا حب الأرض والوطـــــن
أيها النجم المتألق دوما في الأفـــق
أنت لم تمت لأنك قهرت الظلم والفقر والاستقلال والاستعمار
ومن يقهر هذه الامور لا يموت
أنت حي في قلوب كل أحرار العالم
وخالد تفكير كل أبناء الأمة العربية من محيطها إلى خليجها
ان كل انتصار تحققها حركات التحرر هو انتصارك أنت
وكل علم يرفع في وجه الأعداء، يدك هي التي ترفعه
فأنت باعث النهضة ومحرض الثورات في افريقيا والثوار
لايموتون
نبكيك أم نبكي أنفسنا

---

01 صفر، 01 جانفي1979 ، ص:2.

أبكي الشموخ الخالد

الشاعر : محمد بن رقطان

الجمعة 29 / 12 /1978م

نعى المذيع الزعيم الفذ في وطني ... فأطرق الكون إجلالا وعرفانا
رفقا إلهي فهذا الخطب زلزلنا ... وكان فوق الذي ندعوه طوفانا
فكيف نرضى به وكيف نحمله ... وكان كارثة كبرى وبركانا
الله أكبر ياشعبي وياوطني ... مات الزعيم الذي نهوى...ويهوانا
مات الذي شغل الدنيا وألهمها ... سر المواقف إصرارا وإيمانا
مات الذي لم تزل ذكراه شامخة ... في كل شبر منارات وأركانا
لا لم يمت من تسامى في مبادئه ... روحا وفكرا فأضحى سر دنيانا
مازال يهتف حيا في عواطفنا ... خذوا الرسالة وامضوا اليوم إخوانا
مازال بومدين العملاق ملحمة ... تروي معاركنا سرا وإعلانا
مازال عهدا أكيدا في ضمائرنا ... مازال صوتا شجيا في حنايانا

صرخة أسى

اشاعر : شرقي عمار

أسفي على الشعب الأبي تمزقت ... أكباده يوم الفراق وزلزل زلزالا
لهفي على البطل العظيم تكالبت ... عنه المنايا وقاتلته قتالا
يا قائدا ضم التراب رفاته ... هلا سمعت أنيننا المتعالا
هل سمعت حناجرا مشلولة ... هلا شهدت مآتما ورجالا
تبكي الفقيد بحسرة وتلوع ... لما وفاها حاسم الأجالا
فترى الجموع وقد تزاحم فيضها ... فكأنما من وجدها أطلالا
يا أمة العرب العريقة في الوفاء ... مات الزعيم فهل لديك رجالا
فهو الذي رفع البلاد عظيمة ... هو الذي دحر الظلام فزالا
وهو الذي ربى النفوس قويمة ... فتفتحت منها العقول تلالا
وهو الذي ملأ البلاد مصانعا ... ومعاملا ومفاخرا وعدالا

إلى روح الفقيد العظيم هواري بومدين
إنك لم تمت
الشاعر توفيق سالمي

من قال مت كذوب جاء يخدعنا ... يبغي انفصاما ، جاء يثنينا
من قال مت؟ وأنت لا تفارقنا ... كيف وأنت تعيش في مآقينا
مامت أنت .. ولكن رحت تسبقنا ... في جنة الخلد .. كي فيها تلاقينا
كي تزرع الورد في درب سيجمعنا ... كي تنزع الشوك من درب سيحوينا
كما عهدناك .. هاقد رحت تسبقنا ... تلقى السرور.. وفردا رحت تحمينا
كيف تموت.. وذكراك تهدهدنا ... من كل فج تطل علينا تناغينا
وتمنع الكرب إن كربا سيدهمنا ... وتمسح الدمع إن دمعا سيعمينا
كيف تموت..وهذي الأرض ما فتئت ... خضراء ، مما منحت الأرض تعطينا
كيف تموت وأنت في جوانحنا ... نبت وورد وأزهار ونسرينا
مت.. يقولون مت..ويحهم خسئوا ... كيف يموت وقد خلى الملايينا

الجزائر 1979

الشاعرة العربية فاطمة مها غريب

جزائر ياحبيبة امهلينا ... نكاد نكذب لنا اليقينا
صباح أسود القسمات يسري ... فيقود في الورى الهم الدفينا
لمن حم القضاء فأي رزء ... به يا قلعة المجد ابتلينا ؟
تغزوك المنايا من جديد ... وقد شبعت من الشهداء سنينا؟
تحين بالجراح اليوم قلبي ... فكيف أضمد الجرح الثخينا؟
جزائر ما تعودنا بكاء ... على الشهداء منك ، فسمحينا
لمن نبك الرئيس فنحن نبكي ... به الألاف من مستشهدينا
فيا أرض البطولة والعوالي ... ذرينا نلتمس عذرا ، ذرينا
سنمسح بالعبارات بحرا ... غضوبا، واعذري الضعف اعذرينا
فكل شهادة في جانبيها ... خواطر من أخينا أو أبينا
وجيع قلبنا يلقى الايامى ... ينحن مع الصباح وقدرمينا
وجميع قلبنا يلقاك ثكلى ... تلمين الجراح وتحزنينا

يفـــارقك العزيز بلا خـــيار ... ويهجرك الحبيـــب [illegible]
فآه يـــاجـــزائر من مصـــاب ... تخطف منـــك حارسك الأمينا
مربـــع أن يدعـــــوك المفدى ... ابومدين ، عميـــد الثـــائرين
تنكأت الجراح فكيـــــف يرجى ... شفـــاء للجراح إذا دمينا
جزائر يـــا صمود ويـــانصـــد ... ثبت ، فكيف نثبت ، علمينا
أحلت مواكب شهداء عرســـا ... فكنت لامة العرب العرينا
سموت على الخطوب فكنت طودا ... تعالى أن يزك ويستكينـــا
وصفت المجد لا يثنيـــك موت ... يفيض على التراب دما سخينا
فمـــا عرف الورى شعبـــا أبيـــا ... كشعبك في كفـــاح المعتدينـــا
ولا عرف الورى شعبا جرينـــا ... هزوءا بالمنايـــا مستهينـــا
كشعبك يـــا جـــزائر فأشر لي ... وســـامي بالجهـــاد العالمينـــا
كتمت السهم في كبد طعيـــن ... فكنت النجم يهدي الحـــائرين
ومن شهدائـــك الأبرار ضائـــت ... شموس الحق ليل التـــائهينا
فكوني حيث أنت هدى ونورا ... ومعقـــل ثورة للصامدينـــا

سنا الثورات يلمع من حجابكم
الشاعر أحمد الغوالمي

نعى الناعي أبا الشعب احتضارا ... فقلنا: الموت يختار الخيارا
ألم بقطرنا رزء وجيع ... فمنه النفس تنفطر انفطارا
تلبدت الغيوم على حمانا ... وأسدل شخصكم عنا الستارا
وأهرعت الحواضر والبوادي ... تشيع كوكبا عنا استدارا
فإن مدامعي فاضت غزارا ... على من عمم النعم الغزارا
أرى النسوان صرعى أو حيارى ... من اللطمات نزعن الخمارا
على وجناتهن دم صبيب ... على الأردن ينحدر انحدارا
أرى الشبان قد هاجوا وماجوا ... وقد فقدوا العزاء المستطارا
وكلهمو هو تقبيل نعش ... وتحميلا له حتى يوارى
فأنت تغار عنهم في حياة ... ويوم الموت أجدر أن تغارا
أرى عبرات شيب في انسكاب ... وقد نبذوا التصبر والوقارا
وكل الوافدين من البرايا ... أسالوا الدمع وأدكروا أدكارا
أرى صحبا بكوا عنهم وناحوا ... وكانوا كلهم صحبا خيارا
فكل مناضل منهم نصير ... وردء مثلكم يحمي الذمارا
ففي (تشرين) نادوا في صفاء ... ولي المستشير المستشارا
وصافي عبقري عبقريا ... وحامي المستجير المستجارا
تلاحم قائد بحمى مقود ... سما روحا ونبلا واصطبارا
أبا الفقراء والأيتام منهم ... دموع عنك تنهمر انهمارا
أبا البؤساء والأحداث سود ... كبود عنك تعتصر اعتصارا
أبا الوطن المفدي بالغوالي ... وبالقاني رفعت له المنارا
لقد خضت الغمار بصفو قلب ... فحقق صفوكم هذا الغمارا
لقد أممت بترولا ثمينا ... بثاقب فكر كم زاد انفجارا
تفجر من رمال في الصحاري ... به الآبار تنسجر انسجارا
بذرت بذور خيرات كثار ... شأت في السبق خيرات كثارا
غرست الوعي في الفلاح ربحا ... فلن يخشى الكساد ولا البوار

محضـــت النصح للعمال نورا ... وتحريرا وعمق واختيـــــارا
بثثت العلم بالأرياف كانـــت ... إلى التعليم ضامئـــــة حرارا
زرعت على الجزائر كل عدل ... فأثمر زرعكم هذي الثمـــارا
نشرت الضاد والإسلام فيهـــا ... كل الأصلين قد زاد انتشارا
أرى عملا دؤوبا لا يجـــــارى ... فلا ليـــــلا يمـــل ولا نهارا
ثوري في الرغـــام وما ثورات ... له شـــــمس المآثر إذ توارى
مواقفه على الدنيا بـــــــواق ... خوالـــد لن تبيد ولن تبارى
سنا الثورات يلمع من حجاكم ... ومن حب لكم غمر الديارا
عرا بغدادي طهراني انفصـــــام ... فأبعدت الفصيمة والنفـــارا

جريدة النصر: 15 جانفي 1979 ص12.

نشاط الرئيس بالصور

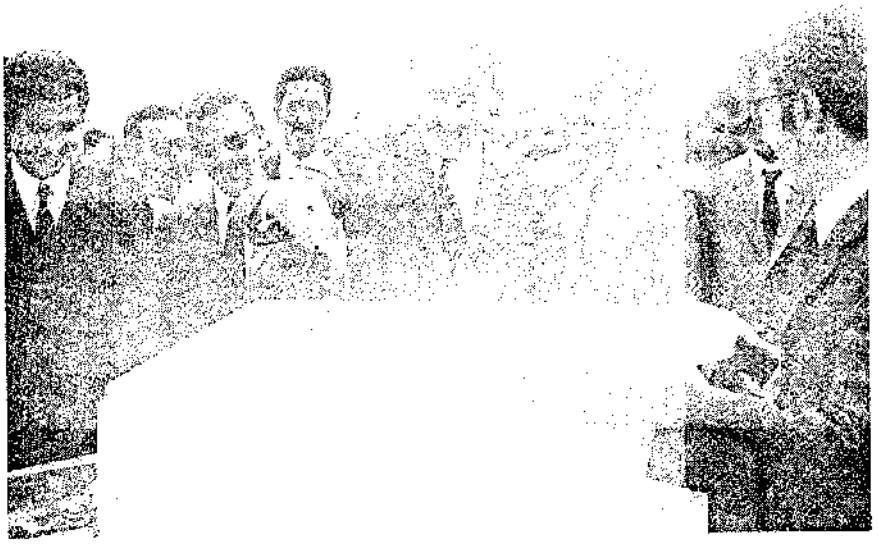

الرئيس هواري بومدين يضع حجر الأساس لبناء الجامعة والجامع

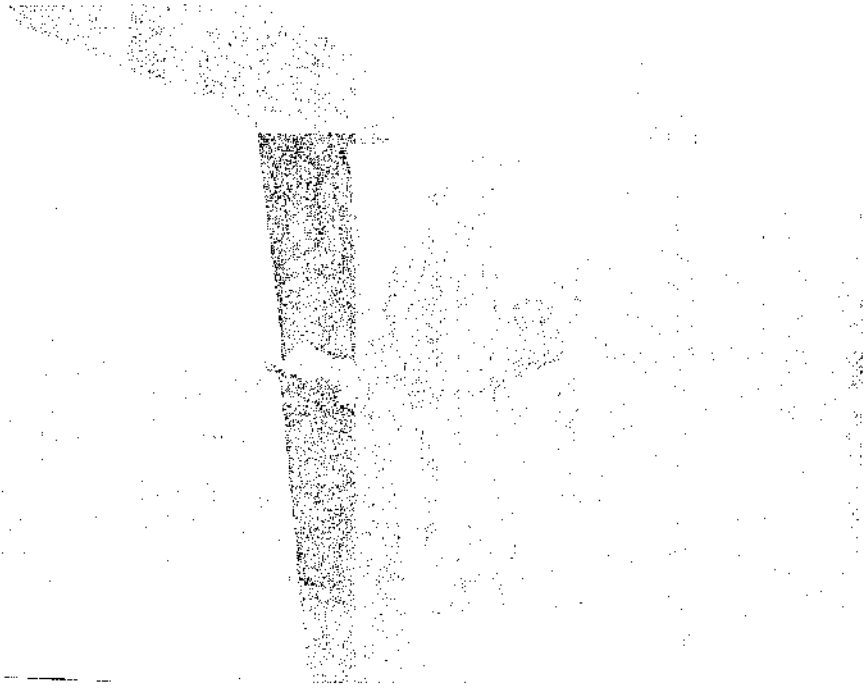

الشكل الذاكري لانطلاق أشغال البناء

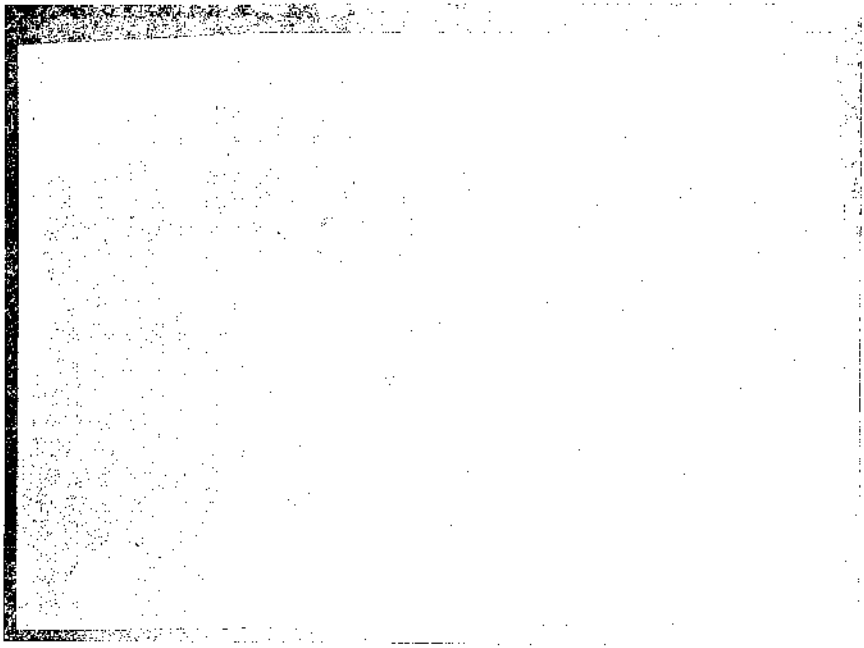

مخطط عام للجامع وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

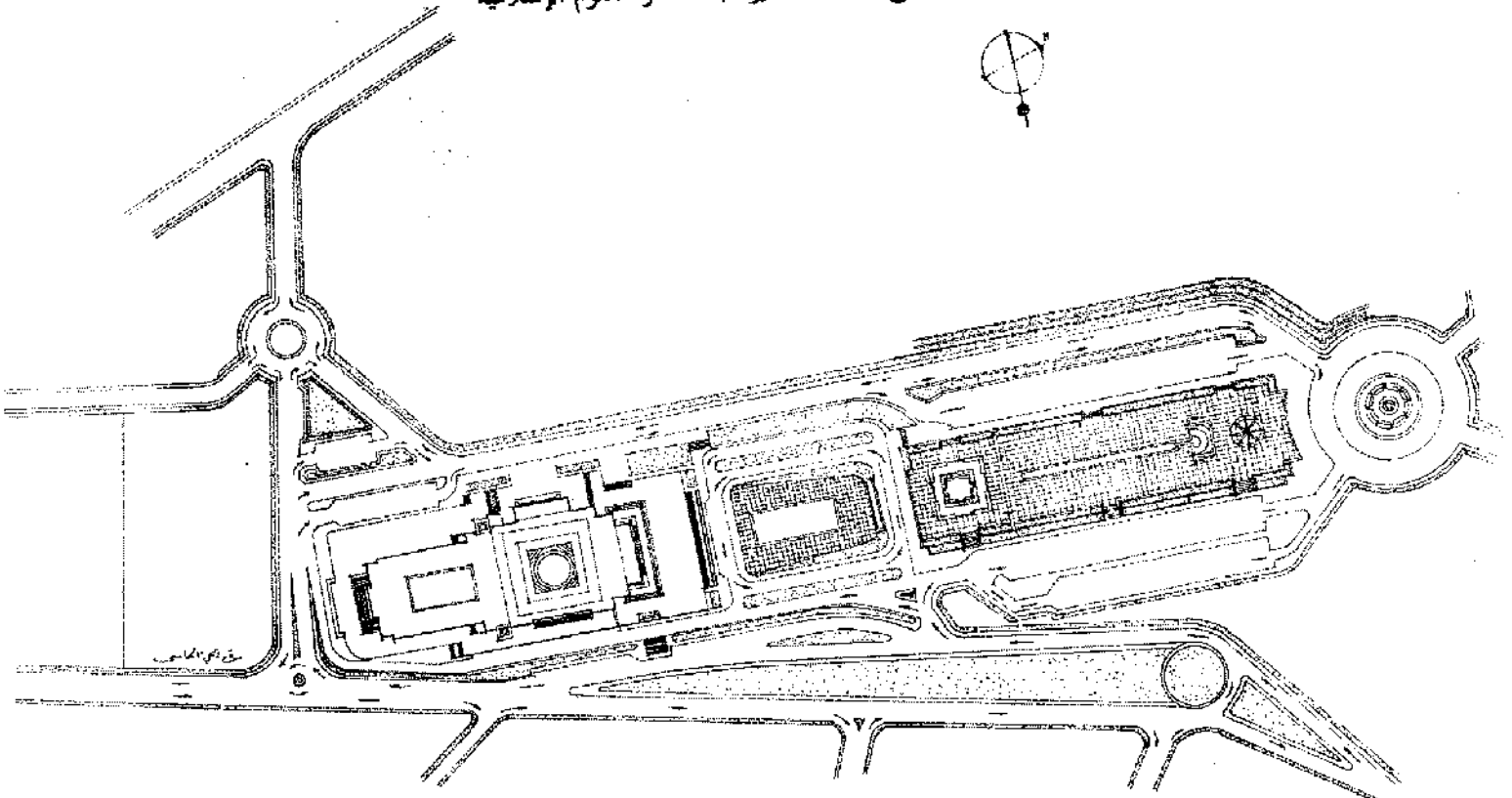

PLAN DE MASSE
ECH: 1/200

المخطط العام
مقياس الرسم 1/200

مسقط أفقي للدور الأول للجامعة والجامع

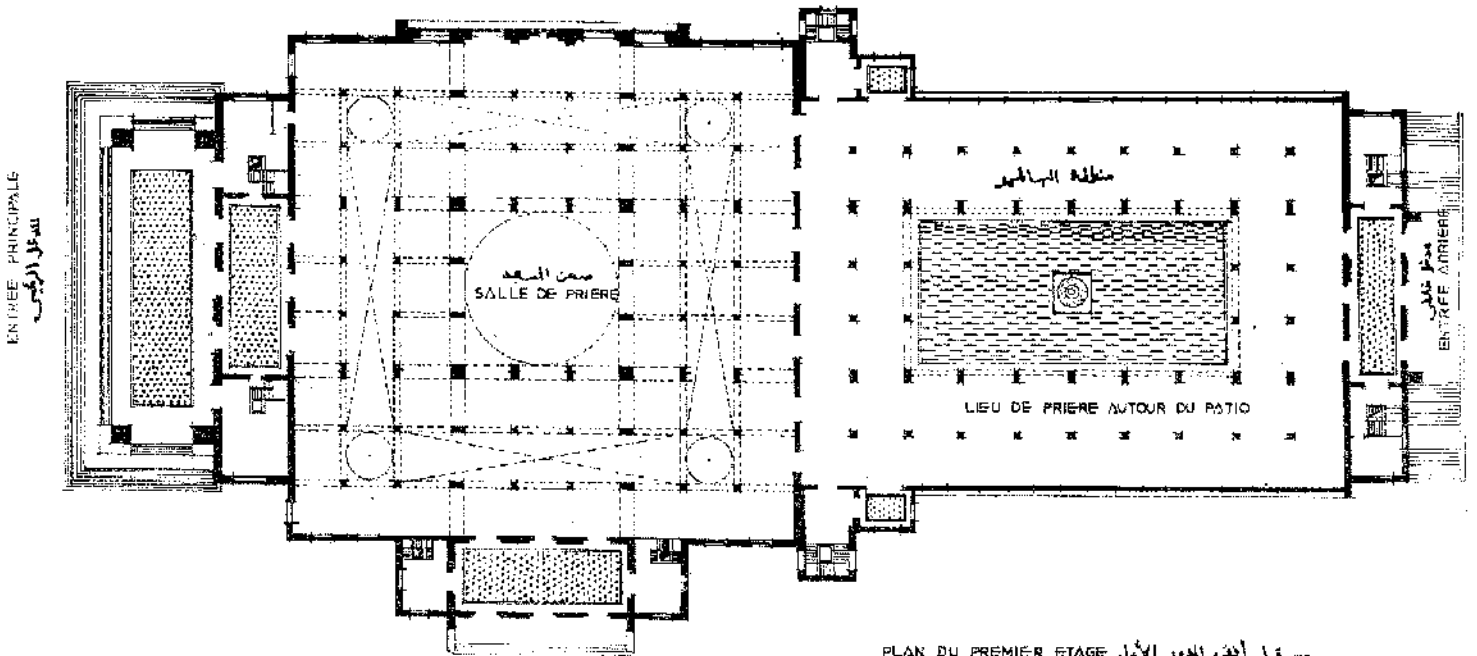

PLAN DU PREMIER ETAGE مسقط أفقي الدور الأول

مقياس الرسم ١/٥٠٠

الرئيس هواري بومدين وضع حجر أساس لجامعة قسنطينة في 29 مارس 1968

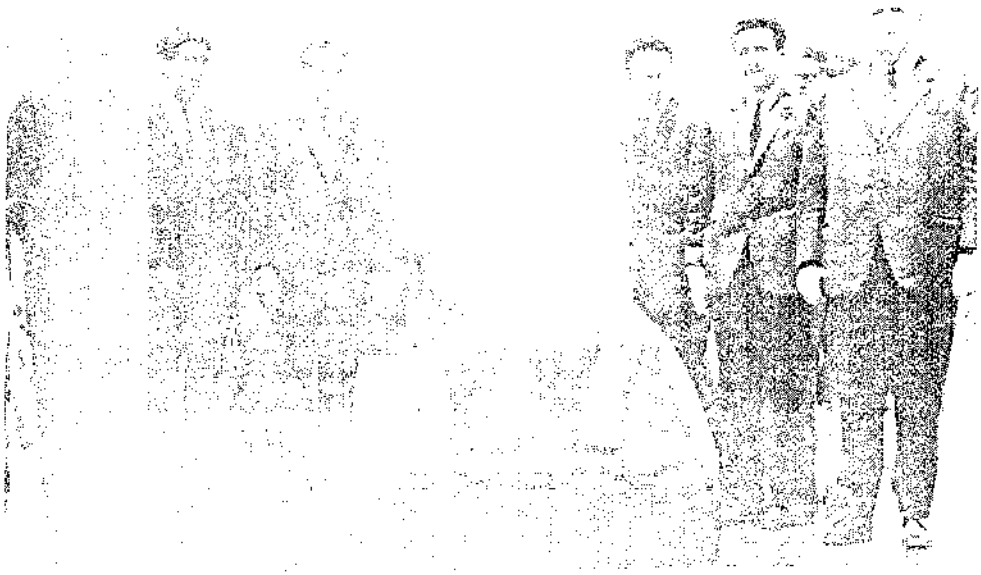

الرئيس هواري بومدين رفقة عدد من المؤونين في استقبال [illegible]
القاطرة [illegible]

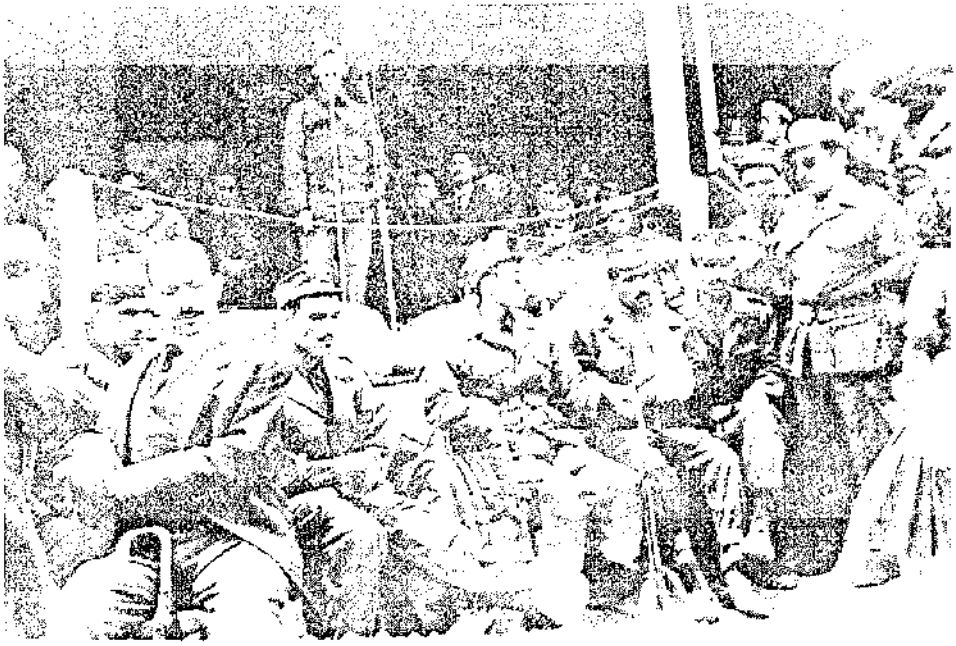

الرئيس هواري بومدين يخطب في إحدى المراكز الصحية لجيش التحرير الوطني بالحدود الشرقية

الرئيس هواري بومدين قائد أركان جيش التحرير الوطني مع الجنود في جبال الحدود الشرقية سنة ١٩٦٠

الرئيس هواري بومدين بتمنراست في تفتيش فرقة من الحرس الجمهوري صحبة
عطايلية قائد الناحية العسكرية

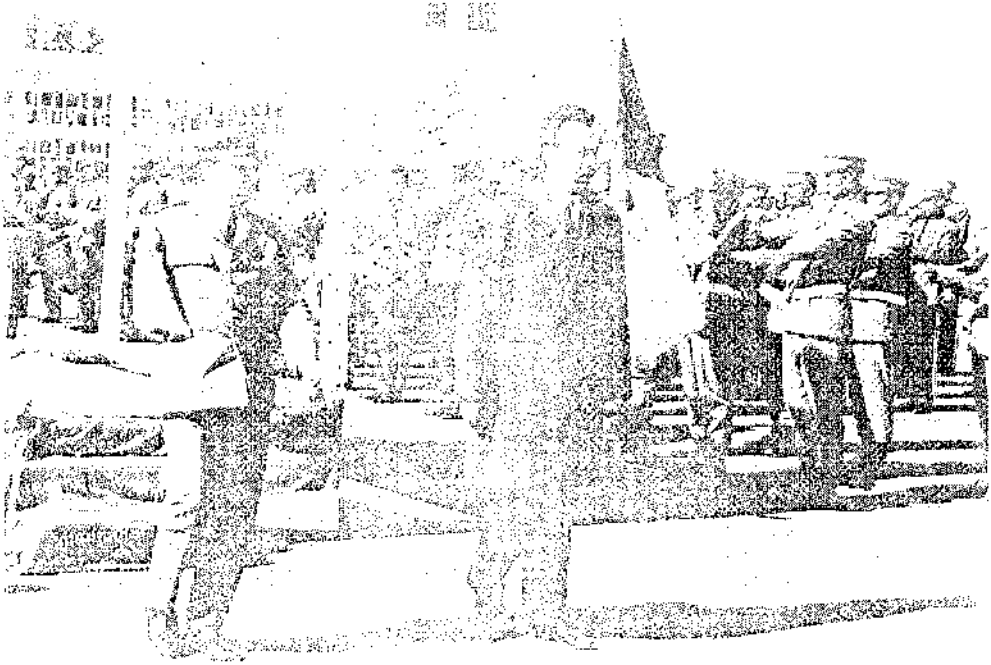

الرئيس بومدين
يستعرض فرقة
من الجيش
الوطني الشعبي

الرئيس
هواري بومدين
في حديث مع
أول رئيس
للجمهورية
الجزائرية
أحمد بن بلة

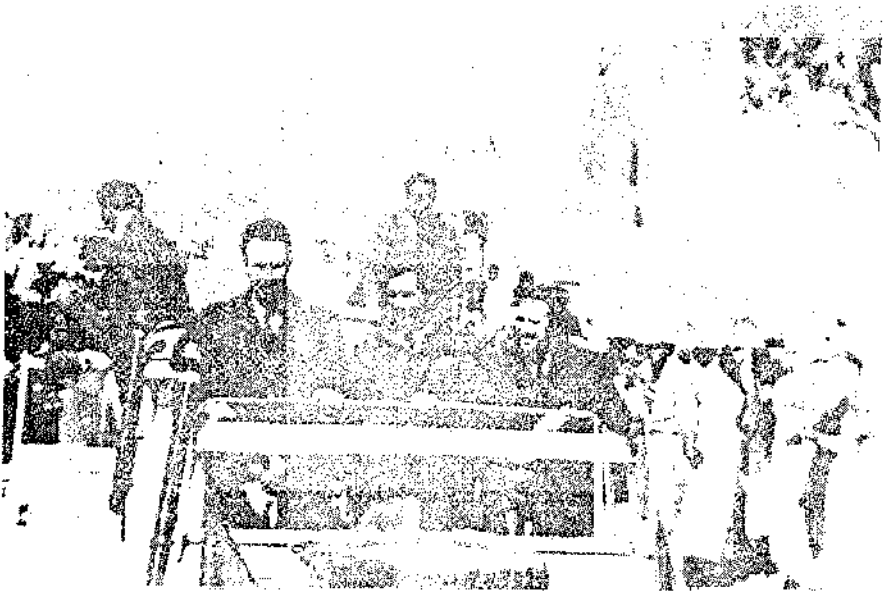

الرئيس هواري بومدين في زيارة تفقدية لمدينة الأغواط وبجانبه في السيارة المكشوفة
عضوي مجلس الثورة أحمد مدغري وعبد العزيز بوتفليقة

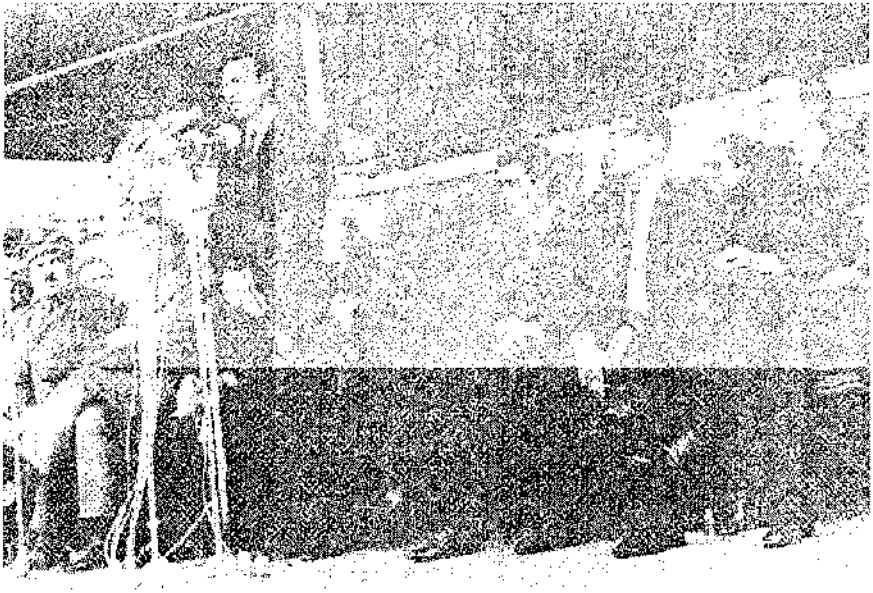

الرئيس هواري بومدين يلقي خطابا في الجماهير ويجلس خلفه عددمن أعضاء
مجلس الثورة

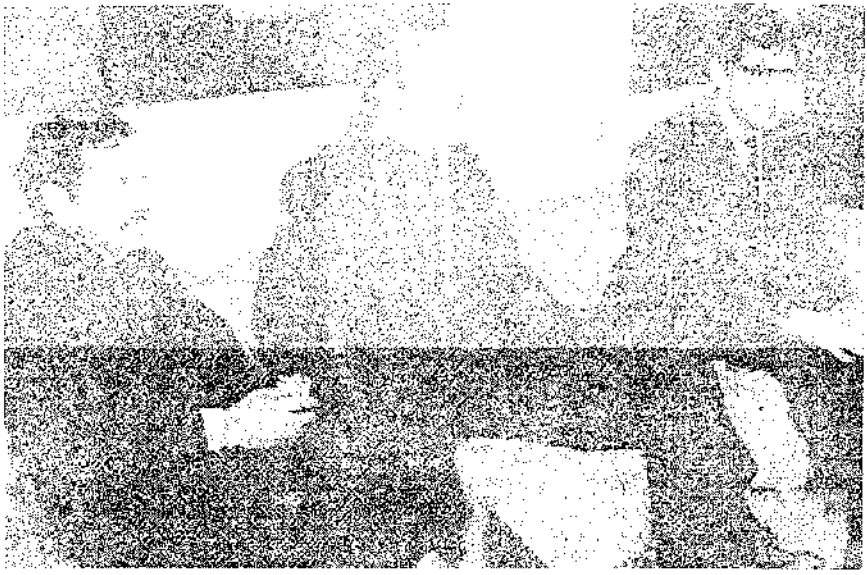

الرئيس هواري بومدين يتوسط كل من عبد العزيز بوتفليقة والشريف بلقاسم
عضوي مجلس الثورة

الرئيس هواري بومدين وجانبه عبد العزيز بوتفليقة الرئيس الحالي

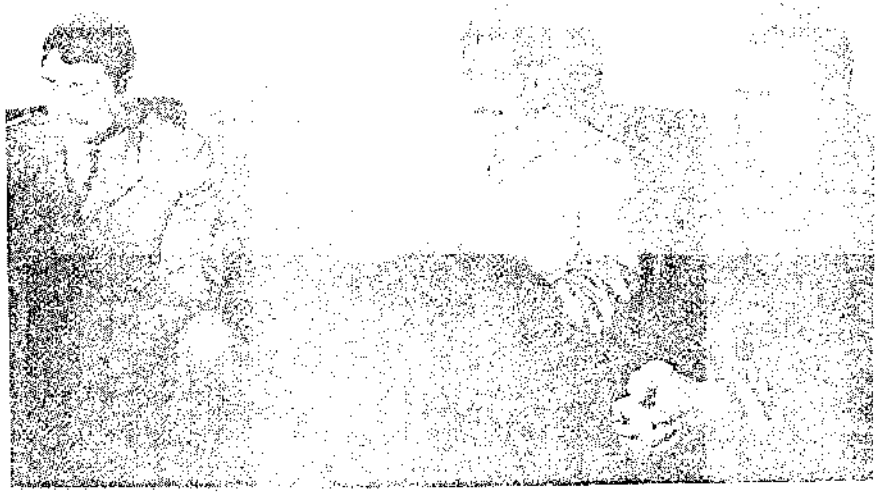

الرئيس هواري بومدين مع عضوي مجلس الثورة أحمد مدغري وأحمد دراية

الرئيس هواري بومدين في [illegible] سنة 1968

الرئيس هواري بومدين في مؤتمر قمة عام الانحياز مع ملك المغرب 1973

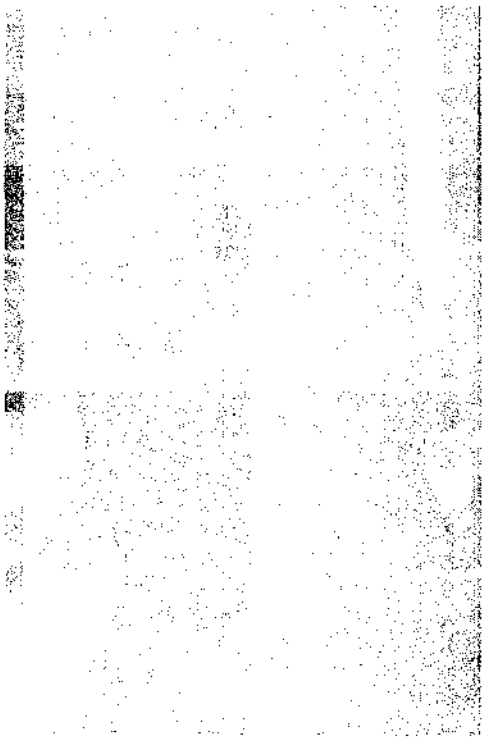

الرئيس هواري بومدين

رفقة وزير الخارجية

عبد العزيز بوتفليقة

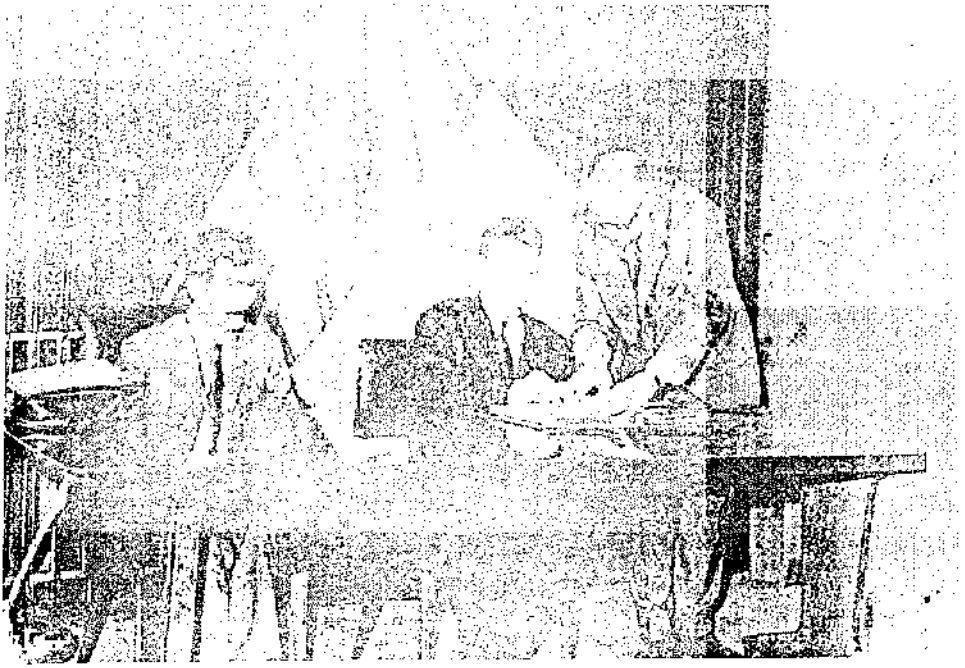

الرئيس هواري بومدين في توقيع معاهدة مع ممثل الصين الشعبية

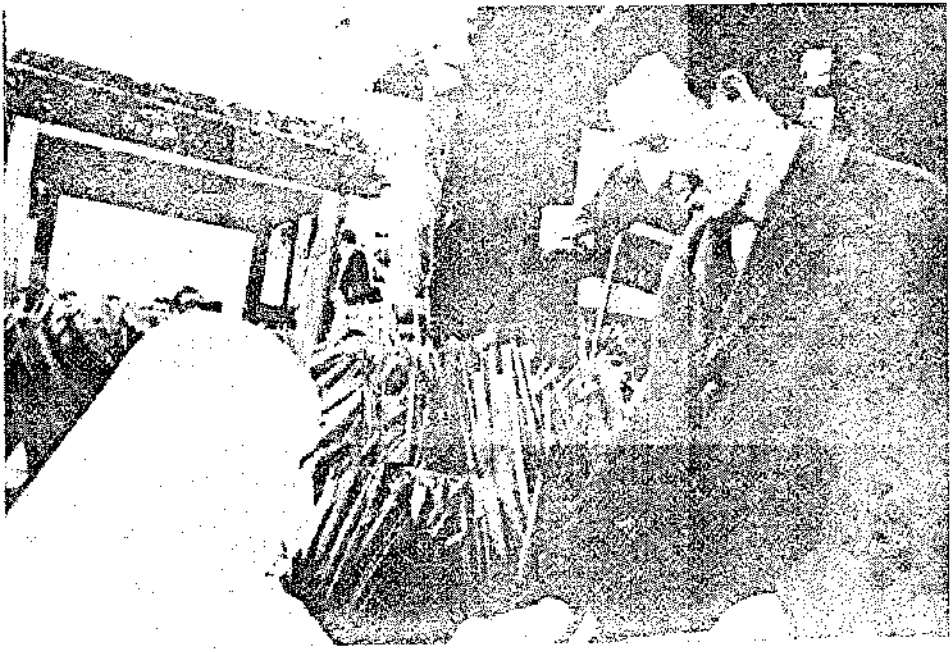

الرئيس هواري بومدين يستقبل وفدا من الإطارات والمواطنات المستفيدات من الثورة الزراعية في أول أيار الاشتراكية

الرئيس صدام ... وملين في توقيع معاهدة مع ممثل الصين الشعبية

الرئيس هواري بومدين

مع

العقيد معمر القذافي

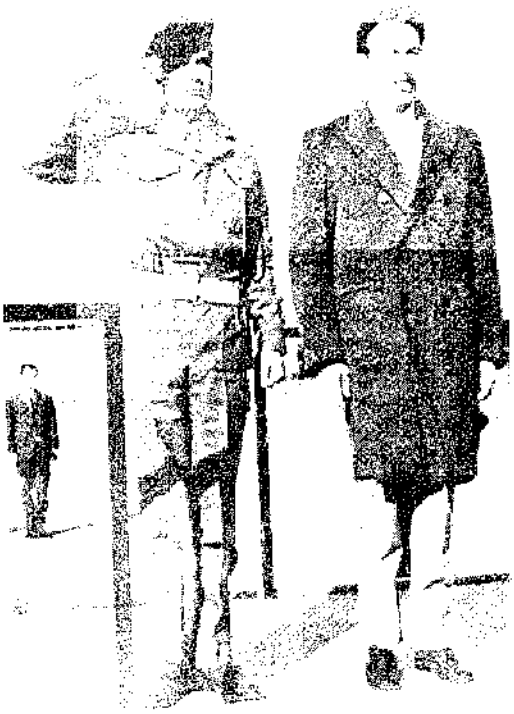

الرئيس هواري بومدين مع الرئيس حافظ الأسد رئيس جمهورية سوريا العربية

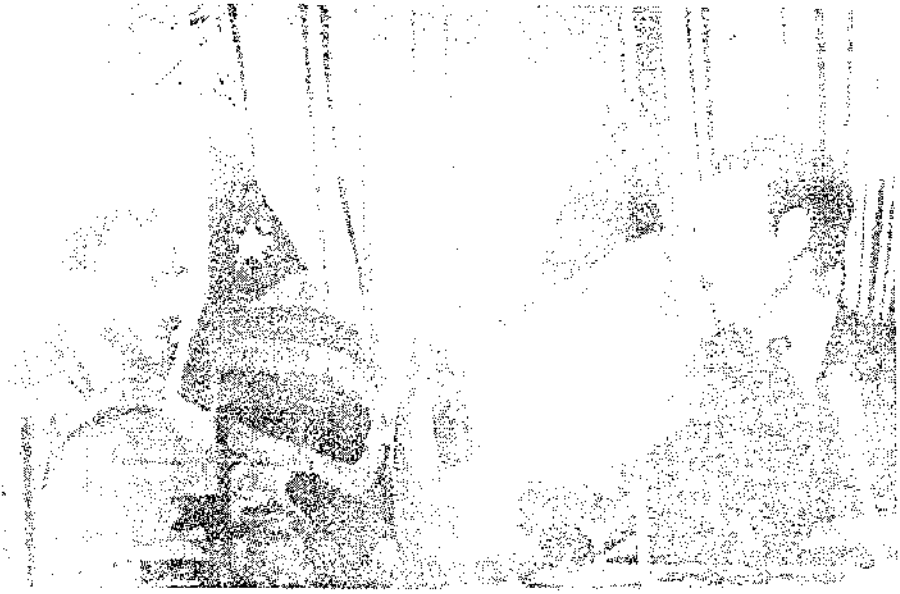

الرئيس بومدين مع الرئيس فيدال كاسترو رئيس كوبا

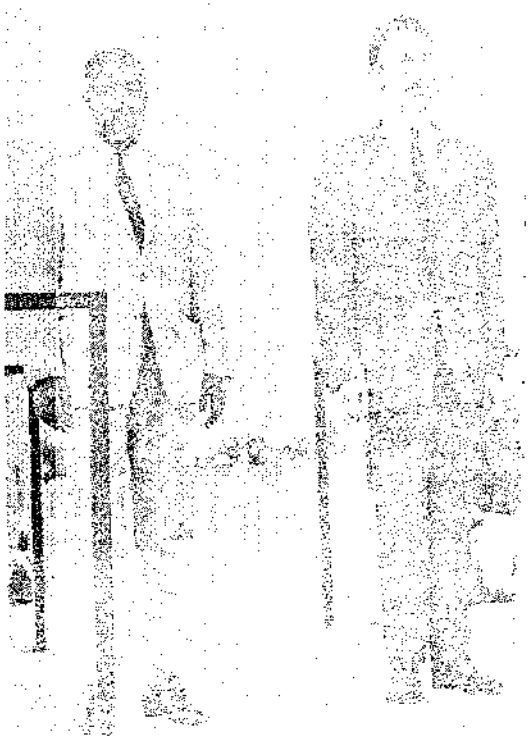

الرئيس هواري بومدين في
استقبال رئيس جمهورية
ساحل العاج

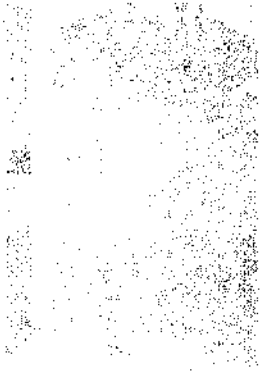

الرئيس هواري
بومدين في استقبال
امبراطور الحبشة
(اثيوبيا)
هيلاسي لاسي

الرئيس هواري بومدين
في زيارة
الاتحاد السوفياتي
عام 1969

الرئيس هواري بومدين في زيارة إلى الصين الشعبية وبجانبه رئيس الوزراء شوان

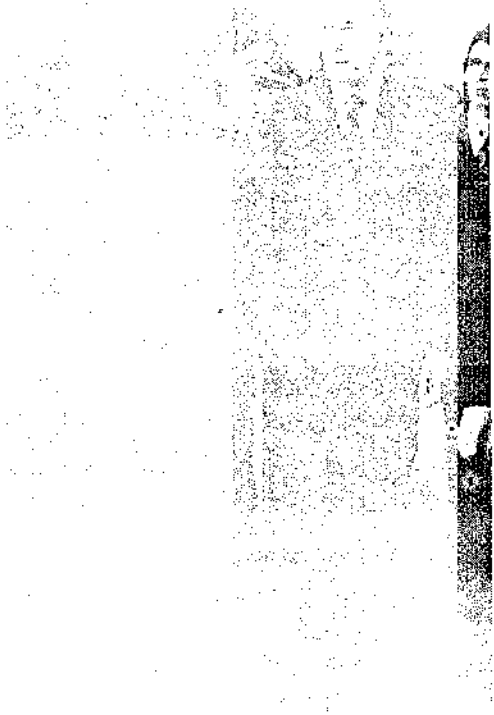

الرئيس هواري بومدين
رفقة الرئيس جيسكار
رئيس الجمهورية الفرنسية
أثناء
زيارته للجزائر سنة 1975

الرئيس هواري بومدين مع الأمين العام للأمم المتحدة 1973

جنمان الرئيس هواري بومدين ديسمبر 1978

حوار مع قناة فرنسية

الرئيس هواري بومدين مع والدته

الرئيس هواري بومدين يضع حجر الأساس للمركب الصناعي الميكانيكي – قسنطينة–

الرئيس هواري بومدين يخطب بقصر نادي الصنوبر

الرئيس هواري بومدين يعاين مخطط المركب الصناعي الميكانيكي بقسنطينة

فهرس موضوعات كتاب هواري بومدين

1. كلمة مدير الجامعة.
2. كلمة نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا.

جانب من حياة الرئيس هواري بومدين:

3. محمد بوخروبة: هواري بومدين الطفل والشاب- أ/ مصطفى سيرايدي.
4. هواري بومدين رحلة أمل- أ/محمد الصالح شيروف.
5. شهادات ومواقف مع أفراد عائلة الرئيس هواري بومدين- د/ نصير بوعلي.

هواري بومدين وتأصيل المنظومة التربوية:

6. المنظومة التربوية من أين ؟ وإلى أين ؟ أ/ مخلوف حمودي.
7. التأسيس لمنظومة تربوية تعليمية جزائرية د/ اسماعيل سامعي.
8. الرئيس بومدين والهوية الوطنية (التعريب) د/بلقاسم شتوان.

هواري بومدين والتعليم العالي:

9. ديمقراطية التعليم إحدى بصمات الرئيس بومدين أ/عبد المجيد قدور.
10. التعليم العالي في عهد الرئيس بومدين د/ عبد الكريم بن اعراب.
11. الرئيس بومدين والجامعة أ/ محمد سعيدي.

هواري بومدين والقضايا الثقافية الكبرى:

12. الرئيس بومدين وملتقيات الفكر الإسلامي د/ يحي بوعزيز.
13. ثقافة الكتاب والمكتبات والمعلومات ضمن السياسة التنموية للرئيس أ/ علي خوجة حليمة.
14. القضايا العربية في خطابات الرئيس بومدين أ/ شريبط أحمد شريبط.

ملاحق:

- من خطب الرئيس.
- أشعار قيلت في الرئيس.
- الصور.

الإشراف العلمي:

- د/ إسماعيل سامعي
- د/ بلقاسم شتوان
- د/ كمال لدرع
- أ/ باديس فوغالي
- أ/ ناصر لوحيشي
- أ/ زينب بوصبيعة

الإشراف الفني:

- سعد الله محمد فؤاد
- الشريف ربعي
- صبرينة علاق
- مسيكة منايفي
- نعيمة رواص